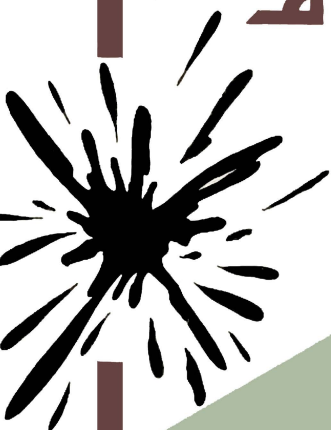


أحمد عُلبي

# ثورة العبيد في الإسلام



دار الآداب  
بيروت

قُوْرَةُ الْعَبْدِ فِي اللَّهِ سَلَامٌ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٩٨٥

أحمد عُلبي

# ثورة العبيد في الإسلام

دار الآداب  
بيروت

إلى ذكرى أستاذي وصديقي

**رئيس خوري**

( ١٩٦٧ - ١٩١٣ )

الإنسان الكبير والأديب المفكر العربي الديمقراطي ، وهو  
الذي كلما عصفت بنا الليالي نفتقد ذهنه النير وجهته  
العالية والتزامه الرائع وحضوره البهيّ .

القسم الأول

حبيذ وفور المرح وعلينا

## الفصل الأول

خواطر حول «ثورة الزنج» وصاحبهم  
«علي بن محمد»

مرة ثانية أعود إلى التعاطي مع « الزُّنَج » في كتاب مستقل ، وقد طال الزمن منذ أصدرتُ كتابي القديم « ثورة الزُّنَج » ، وقائدها عليّ بن محمد ( بيروت ١٩٦١ ) . وإذا كان بعض الناس وفيّاً للغرام أو الصداقة ، فأنا إلى ذلك - وعلى حدّ تعبير أبي الطيّب - « خُلِقْتُ أُلُوفاً » للموضوعات العلمية التي أكببتُ عليها ذات يوم في حياتي الفكرية . ومذ اهتمت بالزُّنَج وصاحبهم عليّ ابن محمد ظللت متابعاً للموضوع ، دارساً له<sup>(١)</sup> ، و « أتصيّد » ما يصدر حوله من دراسات في المجلات ، على نذرتها ، ومن كتب وأطروحات في أصقاع الدنيا . وهكذا فإنّ بين المراجع التي في حوزتي عن العبيد الزُّنَج إبان العصر العباسي ، أعمالاً بالألمانية والروسية والفارسية ، وإن لم أكن على دراية بهذه اللغات فإنّي أعوّل الاستفادة منها بالواسطة ، والأصدقاء ولله الحمد كثر . أما الألمانية فإنّي أُعِلِّلُ النفس بدراستها في المستقبل ، وبخاصة أن زملائي من المستشرقين الألمان يَحْتَنِي بعضهم ، عن مودّة ، على تعلّمها ويستغرب جهلي بها ! وهم على حق ، إذ كما قال لي ذات مرة المستشرق الفرنسي مكسيم

(١) راجع كتابنا : الإسلام والمنهج التاريخي ، القسم الأول : ثورة الزُّنَج في العصر العباسي ، ص ١١ - ٧١ .



رودنسون ، فمن الشائع على سبيل الطُّرفة أَنَّ مَنْ أراد دراسة اللاتينية فعليه بالألمانية ! إذ إن لغة « غوته » استوعبت التراث الإنساني ، والحضارة الإسلامية مثلاً مدينة للألمان بجهد فريد .

ونحن إذ ندرس « عبيد » الأمس فلنا فيهم درس وعبرة ، إذ التاريخ البشري لا يخرج من أن يكون صراعاً بين العبيد والسّادة ، وإن اختلفت الألوان والظروف والبيئات والمسمّيات . والعبيد هم سَمَاد الأرض في كل زمان وحول كل مكان ، ولولا ذلك لما كانت صرخة « يوشكين » الثورية :

آه . . . أرجفوا أيها الطغاة

ولتصطكُ مفاصلكم

وأنتم ،

أيها العبيد ، أرهفوا مسامعكم

تسلّحوا بكل ما لديكم من شجاعة

وهبّوا !

نحن ندرس عبيداً قد هبّوا وجلجلت حركتهم العاصفة في العصر العباسي الزاهي ، ولم تكن ثورتهم مجرد « تصحيف » لغوي ! فقد ورد لدى حمزة الأصبهاني ( ت ٣٦٠ هـ ) ، وهو يخاطب على ما يبدو قارئاً أو سائلاً ، على طريقة الجاحظ : « وزعمت أن المحدثين بالبصرة غبروا زماناً يروون أن علياً ( رضي الله عنه ) قال : ألا إن خراب بصرتكم هذه يكون بالريح . فما أقلعوا عن هذا التصحيف إلا بعد مائتي سنة عند معايتهم خرابها بالزنج »<sup>(٢)</sup> . وبين « الريح » و « الزنج » صلة قُربى لو تبصّروا وتمعنوا ، إنها ريح الثورة ينفخ فيها جياح زنج كان من نكد الدهر عليهم أنهم يحملون في بشرتهم سواد ليل حالك

(٢) حمزة الأصبهاني : التنبيه على حدوث التصحيف ، ص ٢ .

ويساقون إلى العمل في تخفيف المستنقعات واستصلاح الأرض في منطقة البصرة لقاء طعام يتفخ البطن ولا يُشبع من مَسْغَبَةٍ . ولقد تكاثرت أعداد هؤلاء الزُّنَج في القرن الثالث الهجري ، بحكم الحاجة إلى اليد العاملة شبه المجانية للعمل في الأرض ، ولكن وجودهم في العراق سابق على هذا التاريخ ، كما أن عهدهم بالتمرد على السلطة عرف محطتين سابقتين عابرتين .

## هبتان للزنج سابقتان

ففي أواخر أيام مُصعب بن الزُّبَيْر بالعراق اجتمع بِفُرات البصرة جمع من الزُّنَج وشرعوا يتجمعهرون ، فانبرى والي البصرة ، خالد بن عبدالله بن خالد ، إليهم . « فجمع لهم جيشاً ، فلما بلغهم ذلك تفرقوا ، وأخذ بعضهم فقتلهم وصلبهم »<sup>(٣)</sup> . وهكذا فنحن لم نخطيء بتسمية الزُّنَج « صُلبان التاريخ الإسلامي »<sup>(٤)</sup> ، إذ إن هذه العملية شرعت منذ شرارتهم الأولى . كان ذلك في سنة ٧١ هـ ، وكانوا ما زالوا قلة ، لكن نارهم كان هناك منهم ، على ما يبدو ، من يعسفس فيها محرّكاً ، لتشتعل مجدداً ضِراماً يُحرق .

وعلى هذا فقد عادوا إلى التمرد والاحتجاج ، واجتمع منهم هذه المرة خلق كثير بالفرات ، وذلك سنة ٧٦ هـ عند ولاية الحجاج على العراق ، وقد جعلوا على رأسهم رجلاً من بين ظهرائهم اسمه رياح . هل من علاقة بين « الرياح » التي تقدّم ذكرها على أنها تصحيف ، و « رياح » ؟ ! هكذا ورد اسمه لدى ابن خلدون ( ت ٨٠٨ هـ ) ، في حين ذكر ابن الأثير ( ت ٦٣٠ هـ ) أن اسمه « رياح » . تصحيف آخر ؟ وهل التاريخ ، خصوصاً عندما يكون رسمياً ،

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٤م ص ٣٨٨ .

(٤) راجع دراستنا : « الزُّنَج ، صُلبان التاريخ الإسلامي » ، مجلة « العربي » س ٢١ ، ع ٢٤٢

(كانون الثاني ١٩٧٩ ) ، ص ١٥٥ - ١٦١ .

سوى كلام يداخله تصحيف كبير؟! وبالتالي فنحن نحتاج إلى الحِيطَة والحذر ، وليس عبثاً القول إننا في حاجة ماسّة إلى إعادة كتابة تاريخنا ، ولكن هذه المرة في ضوء المنهج العلمي والمصادر الموثوقة الخاضعة للنظرة النقدية ، دون إغفال أيّ منها . هي عملية إعادة اكتشاف ومحاولة نفّض غبار التلفيقات وعمّاية التضليل ، وما أكثره ، إذ الإعلام ليس صناعة ابنة اليوم ، وإن اتّسع مداها إلى غير حدٍّ وتنوّعت فنونها ، بيد أن الجوهر واحد والإيديولوجيا المهيمنة تعثر دائماً على ضالّتها الملائمة .

نعود إلى رياح أو رياح الذي كان يلقّب شير زنجي ، أي أسد الزّنج . فلما كان من « إفساد » الزّنج ، وكان الحجاج قد فرغ من قمر ابن الجارود<sup>(٥)</sup> ، وجّه أوامره الصارمة ، كما هو حاله دائماً ، إلى زياد بن عمرو الذي كان على شُرطة البصرة أن يجمع التمرد . فأرسل زياد ابنه حفصاً على جيش لقتال الزّنج ، فكان أن قتلوه وهزموا جيشه . فأرسل جيشاً آخر « فهزم الزّنج وأبادهم »<sup>(٦)</sup> .

## ثورة الزنج الكبير

بيد أنه في القرن الثالث الهجري جلب تجار البصرة الزّنج بالآلاف ، إذ

- (٥) تكاثف الناس مع عبدالله بن الجارود وبايعوه سراً على إخراج الحجاج من العراق والكتابة إلى عبدالملك بن مروان بتولية غيره ، وذلك لأنه عاد عن الزيادة التي أجازها لهم عبدالملك نفسه وهي مائة مائة في العطاء ! وقد أظهروا أمرهم في ربيع الآخر سنة ٧٦هـ وزحفوا على الحجاج ، لكن تغلب عليهم بعدها وقُتل ابن الجارود بسهم غرّب واحتزّ رأسه مع ثمانية عشر رجلاً من وجوه أصحابه ( ابن الأثير : م ٤ ص ٣٨١ - ٣٨٥ ) . وبناء على هذا فإن تمرد الزّنج الثاني حصل سنة ٧٦هـ ، وليس ٧٥هـ كما هو شائع في المراجع ، وذلك بسبب وهم مرده أن ابن الأثير جاء في تاريخه على حادثة تمرد الزّنج هذه ضمن حوادث سنة ٧٥هـ !
- (٦) ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون ، م ٣ ص ٩٨ .

وظَّف هؤلاء التجار أموالهم الطائلة في استصلاح الأراضي لتكون مَهْدَةً للزراعة بعد استخراج الملح منها وبيعه . فعثر الزنج سنة ٢٥٥ هـ على علي بن محمد ، أو عثر هو عليهم لا فرق ، « فلم يلبث أن خرج بالبصرة واستغوى السودان والزبَّالين<sup>(٧)</sup> والعبيد ، فصار أمره إلى ما صار<sup>(٨)</sup> . وليس يعنينا ههنا حَوْكُ الكلام حول شخصية « صاحب الزنج » ومراميه ، يكفي ، وهو الأبيض ، أنه قد أخلص لقضية العبيد السود الذين قادهم فناضل دونهم حتى الرمق الأخير . « فَقُتِلَ وهو مجاهد على حاله ، غير مستسلم ولا معطٍ بيده ، وكان قد بُدِّلَ له الأمان مراراً فأباه<sup>(٩)</sup> . لقد قُتِلَ صاحب الزنج وله من العمر ثمانٍ وأربعون سنة<sup>(١٠)</sup> ، أي في شَرْخِ الرجولة والنضج .

ولقد أَرَقَ علي بن محمد الخلافة العباسية أي أَرَقَ ، فهو بجيوشه كاد يهدد بغداد نفسها ، وظل مستمراً بثورته حتى سنة ٢٧٠ هـ ، أي قرابة خمسة عشر عاماً . وبذلت السلطة العباسية مالاً عظيماً لتجهيز الجيوش ، بغية الإجهاز عليه . وعندما خرج الموفق ، أخو الخليفة المعتمد ، والحاكم الفعلي للخلافة عهدذاك ، بجيش عرمرم لمقارعة صاحب الزنج ، « حكى مشايخ أهل بغداد الذين شاهدوا الجيوش أنهم ما رأوا ولا سمعوا بمثل ذلك الجيش كثرة وقوة وآلة وسلاحاً ، وتبعه خلق عظيم من سُوقَةِ بغداد<sup>(١١)</sup> .

ولهذا فإن مقتل صاحب الزنج بعد جهاد جهيد كان بمثابة « البشير » ، كما ورد لدى الطَّبْرِي ( ت ٣١٠ هـ ) الذي هو بمنزلة المؤرخ الرسمي لثورة الزنج :

(٧) المقصود بالزبَّالين الذين يزبِّلون الأرض أي يسمدونها بالزبل .

(٨) ابن العِمام : شَذَرَاتُ الذهب في أخبار مَنْ ذهب ، ج ٢ ص ١٥٦ .

(٩) مؤلف مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٥٧ .

(١٠) الذهبي : سِيرَ أعلام النبلاء ، ج ١٣ ص ١٣٠ .

(١١) مؤلف مجهول : ج ٤ ، ق ١ ، ص ٢٣ .

جاء « البشير بقتل الفاجر » إلى الموفق ، ثم وافاه أحدهم يحمل كفاً يزعم أنها كف صاحب الزنج . « ثم أتاه غلامٌ من أصحاب لؤلؤ يركض على فرس ، ومعه رأس الخبيث » . « وأمر الموفق برفع رأس الفاجر على قناة ونصبه بين يديه »<sup>(١٢)</sup> . ولأ يدهشن قارىء بأمثال هذين النعتين لقائد ثورة الزنج : الفاجر ، الخبيث . فكل متمرد ، وإن كان الحق ملء بُرديه والعدالة سِرْباله وفيض يديه ، هو في نظر السلطة القائمة قمينٌ بكل النعوت ابتداءً من الخيانة حتى الفجور والإلحاد ، لأن « الإيمان » يغدو عندها حَكراً على السلطان أو أمير المؤمنين ، أيّاً كانت سيرته ، ومهما كان ممشاه بعيداً عن جادة الإسلام الذي دعا إلى العلم والعدالة الاجتماعية ومكارم الأخلاق فاعتقه الملايين .

## عودة إلى الرق

عقب مقتل صاحب الزنج تناثرت الثورة وأتبع الموفق سياسة الإغراء باذلاً الأمان ، فكان من الطبيعي أن يستسلم آلاف الزنج قادة ورجالاً بعد أن سقط قائدهم العنيد المقدم . « وانقطعت منهم قطعة زهاء ألف زنجي مالوا نحو البر ، فمات أكثرهم عطشاً ، فظفر الأعراب بِمَن سلم منهم واسترقّوهم »<sup>(١٣)</sup> ! عودة إلى الرّق ، هذا مآل الثورة المدحورة التي لم يكن الزمن مؤاتياً لها ولا نصيراً . فمقولة « الظروف الموضوعية » لا يمكن تجاوزها بِيسر ، وإذا حدث ذلك فيكون على نحو مؤقت ما دامت الثورة في بُحْبوحة من القوة والمنعة واستثمار الظروف السلبية لدى الخصم الذي كانت الحقبة التاريخية في صالحه .

وكان بين المستسلمين أو المأسورين ، وقد انتكست ثورة الزنج ، ابنُ

(١٢) الطَّبْرِي : تاريخ الرُّسُل والملوك المعروف بتاريخ الطَّبْرِي ، ج ٩ ، ص ٦٥٩ و ٦٦٠ .

(١٣) الطَّبْرِي : ج ٩ ص ٦٦٠ و ٦٦١ .

صاحبهم ، محمد ، وكان لقبه أنكلاي ، ومعناه بالزنجية ابن الملك . وكان هناك أيضاً عليّ بن أبان المهلبّي ، وسليمان بن جامع ، وإبراهيم بن جعفر الهمذاني ، ونادر الأسود . فحملوا في الحديد إلى بغداد حيث حُبسوا<sup>(١٤)</sup> . وذلك أنه لم يكن مقدراً لثورة الزّنج ، في المنظور التاريخي ، أن تنتصر وتتوطد بشكل ناجز ، وغط الإنتاج المهيمن لذاك العصر « آسيويّ » إذا شئت أو « إقطاعيّ » . ولهذا فإن مأخذ بعض الدارسين على صاحب الزّنج أنه قام لإلغاء الرّق ، ثم إذا به يملك القادة بين صفوفه كما يعدّ الزّنج بذلك ، هذا المأخذ قد يكون في غير موضعه عند التدقيق ، لأن عليّ بن محمد كان يغترف من مفاهيم عصره المستمدة من غط الإنتاج السائد ، والتي لم يكن لها عموماً أن تذهب إلى حد المطالبة بإلغاء المملّكية نفسها ووضع حد نهائي لعملية الاسترقاق . وخصوصاً أن الإسلام ذاته ، والناس قريبو عهد بالدعوة وتاريخها ، لم يبلغ الرّق كلفة وإغما دعا إلى تحسين شروطه على نحو كبير بما يتفق والكرامة البشرية ووجوب صيانتها .

## الجدل التاريخي يظل مفتوحاً

ليس هناك من ثورة خارج التاريخ ، وعندما أعلنت الثورة الفرنسية على سبيل المثال مبادئها الشهيرة ما كان لهذه المبادئ أن تأخذ طريقها إلى العلن والشيوع والتبني في عهد النهضة ، لأن شكل الإنتاج النهضويّ لم يكن بعدّ قابلاً لعلاقات إنتاج شرعت في النضج التدريجي مع صعود الصناعة البدوية واكتشاف الآلة البخارية وغمّو المدن « البور » وتكاثر سكانها الذين أضحوّوا يُدعَوْنَ « البورجوازية » . وعندما نجحت الثورة الفرنسية على الإقطاعية صيرت الطبقة العاملة مع كروور الأيام « عبيداً » لها ، مع أنها استعانت بالعمال

(١٤) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج ٨ ص ٢١٤ - ابن خلدون : م ٤٣ ص ٤٣ .

وانتصرت بفضلهم . لكن لكل طبقة حاكمة عبداها ، فكما رافقت القنانة مرحلة العبودية ، وربما الإقطاعية أحياناً ، وذلك إبان الاقتصاد القائم على الإنتاج الزراعي ، فإن استثمار الطبقة العاملة هو العلامة الفارقة في المرحلة البورجوازية التي أقامت مداميكها على هيمنة الإنتاج الصناعي وقيادته لفروع الاقتصاد . وماذا عن المجتمع الاشتراكي ؟ قد يسأل سائل . هل يتوقف الصراع ؟ وهل تذوب التناقضات ، وهل يُقفل الجدل التاريخي ؟ هنا يغدو الخطر أدهى ربما ، لأن المجتمع قد يتشكل في طبقة شبه واحدة ، ولكنه يكون عُرضة لتناحر في بُنيته العليا . وهل أتاك حديث الديمقراطية الغائبة في الغالب ، والبيروقراطية المتحكمة في الرقاب ، والخوف من الكلام ، والحرية المأمولة التي فرّخت نقيضها ! التجربة التاريخية للاشتراكية ما زالت على المدى ابنة البارحة ، إذ ما شأن ستين أو سبعين سنة في عمر التجارب البشرية الفاصلة ؟ هذا تفسير وليس تبريراً ، ثم نحن لسنا قضاة وإنما أبناء مَعْجَن واحد . أضف إلى ذلك أن التطبيق الاشتراكي عملية شاقة عبقرية ، لأنها تتطلب إعادة اكتشاف الماركسية في خصوصيتها ومحليتها . ويبقى الحديث طويلاً وذا شجون ، ولكنّ نجمة بعيدة تضيء الأفق وتومئ .

لم تكن ثورة الزّنج حادثاً عابراً في التاريخ الإسلامي ، وإنما هي وَفَق ما سرده بعض المؤرخين تنبؤ عن خطورة وتُقرن بحركات أخرى جليلة شأن البابكية والقرامطة . ولسنا الآن في معرض مناقشة صحة هذا الرأي الصادر عن « مؤلف مجهول » يرجّح أنه من رجال القرن الخامس الهجري : « وقيل إنه لم يكن في الإسلام حادث أضرّ بالإسلام والمسلمين من ظهور بابك الخُرَمي بتلك المقالة التي تفرّع عنها القرامطة والباطنية إلى اليوم ، ومن ظهور الورزّيني<sup>(١٥)</sup> المعروف بعلويّ الزّنج ، على أنه أيضاً إلى مقالة بابك الخُرَمي

(١٥) الورزّيني نسبة إلى ورزّين ، القرية التي أبصر عليّ بن محمد فيها النور ، وهي « من أعيان =

يبد أن ثورة الزنج لم تنطفئ جمرتها الملهبة تماماً ومن غير رجعة ، إذ بعد سنتين من مقتل صاحب الزنج ، أي في شوال من سنة ٢٧٢ هـ ، « وفيها تحركت الزنج بواسط ، وصاحوا : أنكلاي ، يا منصور ! ويبدو أن النداء المعبر أحدث القشعريرة في جسد الموفق ، خصوصاً أنه كان عهدذاك في واسط . وكان ، كما سبق وذكرنا ، قد وضع في المَطْبِق ، وهو السجن تحت الأرض ، ابن صاحب الزنج وبعض قادة الثورة الكبار المأسورين أو المستسلمين . وأمر الموفق بقتلهم ، فأخرجوا وذبحوا وطُرحت أبدانهم في البالوعة ، وأرسلت رؤوسهم إلى الموفق بواسط فنصبها هناك . ثم أخرجت ، بأمر من الموفق ، جثث قتلى بغداد من البالوعة ، وكانت قد انتفخت وفاحت روائحها وتقتشرت منها الجلود ، فصُلب اثنان من هؤلاء القواد على الجانب الشرقي من الجسر في بغداد والثلاثة الآخرون على الجانب الغربي (١٧) !

= قرى الرِّي ، ( ياقوت : معجم البلدان ، م ٥ ص ٣٧١ ) . وهذه القرية الفارسية هي التي لجأ إليها جَدُّ عليّ بن محمد لأمه ، محمد بن حكيم الأسدي ، وهو كوفي كان مناصراً لزيد بن عليّ ابن الحسين الذي خرج على خلافة هشام بن عبد الملك . فلما أخفق زيد وقُتل ، فرَّ محمد بن حكيم إلى الرِّي بفارس والتجأ إلى ورزنين . وهي القرية التي وُلد فيها عليّ بن محمد ( صاحب الزنج بعدها ) وبها نشأ أيضاً ( الطبري : ج ٩ ص ٤١٠ - ابن أبي الحديد : ج ٨ ص ١٢٧ ) . وهناك ألقاب عدة شاعت عن عليّ بن محمد بالإضافة إلى الورزني : علويّ البصرة ( والطبري يُعنون مطلع أخبار ثورة الزنج لسنة ٢٥٥ هـ على النحو التالي : خروج أول علويّ بالبصرة ، ج ٩ ص ٤١٠ ) ، والبصريّ العلويّ ( كما جاء عند أبي حيان التوحيدي : البصائر والذخائر ، ج ٢ ، ص ٢ ، ج ٥٠٥ ) ، وعلويّ الزنج ( كما هو وارد لدى مؤلف مجهول ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٤ ، ٥٨ ) ، وصاحب الزنج ( وهو عنوان ترجمته لدى الصَّفدي في مخطوطة المتحف البريطاني لكتاب الوافي بالوفيات ) ، والخبيث ( وهو عنوان ترجمته لدى الذهبي ، ج ١٣ ص ١٢٩ ) .

(١٦) العيون والحداثق ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٥٨ .

(١٧) ابن الأثير : ج ٧ ص ٤٢٠ - ابن أبي الحديد : ج ٨ ص ٢١٤ - ابن تغري بَردي : النجوم =



وبعد ، فقد عثرنا لدى أبي حيان على فقرة نُثبتها على شكل خاتمة ،  
متسائلين في الآن نفسه : وهل كان لصاحب الزنج قبر ، وأين مكانه ؟  
« وقُرِء على قبر البصري العلوي صاحب الزنج :

عليك سلامُ الله يا خيرَ منزلٍ      رحلنا وخلفناك غيرَ ذميمٍ  
فإن تكنِ الأيامُ أحدثنَ فرقةً      فمن ذا الذي من رَميها بسليمٍ»<sup>(١٨)</sup>

= الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٣ ص ٦٧ .  
(١٨) أبو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر ، ٢م ، ٢ج ، ص ٥٠٥ .

## المصادر والمراجع

- ١ - الطَّبْرِي (ت ٣١٠هـ) (\*): تاريخ الرُّسُل والملوك المعروف بتاريخ الطبري (١١ جزءاً) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، سلسلة « ذخائر العرب » ( ٣٠ ) ، دار المعارف بمصر ٦٠ - ١٩٦٩ ، ١٩٧٧ .
  - ٢ - حمزة بن الحسن الأصبهاني (ت ٣٦٠هـ): التنبيه على حدوث التصحيف، تحقيق : محمد أسعد طلس ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٨ .
  - ٣ - أبو حيان التوحيدى (ت ٤١٤هـ) : البصائر والذخائر ( مجلدان ) ، تحقيق : إبراهيم الكيلاني ، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء ، دمشق ١٩٦٤ ، ١٩٦٦ .
  - ٤ - مؤلف مجهول ( من القرن الخامس الهجري (؟) ) : العيون والحدائق في أخبار الحقائق (ج ٤ ( ٢٥٦ - ٣٥٠هـ ) ، قسمان ) ، تحقيق : عمر السعيدى ، المعهد الفرنسي لدمشق للدراسات العربية ٧٢ - ١٩٧٣ .
- (\*) لم نأخذ في ترتيب المصادر لفصول هذا الكتاب بالنسبة الأبجدي المعمول به عادة، وإنما آثرنا ترتيبها وفق الأقدمية الزمنية لما في ذلك من فائدة علمية وعملية .

- ٥ - ياقوت (ت ٦٢٦هـ) : معجم البلدان (٥ مجلدات) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (؟) .
- ٦ - ابن الأثير (ت ٦٣٠) : الكامل في التاريخ (١٣ مجلداً) ، دار صادر - دار بيروت ٦٥ - ١٩٦٧ .
- ٧ - ابن أبي الحديد (ت ٦٥٥هـ) : شرح نهج البلاغة (٢٠ جزءاً) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ٥٩ - ١٩٦٤ .
- ٨ - الذهبي (ت ٧٤٨هـ) : سِير أعلام النبلاء (١٧ جزءاً حتى تاريخه) ، أشرف على تحقيقه : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ٨١ - ١٩٨٣ .
- ٩ - الصَّفْدي (ت ٧٦٤هـ) : الوافي بالوفيات ، ترجمة «صاحب الزنج» ، مخطوطة المتحف البريطاني (British Museum, Or. 6587) ورقة ١٤٠ (ب) - ١٤٣ (ب) .
- ١٠ - ابن خَلدون (ت ٨٠٨هـ) : كتاب العِبَر وديوان المبتدا والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون (٧ مجلدات) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ٥٦ - ١٩٥٩ .
- ١١ - ابن تَغري بَردي (ت ٨٧٤هـ) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١٦ جزءاً) ، سلسلة «تراثنا» ، المؤسسة المصرية العامة للكتاب ٦٣ - ١٩٧٢ .
- ١٢ - ابن العِماد (ت ١٠٨٩هـ) : شَذَرَات الذهب في أخبار مَنْ ذهب (٨ أجزاء) ، مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٠هـ .

١٣ - أحمد عُلبي : الإسلام والمنهج التاريخي ، دار الطليعة ، بيروت  
١٩٧٥ .

١٤ - أحمد عُلبي : « الزنج ، صُلبان التاريخ الإسلامي » ، مجلة « العربي »  
س٢١ ، ع ٢٤٢ ( كانون الثاني ١٩٧٩ ) ، ص ١٥٥ - ١٦١ .

## الفصل الثاني

النَّجْجُ صُلْبَانِ النَّارِخِ الْإِسْلَامِي

كانت الإمبراطورية الإسلامية من أواخر الإمبراطوريات العظمى التي عرفها الشرق ، وقد لعبت دوراً حيوياً في دفع عجلة التقدم وفي عملية تراكم الإنتاج . وكانت هذه الدولة العربية الكبرى مؤسّسة على « الإيديولوجية » الإسلامية ، وهي ذات مركزية صلبة أصلاً ، وطابع مطلق وحكم فردي عملياً ، في حين أمست نظرية العدل التي عمل بها جُلّ الخلفاء الأوائل من الراشدين مسطورة محفوظة في كتب الفقهاء . هذه الإمبراطورية سرعان ما انحدرت من « الأوتوقراطية » المدنية الاستبدادية نحو العسكرية العشوائية الدخيلة ، التي ألحقت ضرراً باستمرارية الحكم وانتصبت عائناً أحقّ دون تطوره إلى مداه التاريخي . ففي حين كانت الخلافة منيعة مع المنصور ، عزيزة مع الرشيد ، متحضرة مع المأمون ، أضحت مع المعتصم من غير هوية حضارية واختنقت بجهل المرتزقة من الأتراك وخلافاتهم المزمنة .

كان النفوذ الفارسي في المرحلة الأولى من الخلافة العباسية ، على الرغم من سلبياته السياسية ، مخصباً ، لأنه يحمل نواة بناء من المعرفة ورصيдаً وافراً من التجارب . أما النفوذ التركي الذي أتى به المعتصم ، فقوامه القهر والفتك والجهالة ولا شيء غير ذلك . كانت بغداد ترفع عالياً مشعل العلم ، أما

سامراء ، العاصمة الجديدة ، فامتلأت سماؤها بحراب الجيش التركي الذي ابتكره المعتصم لنفسه زاهياً مكسواً بالديباج ، فغدا أشبه بالحرس الإمبراطوري الروماني . كان المأمون يتعاطى الفلسفة ومجادل المعتزلة ، أما المعتصم فهو ، كما يذكر ابن الطُّقَطَمَى في « الفخري في الآداب السلطانية » ، « يحمل ألف رطل ويمشي بها خطوات » ! وكان ، على حد قول السُّيُوطِي في « تاريخ الخلفاء » ، « عُزياً من العلم » !

## الطغمة العسكرية التركية وتفجر التناقضات

هذه الطغمة العسكرية التركية جعلت « التناقضات » تستفحل في أروقة قصور الخلافة العباسية . فقد استبدت بالسلطة الفعلية ، بخاصة إثر مصرع المتوكل ، فأسمى الخليفة طُوع بنائها ، وما أن يسعى إلى الخلاص من وصايتها حتى يلقي حتفه تَوّاً . وهكذا توالى على كرسي الخلافة في مدة زمنية خاطفة ( ٢٤٧ - ٢٥٦ هـ ) أربعة خلفاء بعد مصرع المتوكل هم : المنتصر ، المستعين ، المعتز والمهتدي . وكان هؤلاء الخلفاء صنائع الأتراك في البداية ، ثم تمللموا من تحكّمهم وجورهم . فذلك لحقه السمّ ، وذاك فرّ ناجياً بجلده ، وثالث ورابع انتهتبهما السيوف ! ولقد توصّل بعض الأتراك البارزين الى مصاهرة البيت المالك نفسه ، شأن القائد بُغا الكبير ، وكان أيضاً ابن خالة المتوكل .

ولم يكن التناقض على مستوى قمة الحكم بين الخليفة والطغمة التركية هو التناقض الوحيد ، فقد كانت الخلافات تدب بين القادة الأتراك أنفسهم ، في صفوف القيادة المسيطرة ، فتنعكس على جنودهم بعضهم ضد البعض الآخر . وإن كانت كلمة القادة الأتراك تتوحد على نحو مرحلي مؤقت ، عند مجابهة أي خليفة يسعى إلى الوقية بينهم ليستثمر خلافاتهم . ثم إن العامة كانوا يتدمرون من تصرفات الأتراك وتعدياتهم ويضجون بالشكوى ، وربما جاوزوا ذلك إلى

توزيع الرِّقاع ، أي المناشير بلغة اليوم ، صنيع العامة عندما انبروا إلى دعم الخليفة المهتدي ، الرضويّ السيرة النقيّ السريرة ، ضد الأتراك الذين عمدوا الى قتله . إن النفوذ التركي كان بمثابة العصا الغليظة البطّاشة التي أتى بها بعض الخلفاء العباسيين ليحموا بواسطتها أنفسهم ، لكنهم أمسّوا في ما بعد بحاجة إلى مَنْ يحميهم من هذه العصا المجلوبة . كان العرب الحاكمين يستعينون بالأتراك المرتزقة لضرب المعارضة العربية والقوميات الثائرة ، لكن مراكز هؤلاء الأتراك كانت تتقوى ، فيضربون بالتالي مواقع العرب الحاكمين ويعززون مشاركتهم لهم في السلطة . لقد بدت الخلافة ، مع سطوة الطغمة العسكرية التركية ، حكماً شبه دخيل يكاد لا يربطه بالناس رابط .

لكن التناقض الذي أبهظ كاهل الخلافة هو أن الطغمة العسكرية التركية ساهمت بقوة في السطو على بيت المال وإفراغه ، بحيث بدت الدولة عاجزة عن الوفاء بالتزاماتها ، حتى حيال جند الجيش النظامي التركي العاديين البسطاء الذين كانوا يشغبون طالين رواتبهم المستحقة فيصرخ بهم « وصيف » ، أحد أقطاب الطغمة التركية المتحكمة : « خُذُوا ثُرَاباً ، وهل عندنا مال ! من الصحيح أن الطغمة العسكرية التركية كانت تشارك الفئة العربية الحاكمة في تجديد استمرارية علاقات الإنتاج القائمة والإطالة في عمر السلطة المطلقة ، غير أن العبء المالي الذي شكّلته الطغمة التركية على مالية الدولة ، وازدياد المتطلبات العسكرية مع بداية تفكك الخلافة العباسية ، ونزوع الولاة المحليين الى الاستقلال ، وتواتر حركات التمرد والخروج على سلطة بغداد ؛ هذه العوامل المتداخلة جعلت التناقضات الاجتماعية تنتقل الى حالة التفجّر تحت وطأة النهب العسكري على نحو لصوصي ، مما أحدث على الأرجح « تضخماً مالياً » ، بخاصة مع نفاد أو ضياع مناجم الذهب والفضة .

ونتج عمّا تقدم ذكره أن نشطت الانتفاضات على طاعة الدولة المركزية إثر



مصرع المتوكل . فهذا يعقوب بن الليث الصَّفَّار يطيح بآل طاهر ويستولي على فارس . وقد حاول عليّ بن محمد ، قائد ثورة الزّنج ، الاستفادة في ما بعد من قوة الصَّفَّارين ، فاقترح عليهم التحالف ضد جيوش السلطة . وتمرد أحمد بن طولون على مركز الخلافة فاستقل بمصر وسوريا ، قاطعاً بذلك شريان الواردات المالية عن بغداد يوم كانت في أمس الحاجة إليها . وتحرك الخوارج بدورهم ، بعد طول استكانة ، في دائرة الموصل . واشتدت المعارضة العلوية في الكوفة ومِصر وطَبْرِستان . وكان النهوض الثوريّ يبعث تحت الرماد مع القرامطة واختمار قواهم ونزولهم بين الناس والجماهير الكادحة مسلحين بالدعوة والدُّعاة ، شأن الأحزاب الثورية المعاصرة . ولقد تفاعلت آثار متبادلة بين هذه الحركات ، خصوصاً الحركات الثورية الداعية الى العدالة الاجتماعية ، أمثال الزّنج والقرامطة . ومن الثابت أن لقاء تمّ بين عليّ بن محمد ، صاحب الزّنج ، وحمدان قَرْمَط ، ومن الراجح أن فلول الثورة الزّنجية ، عقب اندحارها ، قد انضوت تحت لواء الثورة القرمطية في العراق .

## الاسلام والرق

إن اليد العاملة في إحياء الأراضي الموات في منطقة البصرة ، والمكوّنة من العبيد ، الزّنج ، خضعت لمعاملة زريّة تتنافى وتعاليم الإسلام نفسها التي لم تلغ الرّق ، إلا أنها دعت الى الحُسنى في معاملة الرقيق والرفق به . كما أن هذه المعاملة الشرسة لا تتوافق مع وصايا النبي الذي كان يحضّ المسلمين على مساواة أرقائهم بأنفسهم ، يُطعمونهم مما يأكلون ويُلْبسونهم مما يلبسون ، ولا يكلفونهم من العمل ما لا طاقة لهم به ، ولا يعرضونهم لعذاب أو مكروه . فأين هذه التعاليم والوصايا من الواقع المِهين الذي رزح فيه الأرقاء الزّنج ؟!

يقتضينا الإنصاف أن نضع خطأً فاصلاً بين المعاملة الشرسة التي خضع لها

الزَّنج في المشاريع الزراعية الكبرى في العراق ، وفي منطقة البصرة خصوصاً ، وبين سائر الأرقاء من بيض وزنج في الإمبراطورية العباسية المترامية الأطراف . من الصحيح أن الواقع القانوني الفقهي النظري لا يتطابق دائماً مع الواقع العملي الفعلي ، لكن وقائع الحياة المسطورة في كتب التاريخ والأدب والفكر تحمل على الاعتقاد أن المجتمع الإسلامي ، مع إقراره بالرق واستغلاله للعبيد كشكل من علاقات الإنتاج ، لم يذهب بعيداً ، على شاکلة المجتمع الروماني مثلاً ، في استثمار العبيد واستنزاف قواهم حتى الرمق الأخير . إن وجود التشريع الفقهي ، حتى ولو لم يُعمل به دوماً ، لدليل على أن الرقيق له حقوق وعليه واجبات ، ويمكنه محاولة الانتفاع بالنص القانوني في كثير من الأحيان لصالحه . وتتبدى لنا هذه الواقعية ، على سبيل المثال ، في نظرة كل من المسيحية والإسلام الى المرأة الجارية المحظية . ففي حين أن الجارية في المسيحية ترتبط بسيدها بعلاقات تُعتبر غير شرعية ، ولا تحوز على أي حق لها أو لأولادها ، فإن الجارية التي تصبح « أم ولد » ، في الوسط الإسلامي عهدذاك ، تكسب حريتها عند وفاة سيدها الذي تبيح له الشريعة مجامعة جواريه ، كما أن الأولاد الذين تُرزق بهم يولدون أحراراً . من الصحيح أن العبد كان مُلكاً لسيده ، لكن هذه الملكية ليست مطلقة . فالعبد يتناول أجراً ، ومن حقه أن يتزوج ، ويمكنه أن يحرر نفسه لقاء مبلغ من المال ، إلى جانب أن الإسلام حثّ المؤمنين على عتق عبيدهم .

كان العبيد يعملون في البيوت ، فيصبح الكثير منهم موضع ثقة أسيادهم ، بحيث يكلفونهم الإشراف على أعمالهم أو العناية بأولادهم . أما العبيد الزَّنج فكانوا يعملون في البيوت والجيش ، وتُستخدم النساء منهم جوارٍ ومُرضعات . وكان العبيد ، السلافيون بشكل خاص ، يخضعون لعملية شنيعة تجعل منهم خِصياناً ، ليقوموا بحراسة الحرم ! وارتقى بعض

العبيد إلى مناصب كبرى في الجيش ، بدليل العبيد الأتراك الذين أت بهم الخلافة من آسيا الوسطى ، وقد تسلط بعضهم على شؤون الحكم بحيث أضحى الخليفة العوبة بين أيديهم . وكان كثير من العبيد يشتغلون في الصناعات اليدوية ، أو يتعاطون التجارة أو الزراعة بشكل شبه حر ، أو تجعلهم الخلافة يعملون في مشاريع البناء الكبرى . على أن الإنتاج في العصر العباسي ارتكز ، عموماً ، على الفلاحين الأحرار وأنصاف الأحرار وعلى العمال اليدويين . ولم يعرف الإسلام بشكل عام غط الإنتاج العبودي الذي مورس في المزارع الكبرى ، اللاتيفونديا الرومانية ، وفي مستعمرات العبيد المصارعين ، حيث ثار سبارتاكوس عام ٧٣ ق.م. وتزعّم العبيد في ثورة عاتية بأسلة سيطرت على جنوب إيطاليا . كان الرق في التاريخ الإسلامي من المؤسسات العائلية والاجتماعية ، بيد أن هذا التاريخ لم يعدّ استثناء واحداً تمثّل في الزّنج الذين استعملوا على نحو جماعي ضمن المشاريع الزراعية الكبرى في منطقة البصرة ، وذلك في القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي . وقد حدث هذا عندما انطلقت التجارة الى مداها الأرحب ، وعرفت الزراعة توسعاً كبيراً ، وترامت حركة إحياء الأرض الموات نتيجة التضعف السياسي والنهب المالي ، وربما من أثر النهوض الاقتصادي ، مما أدى ، عهدذاك ، إلى تنامي النظام العبودي في العراق وانتشاره .

عندما قضى « كراسوس » في مذبحة دموية على سبارتاكوس وصحبه عاد من « كابوا » الى روما منتشياً ، وشنق على الطريق ستة آلاف من العبيد الأسرى ، فخطّ بذلك درباً من العذاب والصُّلبان لا يُنسى . ومن وقائع التاريخ أن معظم الزّنج ، المنضوين تحت لواء صاحبهم عليّ بن محمد ، كان مصيرهم الموت الزّوأم ، ومن تبقي منهم عاد إلى الاسترقاق مجدداً . إن العبيد الزّنج هم صُلبان التاريخ الإسلامي ! وربّ قائل إنه كان على الإسلام أن

يلغي الرقّ تماماً ، وَفَقَ إيديولوجيته الإنسانية ، لكن هذا قول مثاليّ ينظر إلى التاريخ من خلال هالة الدين لا عبر الواقع الاقتصادي والتاريخي . إن التاريخ تصنعه الضرورات ، وليست أرضه مبلطة بالنوايا الطيبة والأفكار المطلقة .

## تكوّن البطائح في العراق

كان الزّنج يشتغلون في أراضي البصرة على شكل جماعات حاشدة ، مؤلفة من المئات أو الآلاف ، يخوضون في عمل مرهق يتطلب قوة ومثابرة وجَلَدًا ، إذ إن منطقة أدنى العراق كانت أراضيها مشبعة بالملح ، المتأتي من طبيعة الأرض ومن طغيان أمواج البحر ، عند رأس الخليج الفارسي ( أو الهندي قديماً ، والعربي حديثاً ) ، وتسلسل مياه هذه الأمواج مع حركة المد والجزر إلى شط العرب ، أو كما كان يُدعى دجلة العوراء ، عند ملتقى دجلة والفُرات في مجرى واحد ، ثم تسرّب هذه المياه مع الزمن إلى أعماق التربة ، مكوّنة طبقة ملحية تعطل الأرض . وتعرضت منطقة أدنى العراق التي تحترقها الأنهر بغزارة عجيبة للبُثُوق والفيضانات الموسمية ، فتحوّلت أراضيها إلى مستنقعات تُدعى البطائح ، وتخللها الأهوار وهي بحيرات غير عميقة الأغوار . ويعود السبب إلى أن مياه الفيضانات لا تقوى ضفاف الأنهر الواطئة الرخوة على صدّها فتنفجر البُثُوق عَبْرَ هذه الضفاف ، وتغمر المياه المتدفقة الأراضي حاملة إليها الطُّمي المخصب للزراعة . وتشمل البطائح المنخفض المنبسط الممتد من الكوفة وواسط شمالاً حتى البصرة جنوباً .

ويرجع ظهور هذه البطائح ، كما يذكر البلاذري ، إلى العهد الفارسي حينما انفجر بُثُوق كبير عند أسافل كَسْكَر ، وذلك أيام قُبَاذ بن فيروز الذي كان مهملاً واهناً ، فكان أن غطّت المياه كثيراً من الأراضي العامرة . ثم كان زمن كسرى أنوشروان فولّى ابنه الأمر ، فعالج الأراضي الغارقة بأن أقام

المستنات ، أي السدود ، فعاد بعضها صالحاً . بيد أن أمر ظهور البطائح ليس رهنأ بتاريخ الأكاسرة ، كما يرد في المصادر العربية ، وذلك لأن البطائح قديمة عهد في جنوب العراق ، وقد ورد ذكرها في الكتابات المسمارية تحت لفظ يعني المستنقعات ولفظ آخر يعني الأراضي المغطاة بالقصب . وهذه السدود التي أتينا عليها مع كسرى أنوشروان عمل كل مَنْ توالى على المنطقة في إقامتها ، منذ الأشوريين مروراً باليونان والرومان فالفرس . ولكن في بداية الفتح الإسلامي ، في السنة السادسة أو السابعة للهجرة ، ارتفعت المياه في دجلة والفرات ارتفاعاً خطيراً لم يُعهد من قبل ، فحدثت بشوق كبرى وطفت المياه على عدة طساسيج ، أي النواحي الزراعية ، طافية فوق العمارات والزروع . فجهد كسرى أبرويز بنفسه في وقفها وسكر البُثوق فلم يُفلح رغم طغيانه ، إذ صلب في يوم واحد أربعين عاملاً أو كما جاء في « الأحكام السلطانية » للماوردي « سبعين سكارى » . ثم كانت الفتوح الإسلامية فشغل الطرفان بالمعارك والبطولات ، فكانت البشوق تتوالى ولا مَنْ يلتفت إليها ، ويقف الدهاقين عاجزين عن إصلاحها . فازدادت البطائح اتساعاً ، بحيث انتهت مع الزمن الى مساحة شاسعة لا يستهان بها أبداً . وقد قدّر ابن رُسته في « الأعلام النفيسة » مساحة البطائح بثلاثين فرسخاً في ثلاثين . وقدّرهما المستشرق لوسترنج في كتابه « بلدان الخلافة الشرقية » بخمسين ميلاً عرضاً في مائتين طولاً . وبلغت الحساب فنحن حيال مستنقعات تغطي مساحة من الأرض تبلغ لبنان مرة وثلاثة أرباع المرة تقريباً ! فمساحة لبنان تنيف على عشرة آلاف وأربعمائة كيلومتر مربع ، في حين أن مساحة البطائح عشرة آلاف ميل مربع ، مع العلم أن الميل يساوي ١٦٠٩ أمتار .

## أدوات الإنتاج : العبيد الزنج

كان على جموع الزنج ، يشاركونهم في هذا العمل الشاق عبيد أو أنصاف

أحرار من البَيْض أيضاً ، أن يجففوا المستنقعات ، وأن يكسحوا الطبقة الملحية ، وتسمى السِّبَاخ أو الشُّورج ، فتتراكم هذه الكسوح على هيئة كُثبان كأنها الجبال . وكان للملح قيمته التجارية في ذاك العصر ، وكان مادة يقايض عليها بالعبيد في أفريقيا . لذا وُجدت فئة من التجار هم الشُّورجيون يتعاطون العمل بهذه الكسوح الملحية ، فيسخّرون من أجلها مئات العبيد وربما بعض الأحرار الذين كانوا يُعرفون بـ«غلمان الشُّورجيين» . والغلام ، لغةً ، هو العبد والأجير . وكانت مهمة هؤلاء الغلمان أن يجمعوا الكسوح الملحية ، ومن ثم ينقلوها ، بواسطة البغال ، إلى حيث يتم الاتجار بالملح . وهكذا فإن الأرض السَّبخة ، عقب إزالة الأملاح عنها ، تغدو مؤاتية للزراعة بعد أن تم استصلاحها .

لقد كان الزَّنج يَحْيُون في مستوى أدنى من الأرقاء ، فهم مجردون من أي حق ، ويعملون دون لقاء سوى قليل من الطعام لا يفي بمتطلباتهم الجسدية وبظروف عملهم المظني . كان طعامهم مؤلفاً من التمر ، المتوافر بكثرة في المنطقة ، ومن الدقيق ، والسُّويق . وهذا المأكّل يُصنع من طحين الحنطة أو الشعير المحمّص الممزوج بالتمر ، وهو على العموم لا يُشبع ولا يغذي ، ويولّد الرياح في المعدة فينفخها ، وهو عسير الهضم . ويكفي أن الجاحظ وصف السُّويق في «البخلاء» قائلاً إنه : « من عُدّد المسافر ، وطعام العَجْلان ، وغذاء المبكر ، وبُلغة المريض » . وهكذا كان الزَّنج يعيشون شبه جِياع ، في حين كان أثرياء البصرة يكذّسون الأموال من جرّاء استثمار أدوات إنتاج شبه مجانية ، فيستقطرون أتعاب العبيد الزَّنج وعذاباتهم دنائير لامة . لهذا كانت ساعة الانتقام الطبقي من قِبَل الزَّنج المظلومين حيال جشع التجار شديدة الوطأة على البصرة ، كعبة المستغلّين ومستودع أموالهم .

لم يكن العبد من الزَّنج غالباً في بورصة النِّخاسة لذاك العهد ، فثمنه

يتراوح بين ثلاثين وخمسة وثلاثين ديناراً ، في حين كان العبد الأبيض يصل ثمنه إلى أضعاف مضاعفة لهذا الثمن البخس . إن أثرياء البصرة كانوا يحشدون العبيد الزنج برأسمال لا يرهق خزائهم ، ويسخروهم ، لقاء طعام بسيط ، محلي ، زهيد الكلفة ، وذلك للعمل في أراضٍ حصّلوها بالمجان من طريق الإحياء . وهكذا فإن « فائض القيمة » بين ما بذله التجار أصحاب الإقطاعات من أموال ، وما حصّلوه من سبيل الاتجار بالشورج أي الملح وبواسطة زراعة الأرض المستصلحة ، يبدو باهظاً . وكان الزنج يعملون تحت رقابة وكلاء لأصحاب الإقطاعات يشرفون على سير الأعمال ، وهؤلاء الوكلاء من العبيد المعتقين الذين يُغلظون في معاملة الزنج ، يبغون تبييض وجوههم لدى السادة ، ليفوزوا بفتات الغنائم ، وليشتوا تمايزهم الطبقي الجديد . وكلما كان عَسَف هؤلاء الوكلاء مع الزنج أشدّ كان حاصل الإنتاج أوفر ، والرضا عنهم لدى أرباب عملهم أعم .

إن الزنج العاملين في استصلاح أراضي الموات بالبصرة كانوا يعيشون واقعياً ، من الناحية المادية ، في مجاعة مستترة ، فهم يسمعون بالشبع دون معرفته . وكانوا يعملون أطراف النهار في كدّ متواصل ، ليرغموا آناء الليل منهكين في عراء تظللهم السماء أو في أكواخ حقيرة من الطين والخوص أي سَعَف النخل . كان الزنج ، شأن القرماطيين والنوبة والفُراتية ، يعرفون التعامل باللغة العربية ، لأنهم يعودون في أصولهم إلى بلاد السودان والنوبة ذات الصلة بالعرب لغة أو بالإسلام ديناً وحضارة ، أو أنهم من الذين مكثوا طويلاً في فُرات البصرة فتأثروا بالعاملين المذكورين . إن وجود الزنج في المنطقة عندما غدت إسلامية يرقى إلى القرن الأول الهجري ، بدليل أنهم تمردوا في فُرات البصرة عدة مرات ، ولم تكن أعدادهم بعدّ كبيرة جداً ، وذلك أيام مُصعب بن الزُبَيْر في السنة ٧١هـ ، وتحت ولاية الحجاج بن يوسف على العراق

في السنة ٧٦هـ ، وخلال خلافة المنصور أيضاً . غير أن الزنج الأنقياء أتى بهم تجار الرقيق المسلمون من بلاد الزنج ، أي على طول امتداد السواحل الشرقية لأفريقيا التي عرفها العرب قديماً ، حتى قبل الميلاد ، وارتبطوا معها بعلاقات تجارية وثقى . هؤلاء الزنج الأنقياء أفلّهم تجار الرقيق ، على شكل أسرى أو بواسطة الشراء ، الى منطقة البصرة ، وذلك من مرافئ زنجبار ، وبمسّه الواقعة حالياً في كينيا ، وسُفالة في موزمبيق ، ومن جزيرة مدغشقر . ولم يكن هؤلاء الزنج الأنقياء يفقهون العربية ، وقد عاشوا كالغرباء في محيط العراق الأدنى ، وكان عليّ بن محمد ، قائد ثورة الزنج ، يستعين بترجمين لينقلوا اليهم فحوى خطبه في حشود الثائرين . إن زنج البصرة في أعدادهم الكثيفة الكبرى ، مما يمكن استنتاجه من الجيوش الضخمة التي واجهوا بها الخلافة خلال ثورتهم العظمى ، أملت مجيئهم الحاجة التطورية الاقتصادية ، ولم يتوافر لمعظمهم المزج الحضاري أو التأثير بهذا الشكل أو ذاك بالبيئة الإسلامية ، شأن غيرهم من الزنج القدامى على المجتمع الإسلامي الذين قد يكون عناهم الجاحظ عند وضعه رسالة « فخر السودان على البيضان » .

## نمط الإنتاج العبودي

والأمر الباعث على الدهشة أن الزنج ، بالإضافة إلى الحرمان في المأكل والسكن ، لم يكونوا يخيّنون حياة عائلية ، ويشير المسعودي في « مروج الذهب » الى تميّز الزنج بالنمو البالغ للأعضاء الجنسية ! ولا ندرى إذا كان تجار البصرة قد أكرهوهم على هذه الحياة لئلا يستنفدوا جزءاً من قواهم الجسدية في المجاعة . إنه بالأحرى نمط الإنتاج العبودي حيث يحشد المستثمرون العبيد على شكل « كولونيالي » ، يستخرجون عملهم قطرة وراء قطرة ، شأن الآلات الصماء . وليس يبالي المستثمرون بعدها أجاج العبد أم عانى الحرمان أم هلك ؟ لأن العبيد الزنج كانوا يشكّلون أسفل قاعدة الهرم الاجتماعي من حيث حقارة



الأوضاع التي رسفوا في أغلالها ، فنيخ المجتمع العباسي بثقله الاستغلالي اللفظ على هؤلاء الآدميين التعساء . فالزَّنج يشبهون « البروليتاريا الرثة » التي ذكرها ماركس ، مع فارقين مهمين وهما : إن هؤلاء الزَّنج يعملون على نحو جماعي ، ثم إن صلتهم بالإنتاج متينة . وكانت الطبيعة تشارك التجار من الأثرياء المحدثين في عراق العباسيين في استرقاق الزَّنج ، وذلك أن الأوبئة الخبيثة كانت تستفحل بين صفوفهم ، بسبب الظروف القاسية في منطقة البطائح حيث تتفشى الرطوبة بسبب المستنقعات ، تنضاف إليها الحرارة اللاهبة نتيجة مُناخ العراق المعهود . فنتشر أسراب الهوام ، كالبرغش والبُعوض والبَق ، تزرع بلسعاتها في أجساد الزَّنج ، المفتقرة إلى التغذية ، الأمراض المنهكة والجراثيم الفاتكة ، ونخص منها بالذكر الملاريا .

إن هذا النظام العبودي خضع له الزَّنج العاملون في الأرض أو المرتبطون بالإنتاج ، شأن غلمان الدِّبَّاسين والتَّمارين الذين كانوا يشتغلون بالتمور كما يستخرجون منها الدِّبَس . والبصرة ذات شهرة بعيدة في إنتاج أصناف التمر التي لا حصر لها ، وأراضيها تغطيها ملايين باسقات النخيل . وهذا الإنتاج من التمر والدِّبَس يلعب دوراً حيوياً في اقتصاديات البصرة فالعراق قديماً وحديثاً . ولا يغربن عن بالنا شأن البصرة التجاري العظيم ، بدليل قيام « المِرْبَد » في سالف الزمن بين جنباتها همزة وصل بين الحاضرة والصحراء ، ولا ننسَ موقع مينائها النهرى - البحري . وكان بعض الزَّنج يعمل في المناجم ، أو في الملاحه . وخدم فريق منهم في الجيوش ، واشتغل فريق آخر في بيوت الأثرياء من أصحاب الأراضي وعند التجار الموسرين ولدى رجال الحكم المرفهين . وهذان الفريقان الأخيران كانا في وضع مادي واجتماعي أفضل بلا ريب ، لأن الجيش يحمي الخلافة ويقوم بالغزوات فيلقى نصيباً من الخيرات ، والعمل في البيوت ، أي قطاع الخدمات ، يوفر طعاماً معقولاً بشكل نسبي

وبيئة غير قاسية إذا ما قيست بظروف العمل في الأرض والإنتاج . والزنج الذين كانوا يعتصرون حياتهم في استصلاح الأرض وتمهيدها للزراعة والإنتاج ، شكّلوا النواة الحقيقية التي عقد عليها عليّ بن محمد وصحبه من القادة ذوي البشرة البيضاء ، الآمال في استنهاضها ودفعها في ثورة عاتية ضد الخلافة . لقد كوّنوا مادة ثورة الزنج ولحمها وعصب انتصاراتها ، ثم أمسوا ضحاياها وصلبانها . وثورتهم المسحوقة ، عقب خمس عشرة سنة من الجهود الحربية التي بذلتها الخلافة ، هي التي وأدت نمط الإنتاج العبودي الذي كان ينمو فوق أرض العراق(\*) .

(\*) خالفتُ في هذا البحث المقتضب الأسلوب الأكاديمي الذي من شأني أن أتبعه دائماً ، وأعتقد أنه الأوفق عموماً ، بحيث لا أذكر رأياً ولا أدلي بفكرة إلا وأرفقها بالمصدر المعني أو المرجع المناسب . وهكذا يبدو ما ليقصر ليقصر ، ويتبين القارئ الإضافات المحتملة التي قد تكون نجحنا في إضافتها على الموضوع المطروح . لذلك أجدني في هذه المرة أسوق مراجعي الأساسية دفعة واحدة ، مع إغفال المصادر المتفرقة ، شأن البلاذري والسعودي وقُدامة والماوردي وغيرهم من العلماء الأوائل . لكن ما يخفف من شعوري بالتقصير الأكاديمي قناعتي أن أهم ما جاء في هذه الدراسة العامة ، من حيث الصياغة الفكرية والاستنتاجات المحورية ، يعود في معظمه الى آرائي الشخصية . ثم إن التجربة أرشدتني أن أسلوب الكتابة الذي لا تنقله الحواشي والسّمات العلمي الجاف ، هو أجدي للقارئ غير المختص وألس .

ويعد ، فهناك ثلاثة مراجع رئيسة ينبغي الإتيان على ذكرها هي التالية :

- ١ - فيصل السامر : ثورة الزنج ، دار القارئ ، بغداد ١٩٥٤ . وقد أطلعنا في هذا الكتاب على الفصل الأول : الزنج وأحوالهم الاجتماعية (ص ٩- ٣٧) .
- ٢ - أحمد غلبي : ثورة الزنج ، وقائدها عليّ بن محمد ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١ . وقد استندنا على كتابنا القديم لاستقاء المعلومات التاريخية من الباب الثاني : أسباب ثورة الزنج ، بفصوله الثلاثة : العوامل السياسية (ص ٥٤- ٦٣) ، الفصل الثاني : العوامل الاقتصادية (ص ٦٤- ٧٤) ، والفصل الثالث : العوامل الاجتماعية (ص ٧٥- ٨٤) .

٣ - وقد انتفعنا بأطروحة ألكسندر بوبوفيتش ، المقدمة الى السوربون بالفرنسية : عليّ بن محمد وثورة العبيد في البصرة ، باريس ١٩٦٥ . ففي هذا العمل لبوبوفيتش ثلاثة =

= فصول هي الرابع والخامس والسادس ، تقوم في حقيقتها على جمع مقتطفات ومتنقيات مستقاة خصوصاً من مستشرقين عُثُوا بالموضوعات المطروقة :

الفصل الرابع : الرقّ في الإسلام ( ص ٥٤ - ٥٩ )

الفصل الخامس : المنطقة ( ص ٦٠ - ٩٣ )

الفصل السادس : العصر ( ٩٤ - ١٠٤ ) .

وقد أعاد المستشرق صياغة هذه الفصول عبر سياق تألّيفي لدى طبع أطروحته بعدها في كتاب يحمل العنوان التالي : ثورة العبيد في العراق خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، منشورات غوتتر ، باريس ١٩٧٦ . وفي هذه الصياغة الجديدة لهذه الفصول المقدمة الذكر نزل الصديق بوبوفيتش عند أحد تمنّياتنا التي وجهناها له لدى نقدنا المسهب لأطروحته ( أنظر كتابنا : الإسلام والمنهج التاريخي ( ص ٢٥ - ٦٢ ) ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٥ ) .

## الفصل الثالث

سبارثا كوس ، صاحب الزنج ، المخنثار الشقي  
ويونوس  
( دراسة في السلوك السياسي - الميتولوجي )

لفقيد الأدب العربي ، طه حسين ، دراسة تحمل عنوان « ثورتان » نشرها في مجلة « الكاتب المصري » ( مايو ١٩٤٦ ) التي كان يرأس تحريرها ، ثم أعاد نشرها في كتابه « ألوان » ، وهي تقوم على المقارنة بين ثورة سبارتاكوس في العهد الروماني وثورة الزنج في العصر العباسي . والدراسة بمجملها أدبية الطابع ، تفتقر إلى التحليل العلمي المعمق ، ولا مسوغ تاريخياً يبررها إذ أيّ جدوى في عقد المقارنة بين ثورتين لا رابط بينهما في الزمان والمكان والظروف الموضوعية . على أن أهم ما يستوقفنا في بحث طه أنه يبحث الأدباء العرب على استلهم ثورة الزنج ، كما استلهم الأدباء الأوروبيون من ثورة سبارتاكوس أعمالاً جميلة . وهو استلهم يصل الحاضر بالماضي ، ويضيء صفحة مشرقة من المطالبة بالعدل الاجتماعي ومن المساهمة الإنسانية في هذا السبيل ، كما يوضح أننا لسنا بدخلاء أو غيلاً في تطلّب العدل والسعي إليه في رفق أو عنف وإنما هو حلقات متصلة في تاريخنا لا يميّز بينها سوى التطور الذي لا بدّ منه . وأولى بكتّابنا أن يلتفتوا إلى هذا الزاد الثوري يدرسونه ويستلهمونه ويتبصرون أننا قدماء في موضوعات العدل ونُظّمه التي تفد إلينا في أيامنا من وراء البحر وتلمسها الكثيرون متناسين أن لهم سجلاً على هذا الصعيد حريّ بنا أن نتمعن فيه

ونستنطقه شعراً ونثراً ودراسة<sup>(١)</sup>.

## ثورة سبارتاكوس

ولو جئنا ندقق في ما أتى طه حسين على ذكره في دراسته « ثورتان » من أمر ثورة سبارتاكوس لوجدنا أنه يسرد من الأحداث ظواهرها الحربية الماثلة دون عللها الاجتماعية الكامنة . لقد كانت الثقافة اليونانية ديمقراطية الطابع جماعية تحاطب الروح والجسد لتحقيق الجمال ، في حين أن الثقافة الرومانية غدت أرستقراطية تنتفع بها أقلية غيورة ذات امتيازات تشتري بها الفنون وأصحابها . أما العامة فشأنهم الاحتفالات الدامية بين العبيد المصارعين ، والتي كانت في أصل منشئها الديني تقام لغرض تقديم القرابين البشرية على شرف فقيد عظيم الشأن ، ثم صارت لتسلية العامة غير المنتجة وإشباع غرائزها القبيحة . كانت الألعاب المتنوعة تدور غالباً سحابة عدة أيام ، ويمجري الصراع خلال ساعات تقديم ألعاب المصارعين بمختلف الأسلحة المستعملة والبالدة ، وكانت الوحشية سيدة الموقف ، وتنتهي المباراة على جثة أحد المتصارعين المدربين بحذاقة ودماؤه تشخب وتندفق ! وكان الجمهور ، المكوّن في غالبيته من أناس عاطلين عن العمل ، يتطلب وملي بصراخه المدوي أن يكون الموت للمغلوب ختاماً ومصيراً مكتوباً . وكما تُعلف الحيوانات فإن العبيد المصطرعين كانوا يُطعمون ويُعدّون للنزال ، ولم يكن ثمنهم باهظاً في سوق تجارة الرقيق ، في حين أن الفائدة التي يجنيها أصحابهم خلال استعمالهم في الألعاب تبدو كبيرة . وكانت العداوة مستحكمة بدل التضامن الطبقي بين هؤلاء العبيد ، لأن صراع البقاء يدور بينهم ، فالبقاء

(١) طه حسين : « ثورتان » ، مجلة « الكاتب المصري » ٢م ، ع ٨ (مايو ١٩٤٦) ، ص ٥٥٤ - ٥٥٦ - أراجع كتاب « ألوان » ، ط ٣ ، ص ١٦٦ و ١٦٧ .

للأقوى المنتصر في ألعاب المصارعين هذه التي أمست علامة مميزة للعصر الروماني ولنمط ثقافته !

كان لا بد من شرارة لهذا الوضع المأساوي . وكان أحد أصحاب مدارس تدريب العبيد المصارعين في « كابوا » قد جمع في حوزته عدداً من العبيد من تراقيا وبلاد الغال وجرمانيا ، وكانوا في أمسهم غير العبيد أحراراً فاسترقّتهم روما في حروبها على الشعوب المجاورة . ونهض بينهم سبارتاكوس ، وهو حر من تراقيا خدّم في جيش روما ثم هرب من الخدمة لينضم إلى أعدائها . وعندما وقع أسيراً عوقب بالاسترقاق ، وكان مآله هذه المدرسة للمصارعين في كابوا المحكمة التدريب والحراسة . لكن التّوق إلى الحرية يكسّر القيود ، فإذا بأربعة وسبعين من نُزلاء هذه المدرسة يخرجون من سجنهم في مقاطعة « كمپانيا » غير بعيد عن روما ويرفعون علم التمرد عند منحدرات « القُيزوف » . أما لماذا كمپانيا بالذات ، فلأن هذه المقاطعة خضعت للأوليغارشية الإقطاعية التي وضعت يدها على السهل الخصب المكوّن من الأراضي الأميرية ، عاملة على اضمحلال المُلْكِيَّة الصغيرة ، وحالت دون تطبيق القوانين الزراعية هناك . فكانت كمپانيا لهذا السبب أرضاً حُبلى بعناصر التذمر ، وكان الرعاة العبيد في مراعيها يعانون ما يعانيه رعاة صقليّة الذين سبق لهم وانتفضوا كما سنرى ، وآزرهم عهدها أربعة آلاف من عبيد كمپانيا . ولم يكن العبيد وحدهم في أحقادهم الراقدة ، فقد شاركهم فيها الفلاحون الصغار والعمال الزراعيون ، فكان أن حالف هؤلاء وأولئك سبارتاكوس ورفاقه عندما نهضوا بثورتهم عامي ٧٣ - ٧٢ ق.م .<sup>(٢)</sup>

هذا تحليل موجز لكنه يضع اليد على العوامل الاقتصادية والاجتماعية

وراء ثورة سبارتاكوس ، في حين أن طه حسين نسج دراسته عن هذه الثورة وعينه على كتاب « سبارتاكوس وثورة الرقيق في روما » الذي صاغه « أرثر كوسلر » مستوحياً إياها أدبياً ، ويأتي طه على ذكر كتاب كوسلر في دراسته ليحثنا أن نسعى سعيه عربياً مع ثورة الزنج . ولكن كوسلر ، الكاتب المجري ، جعل من هذه الثورة للعبيد مُشجَباً لتعليق أفكاره السياسية ، وليس ما أورده في كتابه عن هذا التأثير سوى نسيج روائي يفتقر إلى الدقة التاريخية ، وذلك بخلاف الكاتب الأمريكي المعروف « هاورد فاست » الذي قام بتحقيق تاريخي حريص عندما نشر روايته التاريخية « سبارتاكوس » . المهم في نظرنا أن هذه المقارنة بين ثورة المصارعين وثورة الزنج مصطنعة لا مسوّغ لها علمياً وحضارياً . وفي حين كان المصارعون يُعدّون للقتال ، ولهذا فإن أصحابهم كانوا يحرصون على إشباعهم وتغذيتهم ليكون لديهم جَلَد على القتال ، فإن الزنج كانوا يفتقرون إلى المأكل الذي يجلب العافية ويقاسون الجوع المستتر . لقد كان الأجدر بطه حسين ، منطقياً وعلمياً ، أن يقارن بين حركتين تنتسبان إلى التاريخ الإسلامي ذاته وإلى الحيز الجغرافي نفسه .

## الكلمة السحرية

من الطبيعي أن هناك سِمة مشتركة تجمع بين ثورات العبيد كافة ، وهي العُتق والتحرير وإخراج العبيد عَنوة من أيدي أسيادهم المالكين لرقابهم . فإذا كان شعار تحرير الطبقة العاملة في عصرنا هو المفتاح للدعوات المنادية بالعدالة الاجتماعية على مختلف نبراتها ، فإن نظام العبودية عندما كان سائداً متفشياً كانت « كلمة السر » فيه هي تحرير العبيد الذين كانوا يشكلون مادة الثورة المأمولة . لهذا عندما نهض سبارتاكوس متمرداً ثائراً ، تقاطر إليه الرعاة العبيد في كميانيا وانحازوا إليه وناصروه .

وفي الإسلام كان المختار بن أبي عُبَيد الثقفي ( ت ٦٧ هـ ) يملك الكلمة



السحرية فيقول : « أيّ عبدٍ بايعنا فهو حر . فسمعها عبدالله بن الزبير فقال : كان يقول إني أعرف كلمة إن قتلها كُثِّرَ تَبْعِي وهي هذه الكلمة » . ويعلق صاحب كتاب « الأوائل » الذي أورد هذه الرواية على الكلام المتقدم قائلاً : « صاحب الزنج بنى أمره على هذا فاستمال العبيد »<sup>(٣)</sup> . وبناء على هذا الوعد الصادر عن المختار الثقفي فقد تحلّق حوله في مَنْ تحلّق عبيد أهل الكوفة الذين أعطاهم العهد بتحريرهم وتزويدهم بأموال ساداتهم ، وقد حارب بواسطة هؤلاء العبيد وبالعلا من الرافضة سكان الكوفة المناوئين له ، وتغلّب عليهم وفكّ بالكثيرين وظفر بالأسرى<sup>(٤)</sup> .

## صاحب الزنج

والمتبّع لسيرة عليّ بن محمد صاحب الزنج لا بد أن يرى ، إذا أنعم النظر وقارن ، أن عليّاً أخفق في محاولاته الباكرة الأولى ، وذلك في البحرين وباديتها وفي البصرة نفسها ، عندما بنى طموحه الى السلطة على البدو والقبائل والعصبيّات ، بيد أنه عندما جعل من العبيد مادة تطلّعه ووقود ثورته أفلح وأفضّ مضجع الهاجعين في عاصمة الخلافة الجديدة « سامراء »<sup>(٥)</sup> ، إذ إن

(٣) أبو هلال العسكري : الأوائل ، ق ٢ ص ٥٤ .

(٤) عبدالقاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٤٨ .

(٥) يورد طه أن عليّ بن محمد ( وهو يذكره خطأ عبدالله بن محمد (؟) حيثما عرض له اسم غُبر دراسته ) قد كان متصلاً في بغداد ببعض الخدم المعروفين في رحاب قصر الخلافة ( بمجلة « الكاتب المصري » ، ص ٥٦٣ - ألوان ، ص ١٧٥ ) . والحال أن هؤلاء الخدم المحظوظين الذين اتصل بهم عليّ بن محمد ، شأن غانم الشّطرنجي وسعيد الصغير وُسْر الخادم ( ورد الاسم الأخير في الطبعة الألمانية لتاريخ الطبري « بشر » ، كما جاء لدى ابن أبي الحديد « بشير » ) ؛ هؤلاء الخدم كانوا يلازمون الخليفة « المنتصر » ، فهم من حاشيته ( مؤلف مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٥ ) . وُسْر كان خادماً المنتصر الخاص ( ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج ٨ ص ١٢٧ ) ، وذلك في عاصمة مُلكه الجديدة سامراء ( أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ص ٥٩ ) والتي نابت عن بغداد طَوَالَ المدة من ٢٢١ هـ على عهد المعتصم الى خلافة المعتضد ( ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ ) ( ابن =

الركيزة التي بنى عليها عليّ بن محمد ثورته هي تحرير العبيد وضمهم إلى صفوفه . وعندما بذل له أسيادهم الأموال وعرضوا عليه خمسة دنانير لقاء استرداد كل عبد أبي وتمنّع واستشاط غضباً ، إذ هؤلاء العبيد هم بحر ثورته وبردّهم إلى مواليتهم يكون قد وضع نقطة النهاية لمطمحه أو مطمعه . وعندما خُيّل للعبيد أن صاحبهم سيردهم إلى مواليتهم اضطربوا ، فجمعهم وحلف لهم الأيمان الغلاظ ، « وأعلمهم أنه لم يخرج لعرض من أعراض الدنيا ، وما خرج إلا غضباً لله ، ولما رأى ما عليه الناس من الفساد في الدين ، وقال : ها أنا ذا معكم في كل حرب ، أشرككم فيها بيدي ، وأخاطر معكم فيها بنفسي » . وما قاله هؤلاء العبيد أيضاً : « لِيَحْطُ بي منكم جماعة ، فإن أحسّوا مني غدرًا فتكوا بي »<sup>(٦)</sup> .

وإذا كان هناك من مقارنة معينة يمكن أن نعقدّها ههنا ، مجازاة لظه حسين في مسعاه ، فهي مثلاً السلوك الذي اتّبعه سبارتاكوس في إتيانه القسمة العادلة

= الطَّقَطَقَى : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، ص ٢٥٦ ) ، وهو « كان آخر من انتقل إلى بغداد من الخلفاء وأقام بها وترك سُرَّ مَنْ رأى بالكليّة » ( ياقوت : معجم البلدان ، ٣م ص ١٧٤ ، ١٧٦ ) . وقد عقد عليّ بن محمد الصلّات مع هؤلاء الخدم ، وذلك قبل سنة ٢٤٩هـ عندما ترك سامراء إلى البحرين وباديتها ، « وكان منهم معاشه ومن قوم من أصحاب السلطان وكتّابه يمدحهم ويستميحهم بشعره » ( الطبري : تاريخ الطبري ، ج ٩ ص ٤١٠ ) . وهذا الخطأ الذي وقع فيه طه حسين في أنه جعل العاصمة بغداد في حين أنها كانت لذاك العهد سامراء ، قد سبقه إليه ابن خلدون الذي يقول عن عليّ بن محمد : « إنه شخص من الذين حجّوا ببغداد مع جماعة من حاشية المنتصر ، ثم سار إلى البحرين سنة تسع وأربعين ومائتين » ( تاريخ ابن خلدون ، ٤م ص ٣٧ ) . والمنتصر هو قاتل أبيه المتوكّل ، وقد فصدّه طيبه ابن طيفور بريشة مسمومة بإغراء من الأتراك ، فكان من نصيب قاتل أبيه أنه لم يُكمل الأشهر الستة من خلافته الخاطفة ومات سنة ٢٤٨هـ . وما دام أن عليّ بن محمد قد ترك سامراء سنة ٢٤٩ ، فمعنى ذلك أنه عاصر المنتصر وأدرك المستعين الذي خلفه ( السُّيُوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٥٧ و ٣٥٨ ) .

(٦) الطُّبْرِي : تاريخ الرُّسُل والملوك المعروف بتاريخ الطبري ، ج ٩ ص ٤١٨ و ٤١٩ .

للأسلاب بين أتباعه حفظاً لحياتهم ، واستعانت به بالدين لضمان ثقة أتباعه به إذ كانت ترافقه امرأة من بلده ماهرة في تفسير مناماته وإضفاء طابع القداسة عليها<sup>(٧)</sup>. وهذا التصرف القائم على مراعاة المساواة بين الأنصار ، وعلى استثمار الدين في سبيل الدعوة — مما هو طبيعي لأن كل دين مهما كان هو لغة الناس المستساغة المفهومة — هذا التصرف عاوده عليّ بن محمد عند قيادته جموع الزنج ، بل إنه استعان بالإلهيات قبلها في محاولاته المخففة الأولى في البحرين والبادية والبصرة وخلال مكوثه في بغداد مدة عام . فهو يجري لسانه بسُور من القرآن لا يحفظها تارة ، ويدّعي أنه يدرك ما في ضمائر أصحابه طوراً . وفي بغداد « سأل ربّه بها آية أن يعلم حقيقة أمره ، فرأى كتاباً يُكتب له وهو ينظر إليه على حائط ولا يرى شخص كاتبه »<sup>(٨)</sup>. وازداد هذا المنحى عنده مع قيام ثورة العبيد . فعندما اقتحم الزنج البصرة سنة ٢٥٧ هـ وأعملوا فيها الخراب ، بحيث غدا خرابها مثلاً يُضرب على الزمن ، دعا صاحب الزنج على أهلها وألحف في الدعاء وسجد ، « فرُفِعَتْ إلى البصرة فرأيتها ورأيت أصحابي يقاتلون فيها » . ويضع عليّ بن محمد المسؤولية في خراب البصرة على الملائكة فيقول : « فعلمت أن الملائكة تولّت إخراجها دون أصحابي . ولو كان أصحابي تولّوا ذلك لما بلغوا هذا الأمر العظيم الذي يُحكى عنها . وإن الملائكة لتنصرني وتؤيدني في حربي ، وتثبت من ضَعُفَ قلبه من أصحابي »<sup>(٩)</sup>.

وقد أغفل طه حسين الكلام على مسلك سبارتاكوس ، في حين أنه ذكر سلوك عليّ بن محمد المتقدم بيانه . وعلّق طه حسين على هذا السلوك الذي نسبه المؤرخون إلى صاحب الزنج قائلاً بفطنة ليست غريبة على حسّ عميد

(٧) Brisson: Spartacus, p. 207.

(٨) الطبري : ج ٩ ص ٤١١ و ٤١٢ .

(٩) الطبري : ج ٩ ص ٤٨٧ .

الأدب العربي : « ومن الجائز أن يكون عبدالله بن محمد ( يقصد عليّ بن محمد ) قد زعم هذا كله أو بعضه لأصحابه ، فقد كان هذا النحو مذهباً من مذاهب نشر الدعوة ووسيلة إلى إثارة الجماهير . ومن الجائز كذلك أنه لم يقل من ذلك شيئاً ، وإنما تكلف المؤرخون ذلك غصّاً منه وتشهيراً به وزرارة عليه ، لأن النجاح لم يكتب له » (١٠) .

هذا المسلك « الميتولوجي » ليس وفقاً على سبارتاكوس أو عليّ بن محمد صاحب الزنج ، إن كل ساع إلى الثورة أو السلطة في الزمن الماضي تمثل بهذا المنحى على هذا الشكل أو ذاك . إن سلوك المختار بن أبي عبيد الثقفي مثلاً الذي قام في القرن الأول الهجري للثأر ، كما زعم ، من قتل الحسين ، وما نشره من ادّعاءات وتأويلات ومخاريق تجعلنا نقول إن عليّ بن محمد في ما صدر عنه بعدها خلال القرن الثالث الهجري صورة مقاربة لما كان عليه المختار الثقفي . ولماذا نذهب صُعداً في التاريخ ، أليس بعض الثوريين في عصرنا أشباه آلهة في ما دُعي بمرض عبادة الشخصية ؟ ولكنه مرض متجدد على ما يبدو ، وكل ناهض لاستئصال المرض تصيبه عدواه أحياناً !

## المختار الثقفي

عندما شرعت تتعاضم سطوة المختار الثقفي وتمتد رقعة نفوذه من العراقيين حتى حدود أرمينية أخذ ، شأن بعض سالفه ابتداء من مُسيلمة ، يسجع وكأن السَّجْع كان العلامة الفارقة والمشاركة والغطاء الروحي لكل ادّعاء النبوة أو الرسالة أو الزعامة المبرقعة بنقاب من الغموض والتهويل و« الكاريزما » العائدة لذلك الزمن . لقد سَجَعَ المختار شأن الكهنة ، لذا جاء في المصادر أنه تكهن . فهو قد زعم لنفسه أن الوحي نزل عليه وأدعى النبوة . فالمختار كان

(١٠) مجلة « الكاتب المصري » ، ص ٥٦٤ - ألوان ، ص ١٧٧ .

قد قاتل في صفوف الحسين بن علي ، والتحق بعدها بصفوف عبدالله بن الزبير . ثم استولى على الكوفة ودعا الناس الى مناصرة محمد بن الحنفية ، أخي الحسين من أبيه ، وزعم أن ابن الحنفية قد استخلفه ، وعادى ابن الزبير وحاربه . ثم قام بتقتيل قَتْلَة الحسين وإخرا ببيوتهم والانتصار عسكرياً على جُند الشام ، وخصوصاً أن الآلاف قد اجتمعوا إليه وبايعوه . والنصر دائماً فُتَان خادع ، لذا ما أن تَمَّت الغلبة للمختار حتى تكهَّن وسجع ونبذ الولاء لمحمد بن الحنفية الذي كان قد تبرأ منه لما بدا له من تحاييله ولما بلغه من محارمه<sup>(١١)</sup> . « ولما وقف محمد بن الحنفية على ذلك تبرأ منه ، وأظهر لأصحابه أنه إنما تَمَسَّ على الخلق ذلك ، ليشمئ أمره ، ويجمع الناس عليه »<sup>(١٢)</sup> . « وكان المختار يزعم أن جبريل يأتيه ويُتزل عليه قرآناً »<sup>(١٣)</sup> . ومن أسجاع المختار : « أما وربَّ السماء ، لتنزلن نار من السماء ، فلتحرقن دار أسماء » . فترامى هذا السَّجْع إلى أسماء بن خارجة وكان في الكوفة ، وهو من جُلَّة التابعين ، فقال : « ويلي على ابن الحبيثة ، قد عمل في داري قرآناً »<sup>(١٤)</sup> . وقال : « قد سجع بي أبو إسحاق وإنه سيحرق داري . وهرب من داره . وبعث المختار الى داره مَنْ أحرَقها بالليل ، وأظهر من عنده أن ناراً من السماء نزلت فأحرقتها »<sup>(١٥)</sup> .

وعندما تجمع سادات الكوفة الذين استولى المختار على أموالهم وعبدهم وقد مناهم بالتحري ر فانحازوا إليه ، أغرَوْا مُصعب بن الزبير بقتال المختار واستعادة الكوفة ، فانتخب المختار عندها نخبة رجاله وأخبرهم بأن الظفر

(١١) ابن شاکر الکتبی : فوات الوفيات والذیل علیها ، م ٤ ص ١٢٣ .

(١٢) الشَّهْرَسْتَانِي : المِلل والنحل ، ق ١ ص ١٣٢ .

(١٣) نَشْوَان الحِميري : الحُور العين ، ص ١٨٢ .

(١٤) الحِميري : ص ١٨٣ .

(١٥) البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٤٨ .

يكون لهم ، وزعم أن الوحي قد نزل عليه بذلك . فالتقى الجيشان بالمدائن ، وانهمز أصحاب المختار . ورجعت فلولهم إلى المختار وقالت له : « لماذا تعدنا بالنصر على عدونا ؟! فقال : إن الله تعالى كان قد وعدني ذلك ، لكنه بدّأ له . واستدل على ذلك بقول الله عز وجل : يحو الله ما يشاء ويثبت » (١٦) .

وبما جاء عن المختار أيضاً من أعمال تصبّ في خيانة السلوك الميتولوجي الذي يُقصد به إغواء الناس وتضليلهم بغية كسبهم الى جانبه ، أنه اتخذ حماماً أبيض أطلقه في الهواء وخاطب أصحابه قائلاً : « إن الملائكة تنزل عليكم في صورة حمامات بيض » (١٧) . وقصة هذه الحمامات - الملائكة مأثورة مشهورة معروفة عن المختار (١٨) . وأساسها أن المختار لما وجّه إبراهيم بن الأشتر لقتال عبيد الله بن زياد « دفع إلى ثقاته حماماً بيضاً ووجههم معه وقال : إن رأيتم الأمر لنا فأمسكوها ، وإن رأيتم علينا فأرسلوها . ثم سجع فقال للناس : إن استقمتم فبنصر الله ، وإن حصتم حيصة فإني أجد في محكم الكتاب واليقين والصواب أن الله مؤيدكم بملائكة غضاب في صور الحمام دون السحاب » . وعندما التقى الجمعان كاد إبراهيم بن الأشتر يُغلب على أمره ، فأطلق ثقّات المختار الحمام ، فعلا الصوت : الملائكة ، الملائكة ! فتراجع رجال عبيد الله ابن زياد وفتك إبراهيم بن الأشتر بعبيد الله (١٩) .

فالمختار بن أبي عبيد الثقفي على حد تعبير ورد عند أبي حاتم الرازي « كان صاحب دعاوى ونيرنجات وشبهه ومخاريق » (٢٠) . ويستوقفنا في سيرته الدالة على

(١٦) البغدادي : ص ٥١ و ٥٢ .

(١٧) ابن شاکر الکتبی : م ٤ ص ١٢٤ .

(١٨) الشهرستاني : ق ١ ص ١٣٣ .

(١٩) أبو حاتم الرازي : كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، ق ٣ ص ٢٩٥ و ٢٩٦ .

(٢٠) كتاب الزينة ، ق ٣ ص ٢٩٤ .

التقلب والمغامرة أمران محوريان نلقاهما أيضاً في سيرة عليّ بن محمد صاحب الزّنج . الأمر الأول أن المختار تردد بين المذاهب ، والأمر الثاني أنه قال بالبداء .

وسنلجأ إلى الشّهْرستاني لتوضيح مفهوم البداء لأنه يجلوه ويتوسع في شرحه . « البداء له معانٍ : البداء في العلم ، وهو أن يظهر له خلاف ما علم ، ولا أظن عاقلاً يعتقد هذا الاعتقاد . والبداء في الإرادة ، وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم . والبداء في الأمر ، وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذلك . ومن لم يجوّز النسخ ظن أن الأوامر المختلفة في الأوقات المختلفة متناسخة . وإنما صار المختار الى اختيار القول بالبداء لأنه كان يدّعي علم ما يحدث من الأحوال ، إمّا بوحى يوحى إليه ، وإمّا برسالة من قبّل الإمام . فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة ، فإن وافق كونه قوله جعله دليلاً على صدق دعواه ، وإن لم يوافق قال : قد بدا لربكم . وكان لا يفرق بين النسخ والبداء . قال : إذا جاز النسخ في الأحكام جاز البداء في الأخبار » (٢١) .

وصاحب الزّنج يذهب تقريباً هذا المذهب في تبرير بعض مواقفه وتصرفاته . فقد لاقى يحيى بن محمد الأزرق البحرانيّ مصرعه الشنيع ، إذ وقع في الأسر وهو مشخن بالجراح فُحْمِلَ الى سامراء حيث ضُرب بالسياط « ثم قُطعت يده ورجلاه من خلاف ، ثم خُبط بالسيوف ، ثم ذُبِح ثم أُحرق » . فإذا بصاحب الزّنج يحزن ويغتم لمقتله ، إذ كان مقرباً إليه وهو أحد القادة البارزين في ثورته . « فخطوبتُ فقيلاً لي : قتله خير لك إنه كان شرّها » . وتحدّث صاحب الزّنج مبرراً موقفه الجديّد بأنهم ذات مرة غنموا

عُقْدِين وقعا في يد يحيى بن محمد ، فإذا به يعطي صاحب الزنج أحسّهما ويخفي عنه أعظمهما . ولكن العُقد الذي أخفاه وأنكره رُفِعَ لصاحب الزنج الذي شرع يصفه له وهو يراه ، فُبُهِت يحيى (٢٢) !

إن تنقل المختار بين مذاهب عصره ينبىء عن انتهازية لا لبس فيها ، ويدعو الى التشكك في إخلاصه وإلى أن نضع علامة استفهام حول مدى وفائه للآراء التي كان يعتنقها . فالمختار ، كما جاء عند أبي حاتم الرازي والشَّهرستاني ، كان خارجياً في بداية أمره ، ثم صار زُبيرياً يدعو لعبدالله بن الزبير ، ثم انقلب عليه ، إثر عزله عن الكوفة ، وملأ الكتاب الذي أرسله اليه سباً وشتماً . وغداً شيعياً وكَيْسانياً يقول بإمامة محمد بن الحنفية (٢٣) ، برغم أن ابن الحنفية تخوَّف من المختار واشتَم رائحة الانتهازية في عَمِشاه وأعلن البراءة منه .

## إنتقائية صاحب الزنج

وهذا الضرب من السلوك المتقلب نجد نظيراً له ، مع اختلاف نوعي ، لدى صاحب الزنج . فعلي بن محمد اعتبره بعض الدارسين خارجياً ، معولِّين خصوصاً على الشعار الذي رفعه منذ خروجه وذلك على حريرة اتَّخذها لواء وكتب عليها باللونين الأحمر والأخضر ( وقيل : الأصفر ) (٢٤) الآية الحادية عشرة بعد المائة من سورة التوبة : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، وَمَنْ أوفى بعهدِهِ من الله فاستبشروا بِبَيْعِكُمْ

(٢٢) الطبري : ج ٩ ص ٤٩٨ و ٤٩٩ .

(٢٣) كتاب الزينة ، ق ٣ ص ٢٩٤ و ٢٩٥ - الملل والنحل ، ق ١ ص ١٣٢ .

(٢٤) مؤلف مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٥ .



الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » . كذلك كتب على اللواء المذكور اسمه واسم أبيه ، فهو عليّ بن محمد ، دون أيّ إضافة<sup>(٢٥)</sup> . وهذه الآية ضرب صاحب الزّنج جزءاً منها على نقوده الذهبية التي سكّها في عاصمته « المختارة » سنة ٢٦١ هـ . كما أنه كتب على هذه النقود : « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ . أَلَا لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَلَا طَاعَةَ لِمَنْ ( عدا ) اللَّهُ »<sup>(٢٦)</sup> . وهكذا فالمؤمنون الذين يضحّون بأنفسهم فإن مآلهم الجنة ، وهو الفوز العظيم . وهذا المعنى نادى به الخوارج الذين دُعُوا لهذا السبب باسم « الشُّرّة » أي أنهم الذين باعوا أنفسهم لله واشتروا الجنة ، كما جاء في مطلع الآية المتقدمة من سورة التوبة .

والخوارج أيضاً هم الذين خالفوا عليّ بن أبي طالب في قبوله التحكيم ، « وقالوا : لِمَ حَكَمْتَ الرجال ؟ ! لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ »<sup>(٢٧)</sup> . والمسعودي يميل إلى تأكيد أن عليّ بن محمد صاحب هوى في الخوارج ، وهو يذكر أن صاحب الزّنج يقول في فاتحة خطبة له : « الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، والله أكبر ألا لا حكم إلا لله . وكان يرى الذنوب كلها شركاً »<sup>(٢٨)</sup> . وهذا الرأي هو ما ذهب إليه الخوارج من الأزارقة ، أتباع نافع بن الأزرق<sup>(٢٩)</sup> . وكان أحد قادة الثورة ، وهو عليّ بن أبان المهلبّي ، يخطب من على المنبر يوم الجمعة لعليّ بن محمد ، فيترحم على أبي بكر وعمر<sup>(٣٠)</sup> ، « ولا يذكر عثمان ولا عليّاً في

(٢٥) الطبري : ج ٩ ص ٤١٣ .

(٢٦) J. Walker: «A Rare Coin of the Zanj», J.R.A.S. (1933), p.p. 651-652.

(٢٧) الشهرستاني : ق ١ ص ١٠٦ .

(٢٨) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٥ ص ١٠٣ .

(٢٩) الشهرستاني : ق ١ ص ١٠٩ و ١١٠ .

(٣٠) وهذا لم يمنع صاحب الزّنج ، عندما استولى على واسط « واستباحها سنة ٢٦٤ هـ ، فقد لامه صحابه المتقشفون على حيازته الجواهر والأموال واستنثاره بها عقب استباحة هذه المدينة : =

خطبته ، ويلعن جبابرة بني العباس وأبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان» (٣١). كما أن صاحب الزنج كان يصعد المنبر في « المختارة » « ويسب عثمان وعلياً ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة ، رضي الله عنهم ، وهذا هو رأي الخوارج الأزارقة ، لعنة الله عليهم » (٣٢).

إن الخوارج ، على اختلاف فرقهم ، قد أجمعوا على التبرؤ من عثمان وعليّ ، وقد طعنوا في عليّ ولعنوه وخطّووه وكفّروه ، كما طعنوا في عثمان لأجل الأحداث التي تسبب فيها . وهكذا فإنه من الواضح أن صاحب الزنج كان يردد مقولات خارجية . ولا غرابة أن يستعين عليّ بن محمد بشعارات الخوارج ، لأنهم في الإسلام « جَوَزُوا أن تكون الإمامة في غير قریش . . . وجَوَزُوا أن لا يكون في العالم إمام أصلاً ، وإن احتج إليه فيجوز أن يكون عبداً ، أو حراً ، أو نبطياً ، أو قُرْشياً » (٣٣).

والآية في سورة التوبة حول الذين باعوا أنفسهم لله يقاتلون في سبيله. قد أحسن صاحب الزنج استغلالها ، ربما باستلهاهم أيضاً واستثمار لقول عمر بن الخطاب الشهير : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً . فقد أعطى عليّ بن محمد تأويلاً سياسياً ذكياً وعملياً لخروجه ، إذ هو يدّعي ، كما مرّ بنا ، أنه لم يخرج طمعاً في الدنيا وإنما غضباً لله وليقضي على دابر الفساد . وعندما شرع صاحب الزنج يجمع العِلمان العبيد وينتزعهم من مواليتهم خطب فيهم ومنّاهم بالوعود العذاب وقطع لهم العهد بالسوء ، ثم أتى بمواليهم وقال

= « وذكروا له سيرة أبي بكر وعمر ، فقال : ليس فيها قدوة » ( الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٣ ص ١٣٤ ) .

(٣١) السعودي : ج ٥ ص ١١٥ و ١١٦ .

(٣٢) ابن تغري بَرْدِي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٣ ص ٤٨ .

(٣٣) الشهرستاني : ق ١ ص ١٠٦ - ١٠٨ .

لهم : « قد أردت ضرب أعناقكم لما كنتم تأتون الى هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم وقهرتموهم ، وفعلتم بهم ما حرّم الله عليكم أن تفعلوه بهم ، وجعلتم عليهم ما لا يُطيقون » . وعندما أغراه هؤلاء الأسياد بالمال لقاء إطلاق عبيدهم ، فكان رد صاحب الزّنج هو دعوة العبيد إلى جلد أسيادهم بسعف النخيل الأخضر الرطب : « فأمر غلمانهم فأحضروا شطباً ، ثم بطح كل قوم مولاهم ووكيلهم ، فضرب كل رجل منهم خمسمائة شطبة » (٣٤).

هل نخلص من هذا الكلام كله لنؤكد ، شأن المسعودي ، خارجيّة صاحب الزّنج ؟ إنّ بمكنتنا ذلك بمقدار ما تتوافر لدينا الإمكانية الأخرى وهي أن عليّ بن محمد علويّ نسباً أو ادّعاء ! ففي شعر عليّ بن محمد نبرة علويّة واضحة ، وهو القائل في أحد الأبيات الناقمة المنددة بالعباسيين :  
لستُ بابن الفواطم الزّهر إنّ لم أقحم الخيل بين تلك العِراضِ (٣٥).

وقد تقلّب صاحب الزّنج بين الأنساب العلوية مدّعياً النسب إثر الآخر . ولكن كما جاء عند المسعودي : « وأكثر الناس يقول إنه دعويّ آل أبي طالب ، يُنكرونه » (٣٦). ونادى صاحب الزّنج بنفسه مهدياً وسجّل هذا على نقوده التي سكّها (٣٧). ومن يقلّب النظر في كتاب « جبهة أنساب العرب » يدرك أن علوية صاحب الزّنج هي ادّعاء محض (٣٨). ولكن من قال إن الادّعاء لا ينفع في عالم السياسة ؟!

ولكننا نعتقد أن صاحب الزّنج لم يكن على نحو صميم خارجياً ولا

(٣٤) الطبري : ج ٩ ص ٤١٤ .

(٣٥) الحُضري : زهر الآداب وثمر الألباب ، ج ١ ص ٢٨٨ .

(٣٦) مروج الذهب ، ج ٥ ص ١٠٣ .

(٣٧) سبق أن عاجلنا علوية صاحب الزّنج في كتابنا : ثورة الزّنج ، وقائدها عليّ بن محمد ، ص ٢٨ - ٤٢ .

(٣٨) ابن حزم : جبهة أنساب العرب ، ص ٥٦ - ٥٨ .

عَلَوِيًّا . فهو قد قبس من الخوارج والشيعة بشكل انتقائي ، لأن هؤلاء وأولئك كانوا يمثلون جبهة المعارضة للعهد العباسي . وكان الخوارج مشهورين بتشددهم الديني وتَوَقُّعهم إلى العدالة ، في حين أن الشيعة أبعدوا عن المشاركة في السلطة مع أبناء عمهم العباسيين ولاقوا التنكيل الفظيع بحيث استشاروا عطف المسلمين ورعايتهم . وهذا المسعى لدى صاحب الزُّنْج في الإفادة من تيارات عصره السياسية والعقائدية ، يكشف عن شخصية حاذقة . وههنا يبدو عليّ بن محمد مختلفاً عن المختار الثقفي . فهذا تنقّل بين العقائد والولاءات : فهو تارة خارجي ، وطوراً زُبيري ، وفي مرة ثالثة يغدو شيعياً كَيْسَانِيًّا . إنه يغيّر وجهة تفكيره كمن ينزع ثوباً ويلبس آخر ! في حين أن صاحب الزُّنْج قام بعملية انتقائية ، قابساً من قاموس عصره السياسي والفكري . ولا داعي لطرح السؤال في ما إذا كان عليّ بن محمد مخلصاً أم انتهازياً في مسعاه ، ففي ميدان السياسة تختلط الألوان غالباً ، وتحمل الضرورة المرء المتعاطي لها على أن يقول ويعمل أحياناً ما ليس يبتغي أو يرغب !

## حيرة واتهامات

يجب الإقرار أن صاحب الزُّنْج قد حَيَّر الدارسين في معتقده ، بسبب أنهم لم يلتفتوا إلى منزعه الانتقائي الذكي . ولا أدلّ على هذه الحيرة من العبارة الواردة لدى الذهبي الذي يعتقد أن عليّ بن محمد يزعم العلوية ، وهو يرى أنه خارجي حَرَوْرِيّ ، وذلك نسبة إلى حَرَوْرَاء حيث اجتمع بهذا الموضع عند ظاهر الكوفة الخوارج الذين خالفوا الإمام عليّ إثر موقعة صِفِّين . وإن لم يكن عليّ بن محمد حَرَوْرِيًّا متستراً بهؤلاء الخوارج ، فهو دهريّ زنديق : « افترى ، وزعم أنه من وَلَد زيد بن عليّ العَلَوِي . وكان مُنْجَمًا طَرِيقًا » (٣٩)

(٣٩) طَرَّقَ الرجل : تكهّن بواسطة ضرب الحصى .

ذكياً ، حَرَوْرِيّاً مأكراً ، داهية منحلاً على رأي فَجَرَةِ الخوارج ، يتستر بالانتباء إليهم . وإلا فالرجل دهري فيلسوف زنديق » (٤٠) .

وكان للاتهام بالزُّندقة في ذلك العصر ، كما هو الحال للأسف في عصرنا الزاهر عبر بعض بقاع الأرض ، سوق رائجة . فكل مخالف للسلطة القائمة هو عدو الله وخائن وخبيث وزنديق وما شئت من النعوت الشائعة . ولا عجب أن نقرأ الجملة التالية عن صاحب الزُّنْج : « ومن الناس مَنْ يطعن في دينه ويرميه بالزُّندقة والإلحاد . وهذا هو الظاهر من أمره ، لأنه كان متشاعلاً في بدايته بالتنجيم والسحر والاصطرلابات » (٤١) . وأي ضرر في هذا ، ما دام أن التنجيم والسحر كانا عملاً شائعاً في قصور الخلافة ، وقصيدة أبي تمام في فتح عمورية وفي مدح المعتصم دليل على هذه الحقيقة ، وإن كان الشاعر ذهب أن المنجمين الذين استشارهم المعتصم عند إقدامه على الزحف قد ردّوه عن إتيانه ولكنه مضى وفتح وانتصر ، فإذا « السيف أصدق إنباء من الكتب » ، أي كتب المنجمين . أما الاضطرابات فهي مفخرة العرب العلمية ، فهل أضحى الاشتغال بها مسبةً وعاراً ؟ !

وهذه الحيرة لدى المؤرخين مردّها أنهم لا يُعْنَوْنَ كفاية بالهدف الذي يسعى إليه صاحب الزُّنْج ألا وهو السلطة ، وإن كل ما عدا ذلك فإنما هو وسيلة . ومن رام السلطة في عصر كذاك ولدى رجل لا يشك المؤرخون في حذقه وذكائه ، فهو مغترب دون ريب من معين زمنه العقائدي . وصاحب الزُّنْج كان من الفطنة بحيث إنه لم يقف عند عقيدة لا يتعدها . وقد أحاط سلوكه دائماً بهالة من الغموض أو القداسة أو الروحانية ، وذلك في محاولاته

(٤٠) سير أعلام النبلاء ، ج ١٣ ص ١٢٩ و ١٣٠ .

(٤١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج ٨ ص ١٢٩ .

المتعددة للاستيلاء على السلطة سواء قبل ثورة الزنج أو خلاها . والروايات المنبئة عن هذا السلوك لا نفتقر إليها ، وسوف تقتصر على إيراد بعضها ذي الدلالة . من ذلك مثلاً أن عليّ بن محمد عندما أتى البصرة للمرة الأولى من البادية في البحرين حيث أخفق ، زعم أن سحابة أظلمته بالبادية ، وهو في هذا يتمثل بالنبىّ ، ثم برقت السحابة ورعدت ، وأتصل صوت الرعد بسمعه مخاطباً إياه بالمصير الى البصرة<sup>(٤٢)</sup> . وذكر الذهبي : « وزعم أنه تكلم في المهدي ، صيح به يا عليّ ! فقال : لَبَّيْكَ » . وفي البادية جعل « يستغوي الأعراب بنفوذ حيله وشعوذته ، واعتقدوا فيه أنه يعلم منطق الطير »<sup>(٤٣)</sup> .

فعليّ بن محمد يسبغ على نفسه هالة الأولياء والشُفّعاء والأنبياء . ولم يكن سلوك المختار الثقفي بعيداً عن هذا المنحى . وحتى في عصرنا العُلّمانى الى حد كبير ، يعتمد رجال السياسة والعظماء الى صياغة الهالات من حولهم بحيث يرى الناس صورهم على وجه القمر ! وربما رجل الصين الغارب « ماو » خير مثال على ما يسمى مرض عبادة الشخصية . وهذا كان يزعم لنفسه أنه اشتراكي أرثوذكسي لا يقبل أيّ تحريف أو مراجعة للفكر التقدمي الذي يعتنقه ، ومع ذلك فقد سعى إلى أن يكون الملايين من عبّدتَه ، وغدا الى حين أسطورة ما لبثت أن هوت ! فكيف الحال بالناس في الزمن الماضي والجهل يستبد بهم وتصديقهم للكرامات شائع وعام ؟ يذكر الذهبي عن عليّ بن محمد أنه عند ذهابه إلى بغداد جعل « يستغوي الناس ويُضلّهم ، فاستمال عدّة من الحاكّة بمخاريقه ، والجهلة أسبق شيء إلى أرباب الأحوال الشيطانية » . ولكن صاحب الزنج كان « متواضعاً » في طموحه الروحي ، إذ « زعم أن النبىّ (ص)

(٤٢) الطبري : ج ٩ ص ٤١١ — مؤلف مجهول : ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٥ .

(٤٣) سير أعلام النبلاء ، ج ١٣ ص ١٣٢ ، ١٣٤ .

ما يمتاز عليه إلا بالنبوة»<sup>(٤٤)</sup> . هذا مع العلم أنه يقول إن النبوة عُرِضَتْ عليه فكان موقفه الرفض ، وذلك « لأن لها أعباء خِفْتُ ألا أُطِيقَ حملها »<sup>(٤٥)</sup> ! ونعثر في الطَّبْرِي على مجموعة من الروايات تتعلق باقتحام الزَّنج البصرة واستيلائهم عليها ، وهي كلها ، كما مرَّ بنا ، تدور حول محور الإلهام الربَّاني والعون الإلهي والمَدَد الذي يختص به الله الأخيار والمُلهَمين والأخبار . فإذا بالملائكة تُسَعِفُ عليّ بن محمد وصحبه وتسدد خطاهم في إخراج البصرة ! ويبدو أن صاحب الزَّنج قد لاقى عند فتحه البصرة موقفاً حرجاً ، وكان في نفر يسير من صحبه ، يقابلون جمعاً كثيفاً وخَيْلَ لهم أن الهلاك نصيبهم . « فلما قرب القوم مني قلت : أَللَّهُمَّ إن هذه ساعة العُسرة فأعني ، فرأيت طيوراً بيضاً تَلَقَّتْ ذلك الجمع »<sup>(٤٦)</sup> . إن الحمامات البيض التي رأيناها مع المختار الثقفي تعود إلى الظهور بشكل آخر مع صاحب الزَّنج !

## ثورة يُونُوس

وإذا كان هناك من مقارنة مُحتمَلة فكان الأولى بطه حسين في دراسته الأنفة الذكر أن يعقدها ما بين « يُونُوس » باعث الانتفاضة الصِّقْلِيَّة للعبيد ، وعليّ بن محمد صاحب الزَّنج وقائدهم الى الثورة . وهذه المقارنة ليست في الأحداث والبواعث والأسباب ، إذ إن غط الإنتاج كان مختلفاً ما بين صِقْلِيَّة والبصرة ، ولكنها مقارنة في السلوكية الروحية ومقاربة بينهما . في صِقْلِيَّة ذات أرض عجبية الخصوبة قامت في العهد الروماني أرستقراطية محلية ذات بذخ لا يوصف ، وقد استأثرت في القرن الثاني ما قبل الميلاد بمعظم الأراضي وأنشأت

(٤٤) المصدر نفسه .

(٤٥) الطبري : ج ٩ ص ٤٩٩ .

(٤٦) الطبري : ج ٩ ص ٤٣٦ ، ٤٨٧ .

المُلْكِيَّات الإِقطاعية الواسعة ، وذلك على نَسَق ما كان سائداً في المركز إيطاليا . وكانت المزروعات وتربية الماشية بخاصة عماد اقتصاد هذه الجزيرة عهدذاك . ولهذا جرى جلب العبيد إلى صقلية بوتيرة متصاعدة وبأعداد هائلة بغية تشغيلهم في المراعي ، وتمّ دمجهم بالحديد المحمى وَفَقَ سيّدهم التابعين له . ولقد كانوا بائسي الملبس والمأكل والمعاملة ، شأن ما كان عليه حال رُنْج البصرة بعدهم . لقد كانوا معتبرين أدوات ناطقة ، في حين أن البقر نصف ناطقة ، وعربات النقل بكاء<sup>(٤٧)</sup> ! ولكي يوفرّ الأسياد على أنفسهم تكاليف استمرار هؤلاء العبيد الرعاة في العيش فلقد دفعوهم وحشّوهم على القيام بالسرقة والنهب ، من غير أن يبالوا بالعواقب المترتبة على ذلك ، وبالضرر الذي أخذ يلحق بالمزارعين الصغار الذين استولى عليهم الهلع !

(٤٧) للإسلام موقف متميز في سعيه الى تحرير العبيد عن طريق العتق سواء بدافع إنساني وتقرباً من الله ومكافأة للعبد على استقامته ، أو بواسطة « الكتاب » أو « المكاتب » وهي اتفاق مكتوب على مبلغ من المال يدفعه العبد أقساطاً فيشتري به نفسه وذلك كما جاء في الآية ٣٣ من سورة النور (٢٤) : « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاთبهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » . كما أن الدين الإسلامي يوجب الإعتاق ، أي يفرضه ، في حالات أربع محددة : كأن يقتل المسلم خطأ ، فيحتاج عندها الى تحرير رَقبة مؤمنة الى جانب الدية الى أهل القتيل . كما أن كفارة الحنث باليمين هي تحرير رَقبة أيضاً . وَمَنْ يُعَذِّدْ زوجته الى عصمته بعد ظهار ، أي طلاق ، فيجب عليه تحرير رَقبة . ومن أفطر رمضان كانت كفارته فك رَقبة أي تحريراها . وهي أحكام صريحة وردت في سور مختلفة من القرآن .

وليس المجال هنا للتوسع في موقف الإسلام من موضوع العبيد ، وإنما نرمي الى الإشارة أنه برغم موقفه المتميز على صعيد معاملة العبيد والحث صراحة على تحريرهم فإن رجال الفقه ، كما تذكر مستشرقو إيطالية ، اعتبروا العبد « شيئاً » مملوكاً أو « سلعة » تسري عليها عمليات البيع والوهب والتأجير والتوريث . وهكذا نجد العبد ، بالنسبة الى الممتلكات ، يقف الى جانب الحيوانات . ولهذا كان المحتسب مكلفاً بالسهر على أن يعامل السيد بالحسنى عبيده وحيواناته معاً . كما أن الأمة عندما تلد فإن طفلها هو « غلة » من حصة مالكها ، على شاكلة نتاج الماشية (L. Vecchia Vaglièri: article «Abd», Encyclopédie de l'Islam, t.1, p. 27) .



ووقف يونس على رأس عبيد صقلية ، وهو في الأصل من « أفاميا » بسوريا ، ولهذا أطلق على العبيد الذين مشوا وراءه في انتفاضته اسم السوريين ، كما أن الدين الذي بشر به أصحابه قائم على إلهة سورية تدعوه إلى الصمود وتقوي في نفسه أمل التحرير . واختلطت عند يونس صوفيته وعقائديته بمطامحه الذاتية ، وغدا تأثيره ملموساً لدى رفاقه في الإذلال والعبودية الذين شرع يقص عليهم مناماته ورؤاه ويدعي أمامهم أنه على صلة بالعالم الإلهي . لقد استعان بالقناعات الدينية للتأثير في رفاقه العبيد ، وكان مأخوذاً بأنه رسول الإرادة الإلهية لتحريرهم وأنه سيغدو ملكاً عليهم ! لقد انطلقت الثورة في صقلية ( ١٣٩ - ١٣٤ ق.م . ) بأربعمائة من العبيد مسلحين بالمناجل والفؤوس والأسياخ ، ولكنها كبرت وعظمت وصمدت في وجه السلطة ، بحيث تعذر على الحكام المحليين السنويين الذين توالوا على الجزيرة خلال خمس سنوات تصفيتها ، واضطر عندها مجلس الشيوخ في روما أن يبعث أحد القناصل للقيام بالمهمة العسكرية . وشرع العبيد ينظمون صفوفهم وأحوالهم ، فالسماء تحميمهم والوعود الإلهية الى جانبهم . وصار يونس ملكاً تحت اسم أنطيوخوس ، تحقيقاً للنبوءة الإلهية ، وأحاط نفسه بهيئة من رفاقه الحاذقين . لقد كانوا مصممين على إقامة دولة في صقلية تعمل لصالح عبيد الأمس ، ولهذا فإن سكان العاصمة الواقعة في وسط الجزيرة « هنا » الذين كانوا أحراراً تحولوا إلى العبودية وخضعوا مقيدين للعمل في صناعة الأسلحة ، في حين أن الأحرار منهم الذين لم يكونوا مؤهلين لهذا العمل لاقوا حتفهم .

إن خطوات يونس في التنظيم ، وضم العبيد في الجزيرة الى صفه ، والحوول دون النهب الفردي ، وتأمين إمدادات المحاصيل ؛ كلها مبادرات تذكرنا بما أقدم عليه صاحب الزنج بعدها من تصرفات شبيهة . وتوصل يونس إلى إعداد جيش يكاد يكون نظامياً ، وقد بلغ عدده حداً عظيماً إذ

قارب المائتي ألف مقاتل ، وسيطرت ثورة العبيد على معظم أرجاء الجزيرة . ولهذا كان صدى الثورة مسموعاً في ذاك العصر ، وشرع العبيد في إيطاليا واليونان يتململون متأثرين بأحداث صقلية . وكان القمع حيالهم شديداً ، وفي منطقة « اللاتيوم » بإيطاليا حيث تقع روما تمّ صلب أربعمائة وخمسين عبداً . ولقد احتاجت روما إلى ثلاثة قناصل متالين لتقضي أخيراً على يونس ، متكبدة على نحو ما ، ما تكبدته الخلافة العباسية بعدها في القضاء على صاحب الزنج . وهذا الجهد العسكري الذي بذلته روما ولم يسبق لها أن تحمّله ضد العبيد ، سيكون هو حال الخلافة العباسية مع ثورة الزنج .

لقد أتاح لنا كتاب جان - پول بريسون<sup>(٤٨)</sup> الاطلاع على أحداث ثورة يونس في صقلية ، وكانت نموذجاً سابقاً على ثورة سبارتاكوس . وهي كما رأينا تستدعي الى الذاكرة سواء في سلوكية يونس السياسية - الميثولوجية ، أو في تنظيماته ومبادراته ، ما سوف يكون عليه وضع عليّ بن محمد قائد ثورة الزنج ، مع الأخذ في الاعتبار طبعاً اختلافات العصر والمكان ونمط الإنتاج وخصوصية الإمبراطورية الرومانية عن الإمبراطورية العربية الإسلامية . والملاحظ أنه في كلتا الثورتين فإن العامل المساعد لتدافع الأحداث وانتصار العبيد هو تجمعهم بأعداد كبيرة في حيّز واحد . فكما حشد أثرياء صقلية العبيد هناك للعمل في تربية الماشية ، فإن أثرياء البصرة جلبوا العبيد السود من الساحل الشرقي لأفريقيا وحشدوهم للعمل في استصلاح الأراضي وتنقيتها من الملح المترسّب فيها . ففي كلا المثالين لم يكن العبيد متفرقين مشتتين ، وإنما هم « مادة » جاهزة للتكتل والاشتعال .

## المصادر والمراجع

- ١ - الطُّبْرِي ( ت ٣١٠هـ ) : تاريخ الرُّسُل والملوك المعروف بتاريخ الطُّبْرِي ( ١١ جزءاً ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، سلسلة « ذخائر العرب » ( ٣٠ ) ، دار المعارف بمصر ٦٠ - ١٩٦٩ ، ١٩٧٧ .
- ٢ - أبو حاتم الرازي ( ت ٣٢٢هـ ) : كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، ق ٣ ، تحقيق : عبدالله سلّوم السامرائي ، وزارة الإعلام ، بغداد ١٩٧٢ ( وقد جاء هذا القسم الثالث من الكتاب على شكل ملحق لمؤلف للمحقق عنوانه : الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية ) .
- ٣ - المسعودي ( ت ٣٤٥هـ ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ( ٧ أجزاء ) ، طبعة بريه دي مينار وباقيّه دي كرتاي ، عُني بتنقيحها وتصحيحها ووضع جزءين من الفهارس العامة : شارل پلّا ، منشورات الجامعة اللبنانية ، قسم الدراسات التاريخية ( ١١ ) ، بيروت ٦٦ - ١٩٧٩ .
- ٤ - أبو هلال العسكري ( ت حوالي ٤٠٠هـ ) : الأوائل ( قسمان ) ، تحقيق : محمد المصري ووليد قصاب ، سلسلة « إحياء التراث العربي » ( ٤١ و ٤٢ ) ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٧٥ .

٥ - الحُصْرِي (ت ٤١٣هـ) : زُهر الآداب وثمر الألباب (جزءان) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٣ .

٦ - عبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) : الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر ، القاهرة (؟) .

٧ - ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، سلسلة « ذخائر العرب » (٢) ، ط ٤ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧ .

٨ - مؤلف مجهول (من القرن الخامس الهجري (؟) ) : العيون والحدائق في أخبار الحقائق (ج ٤ (٢٥٦ - ٣٥٠هـ) ، قسمان) ، تحقيق : عمر السعيد ، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية ٧٢ - ١٩٧٣ .

٩ - الشَّهْرَسْتَانِي (ت ٥٤٨هـ) : الملل والنحل (قسمان) ، تحقيق : محمد ابن فتح الله بدران ، ط ٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٦ .

١٠ - نَشْوَان الحِمِيرِي (ت ٥٧٣هـ) : الحُور الْعَيْنُ ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٤٨ .

١١ - ياقوت (ت ٦٢٦هـ) : معجم البلدان (٥ مجلدات) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (؟) .

١٢ - ابن أبي الحديد (ت ٦٥٥هـ) : شرح نهج البلاغة (٢٠ جزءاً) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦٤ - ٥٩ .

١٣ - ابن الطَّقَطَقَى (ت ٧٠٩هـ) : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٦ .

١٤ - أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ) : المختصر في أخبار البشر (٧ أجزاء) ، دار

الكتاب اللبناني ، بيروت (؟) .

١٥ - الذهبي ( ت ٧٤٨هـ ) : سِير أعلام النبلاء ( ١٧ جزءاً حتى تاريخه ) ،  
أشرف على تحقيقه : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت  
٨١ - ١٩٨٣ .

١٦ - ابن شاکر الکتبی ( ت ٧٦٤هـ ) : فوات الوفيات والذیل علیها ( ٤  
مجلدات ) ، تحقیق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ٧٣ - ١٩٧٤ .  
١٧ - ابن خلدون ( ت ٨٠٨هـ ) : کتاب العبر وديوان المبتدا والخبر المعروف  
بتاريخ ابن خلدون ( ٧ مجلدات ) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت  
٥٦ - ١٩٥٩ .

١٨ - ابن تغري بردي ( ت ٨٧٤هـ ) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر  
والقاهرة ( ١٦ جزءاً ) ، سلسلة « تراثنا » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب  
٦٣ - ١٩٧٢ .

١٩ - السيوطي ( ت ٩١١هـ ) : تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محيي الدين  
عبد الحميد ، ط ٢ ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٥٩ .

٢٠ - J. Walker: «A Rare Coin of the Zanj», J.R.A.S. (The Journal of  
the Royal Asiatic Society) (1933), p.p. 651-655.

٢١ - طه حسين : « ثورتان » ، مجلة « الكاتب المصري » م ٢ ، ع ٨ ( مايو  
١٩٤٦ ) ، ص ٥٥٣ - ٥٧٣ - أراجع كتاب « ألوان » ، ط ٣ ،  
ص ١٦٤ - ١٨٧ ، دار المعارف بمصر (؟) .

٢٢ - Jean-Paul Brisson: Spartacus, Collection «Portraits de l'Histoire»  
(21), Le Club Français du Livre, Paris 1959.

٢٣ - L. Vecchia Vaglieri: article «Abd», Encyclopédie de l'Islam (nouvelle  
édition), t.1, p.p.25-42.

٢٤ - أحمد عُليّ : ثورة الزّنج ، وقائدها عليّ بن محمد ، منشورات دار مكتبة  
الحياة ، بيروت ١٩٦١ .

القسم الثاني

فائدو و سحر

## الفصل الرابع

صاحب النّزج «الشاعر»



حديثنا ههنا عن شاعرية عليّ بن محمد « صاحب الزنج » . ولا بأس من التنبيه أن هناك شاعراً آخر يحمل الاسم نفسه ولكن لا دخل للزنج معه وليس بصاحبهم ، وهو عليّ بن محمد الحِمَاني . وكان معاصراً لمن نُعنى به ، إذ إن وفاته كانت سنة ٣٠١هـ<sup>(١)</sup> ، وكان علوياً يقطن الكوفة بين بني حِمْان . وبنو حِمْان قبيلة من تميم<sup>(٢)</sup> ، نزلوا الكوفة<sup>(٣)</sup> ، وقد حلّ بينهم فكانت نسبته إليهم وغلبت عليه<sup>(٤)</sup> .

(١) ابن عَنبة : عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، ص ٣٠١ هامش .

(٢) السُّيوطي : لبّ اللُّباب في تحرير الأنساب ، ص ٨٣ .

(٣) السُّمعاني : الأنساب ، ج ٤ ص ٢٣٦ ، ٢٣٨ - ابن الأثير : اللُّباب في تهذيب الأنساب ، ج ١

ص ٤٤٨ و ٤٤٩ . ولقد جاء لدى ياقوت أن حِمْان « محلة بالبصرة سُميت بالقبيلة ، وهم بنو

حِمْان بن سعد بن زيد مناة بن تميم . . . وقد سكن هذه المحلة من نُسب إليها وإن لم يكن من

القبيلة » (معجم البلدان ، م ٢ ص ٣٠٠) . وهكذا فإن « حِمْان » غدت اسم مكان ، ويؤكد

هذا ما قال عليّ بن محمد الحِمَاني في شعره بصدد امرأة :

وقد أبصرت « حِمْان » من بعد أنسها بنا ، وهَيّ منا مقفرات دوائر

(المُرزباني : الموشح ، ص ٥٤٣ و ٥٤٤) .

(٤) البكري : سِمْط اللّآلِي ، ج ١ ص ٤٣٩ - ابن عنبه : عمدة الطالب ، ص ٣٠٠ .

## علي بن محمد « الحِماني »

وكان الحِماني وجيه العلويين لعهدده في الكوفة ، بحيث يقول المسعودي فيه : « وكان عليّ بن محمد الحِماني نقيبهم بالكوفة وشاعرهم ومدرّسهم ولسانهم ، ولم يكن أحد بالكوفة من آل علي بن أبي طالب يتقدمه في ذلك الوقت »<sup>(٥)</sup>. وقد أقدم الموفّق ، أخو الخليفة المعتمد ، على حبسه ذات مرة وأطال ، وذلك على الأرجح خوفاً من المنزلّة التي كان يحظى بها بين العلويين . « وهو شاعر فحل من مشهوري شعراء الطالبين »<sup>(٦)</sup>. فهو من عَقَب محمد بن زيد الشهيد .

والحِماني صاحب ديوان<sup>(٧)</sup>، وهو ديوان مشهور<sup>(٨)</sup>، وقد ظل متوافراً حتى القرن التاسع الهجري ، ولكننا لا ندري اليوم عنه شيئاً . ولقد قام محمد حسين الأعرجي بجمع كل ما وقعت عليه يده في المصادر من شعر الحِماني الذي تنوّعت أغراضه ، لكنه تميّز بخاصة ، في نظر دارسه « الأعرجي » ، بالنفّس السياسي والعقائدي الذي طغى على شعره ، وذلك في بيئة الكوفة التي كانت مرتعاً للتشيع وحضناً<sup>(٩)</sup>. ولا ريب أن النزعة الشيعية الصارمة واضحة المعالم في شعر الحِماني ، ولكنها مشابهة في نهاية المطاف لأيّ شاعر آخر شيعيّ الهوى ، وذلك من حيث المعاني والتطلّعات . ونحن إذ نضع الضوء على هذه الناحية نتناسى الحِماني الإنسان والشاعر وصاحب الهمّ الحيّاتي والفنان . إن قراءة ديوان الحِماني الذي جمعه الأعرجي نفسه تكشف لنا أن خير ما عنده

(٥) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٥ ص ٦٤ .

(٦) ابن عنبه : ص ٣٠٠ .

(٧) المرزباني : الموشح ، ص ٥٤٣ و ٥٤٤ .

(٨) ابن عنبه : ص ٣٠١ .

(٩) ديوان عليّ بن محمد الحِماني العلوي الكوفي ، صنعة : محمد حسين الأعرجي ، مجلة « المورد »

٣٣ ، ع ٢ ( ١٩٧٤ ) ، ص ١٩٩ - ٢٢٠ . الرأي المذكور أعلاه في المقدمة ، ص ٢٠٠ .

ليس تشيعه ربما أو ليس قاصراً عليه ، فهو يتكلم على الشباب والمشيبي كثيراً  
ورحيل الغانيات ، وهو صاحب البيت الرقيق :  
وقد كنتَ تملكُ الحَظَظَهْنَ فصرن يُعرنك لحظاً مُعارا .

وهو شغوف بالقوام اللين والقم العذب والعيون الجانية ، ويشكو الصدود  
والعطف الضائع . ويصف أيام الخَوَزَنَق والسَّدير وقصر أبي الخصيب ، كما  
يصف وجوه الحسان والفرس والليل والهيفاء ومجلس السرور حيث « وتطربني  
مثقفة اليديين » . وله رد ناعم في الإخوانيات ، وشعر لطيف حول مبارحة  
الديار . فهو بلا شك شاعرية مغموطة تستحق العناية .

### علي بن محمد « ابن بَسَّام »

والحِماني الذي نشأ في بيت يتعاطى الشعر ، هو أبو الحسين علي بن محمد  
ابن جعفر ، في حين أن هناك شاعراً آخر هجاء سليطاً ماجناً ظريفاً مليحاً  
خيئاً ، وكان من أهل بغداد ومعاصراً للاثنين ، أي لصاحب الزنج  
وللحماني ، اشتهر بابن بَسَّام أو البَسَّامي<sup>(١٠)</sup> ، وكانت وفاته سنة ٣٠٢ هـ ،  
وهو أبو الحسن العَبْرَتَائِي<sup>(١١)</sup> علي بن محمد بن نصر . ولكن هذا الأخير كانت  
نشأته في بيت كتابة<sup>(١٢)</sup> ، وتولَّى جدّه ، نصر بن منصور ، ديوان الخاتم

(١٠) البَسَّامي نسبة الى بَسَّام ، وهو أحد جدوده ( السَّمْعاني : ج ٢ ص ٢١٩ - ابن الأثير :  
اللباب ، ج ١ ص ١٦٨ و ١٦٩ .

(١١) نسبة الى عَبْرَتَا ، قرية كبيرة ناحية النهروان تقع بين بغداد وواسط ( ياقوت : معجم البلدان ،  
م ٤ ص ٧٧ و ٧٨ ) . وهي نسبة غير قياسية ، لأن النسبة إليها عَبْرَتِي . ومنها نجم الأسعد بن  
نصر بن الأسعد العَبْرَتِي ، وهو نحوي كان يقرئ النحو ببغداد ، وكانت وفاته سنة ٥٧٠ هـ  
( ياقوت : معجم البلدان ، م ٤ ص ٧٨ ) . على أن السَّمْعاني يجعل النسبة الى عبرتا  
« عبرتايي » ( الأنساب ، ج ٨ ص ٣٦٤ ) .

(١٢) كان ابن بَسَّام البغدادي صاحب تصانيف ، منها : أخبار عمر بن أبي ربيعة الذي جاء عنه  
لدى ابن خَلِّكان : « ولم يستقصِ أحدٌ في بابهِ أبْلغ منه » ( وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، =

والنفقات والأزمنة في خلافة المعتصم . وقد تقلد ابن بسّام زمن المعتضد البريد والجسر بجند قنشرين والعواصم من أرض الشام<sup>(١٣)</sup>، وذلك استرضاء وصلة وقطعاً للسان الفلتان . ولم يكن ابن بسّام يوقر في هجائه أحداً ، حتى أهله وأباه وإخوته ، ولم يسلم من فلتات لسانه الوزراء والأمراء والخلفاء أيضاً<sup>(١٤)</sup> . وقد ذكرتنا سيرته وهجاؤه الظريف بسيرة ابن الرّومي وهجائه الشهير ، ولهذا لا نعجب أن نقرأ لدى ياقوت هذه العبارة : « وكان يصنع الشعر في الرؤساء وينحلّه ابن الرّومي وغيره »<sup>(١٥)</sup> . ومات بعد أن نيّف على السبعين<sup>(١٦)</sup> ، إثر حياة حافلة بالهجاء والظرف . وحبذا لو يكون ابن بسّام وشعره المجموع شأناً

= ٣م ص ٣٦٥ و ٣٦٦) ، أخبار الأحوص ، مناقضات الشعراء ، وغيرها . على أن طاش كبري زاده ينسب إلى ابن بسّام كتاب « الذخيرة » ( مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، ج ١ ص ٢٣٧ ) ! وهو طبعاً وهم كبير ، لأن هذا الأثر النفيس هو لابن بسّام الشتريني الأندلسي ( ت ٥٤٢ هـ ) صاحب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » الذي حققه - أطال الله في عمره وأعزّنا بأفضاله العلمية - إحسان عبّاس في ٨ مجلدات ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٩ .

(١٣) جاء أن الوزير القاسم بن عبيد الله قد ولّاه على مضض « بريد الصّيمرة » ولم يزل عليه إلى آخر أيام المعتضد ( البيروني : الجماهر في معرفة الجواهر ، ص ٦١ ) . وهذه المعلومة يرددها ياقوت ( معجم الأدباء ، ج ١٤ ص ١٤٥ ) . والصّيمرة موضعان : أحدهما عند البصرة على فم نهر مغلّ وتضم عدة قرى تحمل هذا الاسم ، والمكان الآخر بين ديار الجبل وخوزستان ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ٤٣٩ ) . وفي سنة ٢٥٨ هـ حلّت بالصّيمرة هذتان عظيمتان فتساقطت الحيطان ، وذهب قرابة عشرين ألفاً من القاطنين فيها ضحايا ( حمزة الأصبهاني : تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبياء ، ص ١٢٣ - ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، م ٧ ص ٢٥٦ و ٢٥٧ ) .

(١٤) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٥ ص ١٩٧ ، ٢٠٢ - الحُصْري : زهر الآداب وثمر الألباب ، ج ٢ ص ٦٧٠ و ٦٧١ - الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، م ١٢ ص ٦٣ - ياقوت : معجم الأدباء ، ج ١٤ ص ١٣٩ - ١٥٢ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، م ٣ ص ٣٦٣ - ٣٦٦ - الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٤ ص ١١٢ و ١١٣ - ابن شاکر الكتبي : فوات الوفيات والذليل عليها ، م ٣ ص ٩٢ و ٩٣ .

(١٥) معجم الأدباء ، ج ١٤ ص ١٤٠ .

(١٦) طاش كبري زاده : مفتاح السعادة ، ج ١ ص ٢٣٧ .

جديداً طريفاً لباحث جامعيّ يتقّب عن موضوع لأطروحة مبتكرة يكتبها ،  
بخاصة وأن ابن بَسَام كان مشهوراً لزمانه وكان من رُواته الصُّولي (١٧) .

وهؤلاء الثلاثة ، صاحب الزّنج والحِماني وابن بَسَام ، عاشوا في عصر  
واحد ، وحملوا اسماً واحداً هو عليّ بن محمد ، ولم يكن ليميّزهم سوى النسبة أو  
اللقب . ثم لم يكن أحدهم يجهل الآخر ، بدليل أن هناك أبياتاً لعليّ بن محمد  
الحِماني يتهم فيها على « علويّ البصرة » .

يقول الحِماني ، أي عليّ بن محمد العلويّ الزيديّ الكوفيّ في صاحب  
الزّنج :

يقول لك ابنُ عمِّك من تُعيذُ      لَتَبَّتْ أو لنوحٍ أو لهودٍ ؟  
لهجتَ بنا بلا نَسَبٍ إلينا      ولو نُسب اليهودُ إلى القُرود  
لحقّت بنا على عَجَلٍ كأنّا      على وطن وأنت على البريد  
فَهَبْنَا قد رَضِينَاك ابنَ عمِّ      فَمَنْ يرضى بأحكام اليهود ؟ (١٨) .

ونعثر كذلك في مخطوطة تحت عنوان « تاريخ » متوافرة في المكتبة الوطنية  
بباريس (١٩) ، ومنسوبة إلى المدعو مسلم بن محمد بن جعفر اللحجيّ من رجال  
القرن السابع الهجري ، على أبيات يتهم فيها الحِماني على صاحب الزّنج  
بشكل مقذع لادّعائه النّسب العلوي . ونحن لم نطلع بعدُ على هذه الأبيات ،  
ولكن ربما هي المذكورة أعلاه مضافاً إليها . كما تحوي المخطوطة نفسها أيضاً

(١٧) السّمعاني : ج ٢ ص ٢١٩ .

(١٨) نَشْوَانُ الحِمَيْرِي : الحُورُ الْعَيْنُ ، ص ٢٠٢ .

(١٩) Pseudo Muslim Al-Lahgi: Tarih, Manuscrits de la Bibliothèque Nationale, Paris, fonds arabe, n° 5982, f. 173 a-b, 174 a.

Voir à ce propos:

Carl Brockelmann: Geschichte der Arabischen Litteratur (GAL), supplementband 1, p. 587.

سبعة أبيات من شعر صاحب الزنج<sup>(٢٠)</sup>. ثم كيف لم يعرف أحدهما الآخر وقد جاء في «عمدة الطالب» عن صاحب الزنج: «وقد نَحَلَ كثيراً من أشعار علي بن محمد الحَمَاني»<sup>(٢١)</sup>!

### علي بن محمد «صاحب الزنج»

المهم أن مصادرها لا تُنكر على صاحب الزنج شاعريته ولا تشكك فيها. «وكان صاحب الزنج مع شدة قلبه وقوة نفسه فصيح اللسان شاعراً»<sup>(٢٢)</sup>. ويُقرّ أبو بكر الصُّولي (ت ٣٣٥هـ)، وهو الذي كان «أحد الأدباء المتقدمين في الآداب والأخبار والشعر والتاريخ»<sup>(٢٣)</sup>، لصاحب الزنج بالموهبة والسليقة فيقول: «وله شعر حسن مطبوع»<sup>(٢٤)</sup>. وهناك معلومة تقدّم ذكرها تقول إن صاحب الزنج نَحَلَ كثيراً من أشعار الحَمَاني! في حين جاء عند المرزباني (ت ٣٨٤هـ) عن صاحب الزنج: «تُروى له أشعار كثيرة في البسالة والفتك. وسمعت ابن دُرَيْد يذكر أنها أو أكثرها له، لأنه كان يقولها وينحُلها غيره، وقرئت عليه بحضرتي فاعترف بها»<sup>(٢٥)</sup>.

Alexandre Popovic: La Révolte des Esclaves en Irak au IIIe/IXe siècle, p.p. 27,74. (٢٠)

(٢١) ابن عنبه: ص ٢٩٣.

(٢٢) ابن عنبه: ص ٢٩٢.

(٢٣) الصُّفدي: الوافي بالوفيات، ط ٢، ج ٥ ص ١٩٠. واشتهر الصُّولي بلقب «الشُّطرنجي» لأنه «كان ألعب أهل زمانه بالشُّطرنج ويُضرب به المثل» (راجع ترجمته لدى - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٥ ص ٣٠١ و ٣٠٢). ويذكر الصُّفدي أنه «كان أوحّد زمانه في لعب الشُّطرنج»، وقد نازل الماوردي المتقدم في هذه اللعبة التي تتطلب ذكاء ومهارة، لكنه هزمه شر هزيمة، برغم التشجيع الكبير الذي بدر من الخليفة المكتفي حيال الماوردي (الوافي بالوفيات، ج ٥ ص ١٩١ و ١٩٢).

(٢٤) الحُصري: جمع الجواهر في المُلح والنّوادر (وطُبِع سابقاً باسم: ذيل زُهر الآداب)، ص ١٩٠.

(٢٥) المرزباني: معجم الشعراء، ص ١٤٨.

إن صاحب الزنج ، وَفَقَّ ابن دُرَيْد ، كان يَنْحُلُ الكثير من شعره غَيْرُهُ ، أي أنه يقوله وينسبه إلى غيره . في حين ورد معنا منذ قليل مع ابن عَنَبَةَ أن صاحب الزنج « قد نَحَلَ كثيراً من أشعار عليّ بن محمد الحَمَّاني »<sup>(٢٦)</sup> ، بمعنى أنه نسب إلى نفسه هذا الكثير وأضافه إليه<sup>(٢٧)</sup> . ونحن نعرف أن الحَمَّاني قد هجا صاحب الزنج بسبب زعمه أنه عَلَوِيّ ، ولا ندري إذا تعرّض له بسوء بصدد انتحاله شعره ، إذا صحَّ هذا الانتحال أصلاً . وذلك أن صاحب الزنج لا ريب في شاعريته أولاً ، ولأنه كما مرَّ بنا في رواية المرزباني كان يَنْحُلُ غَيْرُهُ شعره ! وقضية النَّحْلِ هذه كانت شائعة في ذلك الزمن ، ويُحْكى عن الصَّولي أنه قال أمام أحد الوزراء بيتين من الشعر ، فادَّعى أحد الكُتَّاب وكان حاضراً أنها له . « فعاتبته » ، فقال : هِبْهُمَا لي ، فقلت : أخاف أن تُمتحن بقول مثلها فلا تُحَسِّن »<sup>(٢٨)</sup> !

ولكن ما يُخرجنا في الموضوع ليس قضية النَّحْلِ ، إذ لا خلاف على شاعرية صاحب الزنج والحَمَّاني ، بيد أننا عندما سنعمد بعد هذه التوطئة الدراسية الى جمع شعر صاحب الزنج سنضطر الى أن نتوقف عند أبيات وقفة المتسائل أو المتحير أو المرجح ، لا ندري هل هي على التخمين أو التحقيق للأول أم للآخر ، بسبب أن المصادر تذكر أحياناً عبارة : قال عليّ بن محمد العلوي ، دون تخصيص . وبما أن الحَمَّاني علويّ بالتأكيد ، وصاحب الزنج علويّ بالتأكيد أو بالادّعاء ، فالعبارة إذا لم تكن مقرونة بلقب الحَمَّاني ، أم علويّ البصرة أم صاحب الزنج أم ربما البُرْقُعيّ – كما يأتي البيروني على هذا

(٢٦) عمدة الطالب ، ص ٢٩٣ .

(٢٧) ابن منظور : لسان العرب ، مادة « نحل » ، م ١١ ص ٦٥٠ و ٦٥١ .

(٢٨) الصَّفدي : ج ٥ ص ١٩١ .

اللقب لصاحب الزنج<sup>(٢٩)</sup> ! - أو المُبرِّق<sup>(٣٠)</sup> ، أم أحد النعوت القبيحة التي رُمي بها قائد الثورة ، فلا يمكن عندها أن نفرّق ونجزم لأيّ من هذين الشاعرين هي الأبيات ؟ خصوصاً أن كلاً من الشاعرين قد نظم في الكثير من الأغراض الشعرية الشائعة ، ولم يقتصر شعرهما على غرض دون غيره .

## ابن دريد وصاحب الزنج

وأبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيْد (ت ٣٢١هـ) من مواليد البصرة ، وقد سكن ، بعد تجوال طويل لطلب العلم والأدب واللسان ، بغداد التي كان يتردد عليها بالإقامة بعد أسفاره<sup>(٣١)</sup> ، ولكنه عندما أسنَّ ظلَّ بها حتى وافته منيته بها ، بعد أن عمّر وقارب المائة<sup>(٣٢)</sup> . وبالتالي فينبغي أن يكون ابن دريد قد التقى بعليّ بن محمد قبل أن يغدو صاحب الزنج ، أي عندما قدّم عليّ بن محمد بغداداً ، عقب فراره من البصرة حيث أخفق خلال المرة الأولى إبان سنة ٢٥٤هـ في الدعوة الى نفسه واستثمار الخلاف الأهلي الناشب المستحكم طوَال ثلاث سنوات بين قبيلتي البصرة الهامتين : البِلَالِيَّة والسُعْدِيَّة . وأمضى عليّ ابن محمد عاماً في بغداد حيث وافاه بعض أعوانه الذين كسبهم في محاولاته السابقة للاستيلاء على السلطة<sup>(٣٣)</sup> . وهكذا ينبغي أن يكون ابن دريد قد التقى بعليّ بن محمد خلال تلك المرحلة وسمع بعض شعره بحضرته ، وقد أقرّ الشاعر بنسبتها إليه .

ولكن ابن دريد يدّعي لنفسه شيئاً خطيراً ، فهو يقول عن شعر صاحب

(٢٩) البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٣٣٢ .

(٣٠) ابن عبد البر : بهجة المجالس وأنس المجالس ، وشذذ الذاهن والهاجس ، ق ١ ص ٤٧٦ .

(٣١) أبو الفرج الثَّهْرَوَانِي : المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، ج ١ ص ٨٥ .

(٣٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ٢م ص ١٩٥ - الذهبي : ج ١٥ ص ٩٦ .

(٣٣) الطَّبْرِي : تاريخ الرُّسُل والملوك المعروف بتاريخ الطبري ، ج ٩ ص ٤١١ و ٤١٢ .



الزنج إنه نظم أكثره ! ينقل لنا أبو بكر الصولي : « وزعم أبو بكر بن دريد أنه عمل له أكثره ، وما أرى هذا يصح ، لأنه لا يشاكل طريق ابن دريد » (٣٤). من الصحيح أن الذهبي يقول عن ابن دريد : « ولأبي بكر شعر جيد » (٣٥)، ولكن هذا الشعر يصدق فيه حكم أبي بكر محمد الأسدي : « كان يقال : إن أبا بكر بن دريد أعلم الشعراء ، وأشعر العلماء » (٣٦). أمّا أنه « أشعر العلماء » فالعلماء أصلاً ليسوا بشعراء سوى من باب رفع العتب أو سوسة المهنة أو من باب التدريب ولكي يقال : وكان يتعاطى الشعر أيضاً ! وراجع بعض شعر محمد بن دريد ليأتيك صدق مقالنا (٣٧).

ورواية أبي عبيد الله المرزباني السابقة الذكر نقلاً عن ابن دريد ينبغي أن تكون صحيحة ، لأن المرزباني كان من جملة الذين أخذوا عن ابن دريد علامة زمانه (٣٨). وكان مضرب المثل في قوة الحافظة عجيبتها ، بحيث حفظ ديوان الحارث بن جِلْزَة بأسره في جلسة واحدة (٣٩) ! « قال أحمد بن يوسف الأزرق : ما رأيت أحفظ من ابن دريد ، ولا رأيته قُرء عليه ديوان قط إلا وهو يسابق الى روايته ، يحفظ ذلك » (٤٠). ولهذا كله شهادة هذا الأديب اللغوي العلامة في شعر علي بن محمد لها شأنها ، ثم إن المرزباني صَنَّف كتباً كثيرة جداً في أخبار الشعراء بلغت آلاف الأوراق (٤١).

- (٣٤) الحصري : جمع الجواهر ، ص ١٩٠ .
- (٣٥) سير أعلام النبلاء ، ج ١٥ ص ٩٦ .
- (٣٦) الخطيب البغدادي : م ٢ ص ١٩٦ .
- (٣٧) القفطي : المحمّدون من الشعراء وأشعارهم ، ص ٢٧٩ - ٢٨٢ .
- (٣٨) النهرواني : الجليس الصالح الكافي ، ج ١ ص ٨٥ - الخطيب البغدادي : م ٣ ص ١٣٥ -
- الذهبي : ج ١٥ ص ٩٧ - الصّفي : ط ٢ ، ج ٤ ص ٢٣٥ .
- (٣٩) الخطيب البغدادي : م ٢ ص ١٩٦ .
- (٤٠) الذهبي : ج ١٥ ص ٩٧ .
- (٤١) الصّفي : ج ٤ ص ٢٣٦ و ٢٣٧ .

## الشعر التحريضي الناقم

ومما يُثبت صحة هذه الشاعرية التي كان يتمتع بها عليّ بن محمد واشتهاره بها ، قبل أن تأتيه الشهرة الكبرى من أنه صاحب الزّنج ، ما ورد لدى الحُصري ( ت ٤٥٣ هـ ) ، تعليقاً على نمودجين من شعره الموجّه الى العباسيين حيث يندد بهم لسيطرة الأتراك على مقاليد الأمور . يقول عليّ بن محمد :

بني عَمِنَا لا توقدوا نار فتنةٍ      بطيءٍ على مرّ الليالي خمودها  
بني عَمِنَا إِنَّا وأنتم أناملُ      تضمّنها من راحتِها عُقودها  
بني عَمِنَا وَلَيْتُمُ التُّركُ أمرنا      ونحن قديماً أصلها وعمودها  
فما بال عُجم التُّركِ تقسيمَ فِئتنا      ونحن لديها في البلاد شهودها  
فأقسم لا ذُقت القراح وإن أدقُ      فبلُغة عيشٍ أو يُبادَ عميدها<sup>(٤٢)</sup>.

ثم إن عليّ بن محمد يتحدث ناقماً من تفشي المعاصي والفجور في قصور بغداد :

لهف نفسي على قصورٍ ببغدا      د وما قد حوته من كلّ عاصٍ

(٤٢) الحصري : زهر الآداب ، ج ١ ص ٢٨٨ (وردت الأبيات باستثناء البيت الأول) - الحصري : جمع الجواهر ، ص ١٩٢ (ورد الشطر الثاني من البيت الثالث على النحو التالي : بديئاً وأعقاباً ونحن شهودها . كما أن البيت الرابع لم يرد له ذكر . في حين جاء في البيت الخامس « يبار » عوض « يباد ») - الذهبي : ج ١٣ ص ١٣٦ (وردت الأبيات الثلاثة الأولى فقط . وقد ذكر البيت الأول ثانياً من حيث الترتيب ، كما جاء فيه « مرّ الزمان » عوض « مرّ الليالي » . وفي نهاية البيت الثالث « عديدها » عوض « عمودها ») - الصّفيدي : الوافي بالوفيات ، مخطوطة المتحف البريطاني ، رقم (Or.6587) ورقة ١٤٣ أ (ورد البيت الأول ثانياً من حيث الترتيب ، كما جاء فيه « مرّ الزمان » عوض « مرّ الليالي » . وفي نهاية البيت الثالث « عديدها » عوض « عمودها » . وفي البيت الرابع « فئنا » بدل « فئتنا » . وفي البيت الخامس « فبلُغة نفس » بدل « فبلُغة عيش ») - الصّفيدي : مخطوطة إسطنبول ، توب قوي سراي ، م ٢٠ ، رقم (A.2920/21) ورقة ١٧٢ ب (الاختلافات نفسها الواردة في مخطوطة المتحف البريطاني ، بالإضافة إلى أن كلمة « يباد » أو « يبار » جاءت « سا » منقوصة ودون تنقيط) .

وخورِ هناك تُشرب جَهْرًا ورجالٍ على المعاصي جِراس  
لستُ بآبنِ الفواطم الزُّهرِ إنْ لم أُقحم الخيلَ بين تلك العِراس<sup>(٤٣)</sup>.

ويبدو عليّ بن محمد في هذه الأبيات الثمانية المذكورة أعلاه ، علويّ الهوى . ويعلّق الحُصري بعدها قائلاً : « وله في هذا المعنى شعر كثير قد ناقضه البغداديون »<sup>(٤٤)</sup> . وهكذا نتحقق أن شاعرية عليّ بن محمد كانت شائعة فاستحقت من الشعراء أن يلتفتوا إليها ، ما دام أن البغداديين قد احتفلوا بشعره واهتموا بمناقضته .

### في العاصمة « ساءراء »

يقول محمد بن عبد المنعم الحِميري في معجمه الجغرافي : « ولصاحب الزّنج أشعار أكثرها في الفخر ووجوب القيام لإزالة الظلم وتغيير المنكر »<sup>(٤٥)</sup> . ولكن لم يكن شعر صاحب الزّنج على الدوام تحريضاً ناقماً ساخطاً ، كما بدا لنا من المقطعين الشعريين المتقدمين ، وكما يتبادر إلينا عما ذكره الحِميري ، وذلك أن عليّ بن محمد كان في بداية أمره يتكسّب بهذا الشعر . فعليّ بن محمد وُلد في وَرْزِين<sup>(٤٦)</sup> من قرى الرّيّ ونشأ ، وهناك كما تقول أمّه عنه : « لم يدع ابني

(٤٣) المرزباني : معجم الشعراء ، ص ١٤٨ ( وقد ورد الشطر الثاني من البيت الأول مختلّ التركيب مبهمًا : دوما قد حوَّته كلّ غَنَاصي ! كما جاء البيت الثالث على النحو التالي :

لستُ بآبنِ الفواطم الغُرّ إنْ لم أُجِل الخيلَ حول تلك العِراس ) -  
الحصري : زهر الآداب ، ج ١ ص ٢٨٨ - الحصري : جمع الجواهر ، ص ١٩٢ - الصفدي : مخطوطة المتحف البريطاني ، ورقة ١٤٣ (أ) ( ورد البيت الثالث كما جاء عند المرزباني ) - الصفدي : مخطوطة إسطنبول ، توب قوبي سراي ، ورقة ١٧٣ (أ) ( ورد البيت الثالث كما جاء عند المرزباني ) .

(٤٤) زهر الآداب ، ج ١ ص ٢٨٨ .

(٤٥) الحِميري : الروض المُقطّار في خبر الأقطار ، ص ١٠٨ .

(٤٦) الطبري : ج ٩ ص ٤١٠ - ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج ٨ ص ١٢٧ . وإن كان =

أحداً عنده عِلْم بالرَّيِّ حتى خالطهم ، ثم خرج إلى خُرَاسان «<sup>(٤٧)</sup>». وجاء في مخطوطة الصَّفْدي « الوافي بالوفيات » أن عليّ بن محمد عاد إلى أمّه بالرَّيِّ ، وكان قد انقطع عنها مع أبيه ، وذلك بسبب خلاف الأب مع الأم التي كانت تنهم زوجها بإتلاف المال ، وتفاقم الخلاف بينهما عندما اشترى جارية ففارقته عندها وخرج مع ابنه . ولكن الولد عليّاً رجع إلى حضن أمّه بعد سنين عديدة ، وأخبرها بموت والده ، وأقام عندها في الرَّيِّ مدة « لا يَدْعُ أحداً عنده أدبا (؟) ولا رواية إلا أخذها . وتوجّه إلى خراسان وغاب سنتين أو ثلاثة (؟) ، وعاد فأقام مُديدة ، ثم غاب الغيبة التي خرج فيها «<sup>(٤٨)</sup>».

وسرعان ما أتى عليّ بن محمد البصرة ، كعبة التجارة والعِلْم ، « وبها قرأ وتأدّب وكان يعلّم القرآن والأدب لبعض أبنائها »<sup>(٤٩)</sup>. وتعود بعض المصادر القليلة بأصله الى البصرة نفسها : « وكان أصل هذا الدعيّ الثائر من البصرة ، وبها قرأ وتأدّب »<sup>(٥٠)</sup> ! على أنه من الراجح عندنا ، كما نستشفّ من المصادر المتوافرة لدينا حتى الآن ، أنه أتاها باكراً وأقام فيها ينهل العِلْم . « وأما حاله فإنه كان رجلاً فاضلاً فصيحاً بليغاً لبيباً »<sup>(٥١)</sup>. ويتحدث أحمد بن داود ابن الجراح الكاتب<sup>(٥٢)</sup> عن صاحب الزنج فيذكر بعض شعره ويُقرّ له بالمعرفة

- = صاحب « العيون والحداثق في أخبار الحقائق » ، وهو مؤلف مجهول ، يقول : « وهو مشكوك في ذلك » (ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٤ و ١٥) . كما أن ابن عنبه يذكر بتحفظ : « ويقال إنه كان وَرَزَنِيّاً » (عمدة الطالب ، ص ٢٩١) .
- (٤٧) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ترجمة « الخيث » ، ج ١٣ ص ١٣١ .
- (٤٨) الصفدي : مخطوطة المتحف البريطاني ، ورقة ١٤١ (أ) - مخطوطة إسطنبول ، توب قوبي سراي ، ورقة ١٦٩ (ب) .
- (٤٩) الحميري : الروض المعطار ، ص ١٠٨ .
- (٥٠) ابن العراق : معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر ، ص ٣٢ .
- (٥١) ابن الطِّقَطَقِيّ : الفخري في الأدب السلطانية والدول الإسلامية ، ص ٢٥٠ .
- (٥٢) حاولنا بلا طائل العثور على ترجمة لهذا الكاتب في المصادر ، ولعله أن يكون محمد بن داود =

قائلاً : « له حظ من الأدب » (٥٣).

وشَخَّصَ عليّ بن محمد بعد البصرة الى عاصمة الخلافة التي غدت منذ سنة ٢٢١هـ سامراء<sup>(٥٤)</sup>. وبما أن الشعر كان إحدى أدوات عليّ بن محمد ، « وكان حسن الشعر مطبوعاً عليه »<sup>(٥٥)</sup> ، فقد اتصل بجماعة من حاشية الخليفة المنتصر في سامراء<sup>(٥٦)</sup> ، وكان بينهم غانم الشَّطرنجي ، سعيد الصغير ، ويُسر<sup>(٥٧)</sup> الخادم الذي كان خادماً الخليفة المنتصر<sup>(٥٨)</sup>. « وكان منهم معاشه ، ومن قوم من أصحاب السلطان وكتّابه يمدحهم ويستميحهم بشعره »<sup>(٥٩)</sup>. كما كان « يعلم الصبيان الخط والنحو والنجوم »<sup>(٦٠)</sup> ، وذلك لأنه « كان شاعراً ، أديباً ، يعرف طرفاً من النجوم »<sup>(٦١)</sup>. وجاء لدى الذهبي أنه كان

= ابن الجراح المتوفى سنة ٢٩٦هـ ( أنظر مثلاً ترجمته لدى – ابن شاکر الكتبي : فوات الوفيات ، ٣م ص ٣٥٣ و ٣٥٤ ) . والتصحيف بين أحمد ومحمد ليس بغريب لتقارب الحروف في مجملها . على أي حال فين يدينا صورة للمخطوطة الأهم لكتاب « سير أعلام النبلاء » وهي موجودة في أحمد الثالث بإسطنبول رقم (A9/2910) ، ويعود تاريخ نسخها الى سنة ٧٤٠هـ ، وهي منقولة عن نسخة بخط المصنّف وفي حياته (ت ٧٤٨هـ) ، ويرد فيها اسم أحمد بن داود ابن الجراح (٩م) ، ترجمة « الخبيث » ، ورقة ٥٨ ) .

(٥٣) الذهبي : ج ١٣ ص ١٣٦ .

(٥٤) ابن الطقطقي : الفخري ، ص ٢٣١ .

(٥٥) ابن أبي الحديد : ج ٨ ص ١٢٧ .

(٥٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٧م ص ٢٠٦ – أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ص ٥٩ – ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون ، ٣م ص ٦٣٧ .

(٥٧) جاء الاسم عند ابن أبي الحديد « بشير » (ج ٨ ص ١٢٧) . وهو في طبعة الطبري التي أخرجها المستشرقون « بَشْر » (ج ١٢ ص ١٧٤٣ هامش) ، وقد أعادت تصويرها مكتبة خياط ، بيروت ، في سلسلة « روائع التراث العربي » (٣) .

(٥٨) الطبري : ج ٩ ص ٤١٠ – ابن أبي الحديد : ج ٨ ص ١٢٧ .

(٥٩) الطبري : ج ٩ ص ٤١٠ .

(٦٠) ابن أبي الحديد : ج ٨ ص ١٢٧ .

(٦١) مؤلف مجهول : العيون والحدايق في أخبار الحقائق ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٥ .

منجماً وأنه عانى التنجيم ، و «قال نفطويه : كان ربما كتب العُود» (٦٢). والعُود مفردها العُودَة أو التَّعويد وجمعها تعاويد ، بمعنى الرُّقية التي يعلّقها المرء اتّقاء في زعمه من الشر والعين والجنون (٦٣) ! « وقيل : كان الخبيث منجماً يكتب الحروز » (٦٤).

لقد قال عليّ بن محمد « الشعر ، ومدح به ، وصار كاتباً » (٦٥). ويذكر الصَّفدي سيرته فيقول : « وكان بِسُرٍّ مَنْ رأى وتصرّف في أشغال الديوان وقال الشعر واستماح به » (٦٦). وظل عليّ بن محمد يستمنح الناس من النافذين بشعره ويعلم الصبيان ويمتدح الكُتّاب متكسباً ، وهؤلاء كانوا للمناسبة أصحاب حظوة وأطلاع ، إلى أن غادر سامراء سنة ٢٤٩هـ وشخص منها إلى البحرين (٦٧).

(٦٢) الذهبي : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، مخطوطة دار الكتب المصرية ، رقم ٤٢ تاريخ ، م ١٥ ورقة ١١٥ .

(٦٣) في سنة ٢٧٩هـ بايع المعتد الذي كان منصرفاً الى لهوه ، بولاية العهد الى أبي العباس بن الموفق ولقبه بالمعتضد ، وكان الموفق أخوه قد مات في السنة السابقة . وعندما صار المعتضد خليفة ترك سامراء وسكن بغداد التي أحبها ، عائداً بذلك إلى مقرّ الخلافة السابق والأصلي ( مؤلف مجهول : العيون والحداث ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٩٤ ) . « وأمر المعتضد في هذه السنة أن لا يقعد في الطريق منجم ولا قصاص ، واستحلف الوراقين أن لا يبيعوا كتب الفلاسفة والجلد » ( السُّيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٦٦ و ٣٦٧ ) .

(٦٤) ابن العِماد : شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب ، ج ٢ ص ١٥٦ .

(٦٥) الذهبي : ج ١٣ ص ١٢٩ ، ١٣١ .

(٦٦) مخطوطة الوافي بالوفيات ، المتحف البريطاني ، ورقة ١٤١ (أ) – توب قوي سراي ، ورقة ١٦٩ (ب) .

(٦٧) الطبري : ج ٩ ص ٤١٠ – ابن الأثير : م ٧ ص ٢٠٦ – ابن أبي الحديد : ج ٨ ص ١٢٩ – وجاء لدى الذهبي أنه « نزع من سامراء الى الرِّيِّ لميراث » ( ج ١٣ ص ١٣١ ) .

## توثب إلى السلطة

إن علي بن محمد كانت نفسه تحدّثه بالمعالي ولا يجد متنفساً لها ، فهو « تسمو نفسه الى معالي الأمور ، ولا يجد إليها سبيلاً »<sup>(٦٨)</sup> . والقناعة لم تكن عنده كنزاً يحرص عليه ، فهي مهانة ، والدنيا سباق وغلبة ، وعلى حد قول شوقي : « ولكن تؤخذ الدنيا غلابا » . وعكس شعر علي بن محمد هذا التوثب عنده الى العلو والسلطة وإمساك الأمور بناصيتها . ولا شك أنه كان يجد في ذاته استعداداً شخصياً مشروعاً لهذا الطموح ، وأن عليه أن يهتبل الفرصة السانحة لتحقيق ما يعمل في صدره من تطلّع الى عظماء المراتب قبل أن يحوزها غيره ، خصوصاً والزمن يعتوره الاضطراب ، والخلفاء مضعوفون محبوسون مقتولون ، والساحة مبذولة لكل مغامر تراوده نفسه على التقمّل لعل الفوز يكون حليفاً لها ونصيراً . فكما جاء لدى الذهبي : « وطمع كل شيطان في التوثب »<sup>(٦٩)</sup> .

يقول علي بن محمد :

رأيتُ المُقَامَ على الاقتصادِ قُنوعاً به<sup>(٧٠)</sup> ذلّةً في العبادِ  
إذا النار ضاق بها زندها<sup>(٧١)</sup> ففُسحتُها في فراق الزناد  
إذا صارمٌ قرّ في غمّده حوى غيره السبق يومَ الجِلال<sup>(٧٢)</sup> .

ولهذا فارق علي بن محمد سامراء الى البحرين فالبادية بعدها ، مجرباً خطة

(٦٨) ابن أبي الحديد : ج ٨ ص ١٢٧ .

(٦٩) سير أعلام النبلاء ، ج ١٣ ص ١٣١ .

(٧٠) قُنوعاً به : أي خضوعاً له وانقياداً ، من قَنَعَ .

(٧١) زندها : هو أداة لإشعال الزنّدة وتفجير ما تحوي من مادة قابلة للالتهاب ورمي القذيفة عندها .

(٧٢) ابن أبي الحديد : ج ٨ ص ١٢٨ .

في تَسَنُّم السلطة . ثم عاود الرجوع إلى البصرة سنة ٢٥٤هـ ونزل في بني ضُبَيْعَةَ ، وحاول اغتنام الفرصة بسبب انقسام أهل البصرة ونشوب الفتنة بين البِلَالِيَّة والسعدِيَّة فيها وإخراجهما عاملها محمد بن رجاء عنها<sup>(٧٣)</sup> . فطمع عليّ ابن محمد في أن يستميل أحد الفريقين إليه ، فيستعين به على الآخر ، ولكنه لم يُفلح في مسعاه ولم يلقَ استجابة من إحدى الطائفتين المتصارعتين<sup>(٧٤)</sup> . فخرج من البصرة بعدها هارباً إلى بغداد ، إلى أن وافى البصرة مجدداً ليقود الزَّنج في ثورتهم الكبرى وليحقق بهم ومعهم مطمحه العظيم الذي دَوَّخ به الخلافة العباسية بلا مهادنة منه ولا مساومة ولا خضوع للمغريات المادية ومن غير مبالاة بعروض الأمان المتكررة<sup>(٧٥)</sup> .

### « ديوان صاحب الزنج »

وإذا ما كنا نجمع شتات المعلومات وتُتَفَّ الأبيات ، لنقيم الدليل على أن صاحب الزَّنج شاعر ، ثم لنلتململ في المصادر ما يمكن أن نُطلق عليه « ديوان صاحب الزَّنج » ، فإن ابن عَنَبَةَ ( ت ٨٢٨هـ ) يغنينا عن هذا الإثبات وذاك الجهد من قوله عن عليّ بن محمد صاحب الزَّنج : « وله ديوان مفرد ، ورأيتُ كثيراً من نُسخه »<sup>(٧٦)</sup> . ولكن أين هو الآن هذا الديوان ذو النُّسخ الكثيرة في القرن التاسع الهجري ؟ وهل تهبنا الأيام ذات يوم هذا الديوان وهو مطمور مهمل بين مخطوطات هذه المكتبة العالمية أو تلك ؟ على أنه يخالجننا شعور أن هذا الديوان المعنيّ ربما كان ديوان عليّ بن محمد الحِمَاني الذي سبقت الإشارة إليه ، والذي كان موجوداً ومتوافراً حتى القرن التاسع الهجري ، ثم لم نعد

(٧٣) ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ، ج ١١ ص ١٩ - ابن خلدون : م ٣ ص ٦٣٨ .

(٧٤) الطبري : ج ٩ ص ٤١١ و ٤١٢ - ابن الأثير : م ٧ ص ٢٠٧ - ابن كثير : ج ١١ ص ١٩ .

(٧٥) مؤلف مجهول : العيون والحداثق ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٥٧ .

(٧٦) عمدة الطالب ، ص ٢٩٣ .



ندري عنه شيئاً بعدها ! وابن عَنَبَة يقول إنه سمع شعراً لصاحب الزَّنج أنشده إياه شيخه ابن مُعَيَّة ، ويذكر لنا مقطعين من الشعر يبلغان أحد عشر بيتاً . وقد بذلنا جهداً طيباً لمتابعة ترجمة ابن مُعَيَّة<sup>(٧٧)</sup>، علَّنا نعثُر عنده على ذكر لصاحب الزَّنج ، لكن محاولتنا لم تُجِدْ نفعاً ، ربما لأن مراجعنا الشيعية ليست وافية .

وبعدُ ، فليست هذه الدراسة المكثَّفة سوى تمهيد للإكباب على جمع شتات أبيات شعر صاحب الزَّنج وتخريجها ودرسها<sup>(٧٨)</sup> ، وإن كنا نعتقد مسبقاً أنها لا تختلف على العموم عن الإيقاع الشعري لذاك العصر . فإن الأغراض الشعرية التي تتناولها هي التي كانت شائعة عهدذاك ، وبخاصة أن صاحب الزَّنج قد تكسَّب بشعره في بداية أمره ، ومن ثم وقفه بعدها لخدمة أغراضه الثورية والسلطوية .

(٧٧) هناك ترجمة لابن مُعَيَّة لدى : الحر العاملي : أمل الأمل ، ق ٢ ص ٢٩٤ و ٢٩٥ . وفي هذا المصدر يتردد كثيراً ذكر ابن مُعَيَّة على أنه راوية لكثير من الطالبيين ( راجع فهرس الأعلام ، ق ٢ ص ٤١٦ ) - عباس القمي : الكنى والألقاب ، ج ١ ص ٤٠٩ و ٤١٠ .

(٧٨) هناك محاولة أولى في هذا الميدان قام بها أحمد جاسم النجدي : « أشعار صاحب الزَّنج » ، مجلة « المورد » م ٣ ، ع ٣ ( ١٩٧٤ ) ، ص ١٦٧ - ١٧٤ . وقد عرض للأشعار التي توافرت لديه من غير دراستها ، لأنه يقول ضمن تمهيد خاطف إنه فعل ذلك خلال رسالته « الشعر والشعراء في البصرة خلال القرن الثالث الهجري » . لكن هذه الرسالة ليست مطبوعة بعدُ في ما نظن ، أو ربما هي مطبوعة ولكن لم يُنَحَ لنا الاطلاع عليها .

## المصادر والمراجع

- ١ - عليّ بن محمد صاحب الزّنج (ت ٢٧٠هـ): «أشعار صاحب الزّنج»، صنعة: أحمد جاسم النجدي، مجلة «المورد» (بغداد) م ٣، ع ٣ (١٩٧٤)، ص ١٦٧ - ١٧٤.
- ٢ - عليّ بن محمد الحِمّاني (ت ٣٠١هـ): «ديوان عليّ بن محمد الحِمّاني العلوي الكوفي»، صنعة: محمد حسين الأعرجي، مجلة «المورد» م ٣، ع ٢ (١٩٧٤)، ص ١٩٩ - ٢٢٠.
- ٣ - الطّبري (ت ٣١٠هـ): تاريخ الرُّسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري (١١ جزءاً)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، سلسلة «ذخائر العرب» (٣٠)، دار المعارف بمصر ٦٠ - ١٩٦٩، ١٩٧٧.
- ٤ - المسعودي (ت ٣٤٥هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر (٧ أجزاء)، طبعة بربيه دي مينار وباقيه دي كرتاي، غُني بتفقيحها وتصحيحها ووضع جزءين من الفهارس العامة: شارل پلّا، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية (١١)، بيروت ٦٦ - ١٩٧٩.
- ٥ - حمزة بن الحسن الأصبهاني (ت ٣٦٠هـ): تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مطبعة كاوياني، برلين ١٣٤٠هـ.

- ٦ - المَرْزُبَانِي (ت ٣٨٤هـ) : معجم الشعراء ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦٠ .
- ٧ - المَرْزُبَانِي : المَوْشَع ، مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر ١٩٦٥ .
- ٨ - أبو الفرج النَّهْرَوَانِي (ت ٣٩٠هـ) : الجليس الصالح الكافي والأُنيس الناصح الشافي (جزءان) ، تحقيق : محمد مُرسي الحُوَلي ، عالم الكتب - محمد أمين دمج ، بيروت ٨١-١٩٨٣ .
- ٩ - الحُصْرِي (ت ٤١٣هـ) : زَهْر الآداب وثمر الألباب (جزءان) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٣ .
- ١٠ - الحُصْرِي : جمع الجواهر في المُلَح والنَّوادر (طُبِع سابقاً باسم : ذيل زَهْر الآداب) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٣ .
- ١١ - البَيْرُونِي (ت ٤٤٠هـ) : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق : إدوار ساشو ، ليزيغ ١٩٢٣ .
- ١٢ - البَيْرُونِي : الجماهر في معرفة الجواهر ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدَّكْن ، الهند ١٣٥٥هـ .
- ١٣ - الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) : تاريخ بغداد أو مدينة السلام (١٤ مجلداً) ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، المكتبة العربية ببغداد ، ومطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ١٩٣١ .
- ١٤ - ابن عبدالبَر (ت ٤٦٣هـ) : بهجة المجالس وأنس المجالس ، وشحدن الذاهن والهاجس (قسمان) ، تحقيق : محمد مُرسي الحُوَلي ، سلسلة «تراثنا» ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٢ .
- ١٥ - البَكْرِي (ت ٤٨٧هـ) : سِمَط اللَّآلِي (جزءان) ، تحقيق : عبدالعزيز

الميمني ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٦ . وهناك  
للمحقق نفسه جزء مستقل عن الدار نفسها : فهارس سِمْط اللّآلِي ،  
القاهرة ١٩٣٧ .

١٦ - مؤلف مجهول ( من القرن الخامس الهجري (؟) ) : العيون والحدائق  
في أخبار الحقائق ( ج ٤ ( ٢٥٦ - ٣٥٠ هـ ) ، قسمان ) ، تحقيق : عمر  
السَّعِيدِي ، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية ٧٢ - ١٩٧٣ .

١٧ - السَّمْعَانِي ( ت ٥٦٢ هـ ) : الأنساب ( ١٠ أجزاء ) ، ج ١ - ٦ ،  
تحقيق : عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، مطبعة مجلس دائرة  
المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ٦٢ - ١٩٦٦ . ج ٧ - ١٠ ،  
تحقيق : محمد عوامة ، رياض مراد ، وعبدالفتاح محمد الحلو ، الناشر  
محمد أمين دمج ، بيروت ٧٦ - ١٩٨١ .

١٨ - نَشْوَان الحِمَيْرِي ( ت ٥٧٣ هـ ) : الحُورُ الْعَيْنُ ، تحقيق : كمال  
مصطفى ، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٤٨ .

١٩ - ياقوت ( ت ٦٢٦ هـ ) : معجم البلدان ( ٥ مجلدات ) ، دار إحياء  
التراث العربي ، بيروت (؟) .

٢٠ - ياقوت : معجم الأدباء ( ٢٠ جزءاً ) ، تحقيق : أحمد فريد رفاعي ،  
مطبوعات دار المأمون ، القاهرة ٣٦ - ١٩٣٨ . طبعة مصوّرة عن دار  
إحياء التراث العربي ، بيروت (؟) .

٢١ - ابن الأثير ( ت ٦٣٠ هـ ) : الكامل في التاريخ ( ١٣ مجلداً ) ، دار  
صادر - دار بيروت ٦٥ - ١٩٦٧ .

٢٢ - ابن الأثير : اللُّبَاب في تهذيب الأنساب ، تحقيق : مصطفى  
عبدالواحد ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ١٩٧١ .

٢٣ - القِفْطِي ( ت ٦٤٦ هـ ) : المحمّدون من الشعراء وأشعارهم ، تحقيق :  
رياض عبدالحميد مراد ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥ .

٢٤ - ابن أبي الحديد (ت ٦٥٥هـ) : شرح نهج البلاغة (٢٠ جزءاً) ،  
تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة  
١٩٦٤ - ٥٩ .

٢٥ - ابن خَلِّكان (ت ٦٨١هـ) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٨  
مجلدات) ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت  
١٩٧٢ - ٦٨ .

٢٦ - ابن الطِّقْطَقِي (ت ٧٠٩هـ) : الفخري في الآداب السلطانية والدول  
الإسلامية ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٦ .

٢٧ - ابن منظور (ت ٧١١هـ) : لسان العرب (١٥ مجلداً) ، دار صادر ،  
بيروت (?) .

٢٨ - محمد بن عبد المنعم الحَمَيري (ت ٧٢٧هـ) : الروض المِعْطار في خبر  
الأقطار (معجم جغرافي) ، تحقيق : إحسان عباس ، ط ٢ ، مؤسسة  
ناصر للثقافة ، بيروت ١٩٨٠ .

٢٩ - أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ) : المختصر في أخبار البشر (٧ أجزاء) ، دار  
الكتاب اللبناني ، بيروت (?) .

٣٠ - الذهبي (ت ٧٤٨هـ) : سِير أعلام النبلاء (١٧ جزءاً حتى تاريخه) ،  
أشرف على تحقيقه : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت  
١٩٨٣ - ٨١ .

٣١ - الذهبي : مخطوطة سِير أعلام النبلاء ، إسطنبول ، أحمد الثالث ، رقم  
(A9/2910) ، م ٩ ، ترجمة « الخبيث » ، ورقة ٥٥ - ٥٨ .

٣٢ - الذهبي : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، مخطوطة دار  
الكتب المصرية ، رقم ٤٢ تاريخ ، م ١٥ . وهذه المخطوطة للطبقات  
فقط (٢٥٠ - ٣٠٠هـ) ، وهي مأخوذة عن نسخة مدرسة المرجانية  
النعمانية ببغداد .

- ٣٣ - ابن شاعر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) : فوات الوفيات والذيل عليها (٤ مجلدات) ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٤ - ٧٣ .
- ٣٤ - الصَّفدي (ت ٧٦٤هـ) : الوافي بالوفيات ، سلسلة « النشرات الإسلامية » (٦) ، تصدرها جمعية المستشرقين الألمانية ، بيروت ١٩٨٤ - ٤٩ .
- ٣٥ - الصَّفدي : الوافي بالوفيات ، ترجمة « صاحب الزنج » ، مخطوطة المتحف البريطاني (British Museum, Or. 6587) ، ورقة ١٤٠ (ب) - ١٤٣ (ب) - مخطوطة إسطنبول ، توب قوي سراي ، م ٢٠ ، رقم (A. 2920/21) ، ورقة ١٦٩ (أ) - ١٧٣ (ب) .
- ٣٦ - ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) : البداية والنهاية في التاريخ (١٤ جزءاً) ، المطبعة السلفية ، مطبعة السعادة ، ومكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٣٢ .
- ٣٧ - ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) : كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون (٧ مجلدات) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٥٩ - ٥٦ .
- ٣٨ - ابن عنبه (ت ٨٢٨هـ) : عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، باعثناء : محمد حسن آل الطالقاني ، ط ٢ ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف ١٩٦١ .
- ٣٩ - السيوطي (ت ٩١١هـ) : تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحamid ، ط ٢ ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٥٩ .
- ٤٠ - السيوطي : لبّ اللباب في تحرير الأنساب ، تحقيق : بطرس حنا فت ، ليدن ١٨٤٠ . أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد (؟) .
- ٤١ - طاش كبري زاده (ت ٩٦٧هـ) : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم (٣ أجزاء) ، تحقيق : كامل كامل بكري

- وعبدالوہاب أبو النور ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٩٦٨ .
- ٤٢ - ابن العراق ( من علماء القرن العاشر الهجري ) : معدن الجواهر بتاريخ  
البصرة والجزائر ، تحقيق : محمد حميد الله ، مطبوعات مجمع البحوث  
الإسلامية ، إسلام آباد ، باكستان ١٩٧٣ .
- ٤٣ - ابن العِمامد ( ت ١٠٨٩ هـ ) : شَذَرَات الذهب في أخبار مَنْ ذهب ( ٨  
أجزاء ) ، مكتبة القُدسي ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- ٤٤ - الحر العاملي ( ت ١١٠٤ هـ ) : أمل الآمل ( قسمان ) ، تحقيق : أحمد  
الحسيني ، مكتبة الأندلس ، بغداد ١٣٨٥ هـ .
- ٤٥ - عباس القَمي ( ت ١٣٥٩ هـ ) : الكنى والألقاب ( ٣ أجزاء ) ، المطبعة  
الحيدرية ، النجف ١٩٥٦ .

Carl Brockelmann: Geschichte der Arabischen Litteratur (GAL), — ٤٦  
Leiden (1) 1943, (2) 1949. Supplementband, Leiden (1) 1937, (2)  
1938.

Alexandre Popovic: La Révolte des Esclaves en Irak au IIIe/IXe siècle — ٤٧  
cle, Bibliothèque d'Etudes Islamiques (6), Librairie Orientaliste.  
Paul Geuthner, Paris 1976.

## القسم الثالث

نورُ التَّزْجِي فِي كِتَابِ الدَّلَالِ سِي



## الفصل الخامس

ثورة الزّنج في مِراة مكسورة

ليس الإعجاب بهذا الكتاب لمحمد عمارة « ثورة الزنج »<sup>(١)</sup>، هو الذي حملني على تحبير الصفحات التالية ، إنما ما ابتعثه في نفسي من مرارة لا أدري كيف أصفها . فصاحب هذا الكتاب ، على صغر حجمه ومادته ، هو من الأسماء الرائجة خلال السنوات الأخيرة في السوق الفكري . وعندما وقع بين يديّ كتابه الجديد غمرتني الغبطة في البدء ، لأن صلتني بهذا الموضوع في التاريخ الإسلامي ترقى الى عهد الشباب الباكر ، وكنت وما زلت معنياً به ، متبوعاً لما يصدر من أبحاث حوله ، منقباً في المظان والمخطوطات عن بصيص من النور جديد ينير العتَمات التي تلفّ هذه الثورة الاجتماعية ، وهي عتَمات اصطنعتها وأهالتها على أحداثها وأهدافها وتحالفاتها ، الطبقة الحاكمة ، وهذا شأن كل ثورة عرفها التاريخ . أليست الثورة خروجاً على المنطق السائد ، وتبديلاً في علاقات الإنتاج ، وزعزعة للنظام الاجتماعي المهيمن ، فكيف تنتظر من الذين جاءت لتنهال بمطرقتها عليهم أن يُنصفوها ؟

(١) ٨٤ صفحة من القطع الصغير، دار الوحدة ، بيروت ١٩٨٠ .

إن تزوير التاريخ عُملة قديمة ، وما دامت الطبقات بعضها فوق بعض ، تتنازع في صراع تناحري لا يرحم ، فإن العَمَـات ستقتحم أسفار التاريخ ناشرة الأضاليل . إنه الكَذِب الطَّبَقِيّ - إذا ساغ التعبير ، يهاجم العقول ، وليست ثورة الزّنج خروجاً على القاعدة . على أن ما يميز الثورات في العصور الحديثة أن وسائل الاتصال والإعلام العجيبة ، ورواج الطباعة الحارق ، وانتشار الصورة على أشكالها ، هي عوامل مِعْوان للتضليل وغسل الأدمغة ، بيد أنها تتيح في الآن نفسه للآراء المتباينة أن تظهر إلى العلن ، وتفتح منافذ وكوى يتسلل منها ضياء الحقيقة التاريخية عبر العتمات ويفضح الأعداء الطبقيين وما حاكوه من تُرُهاث . إن الذبح والاغتصاب والتنكيل والتمثيل وتُهماً غيرها لا تُحصى قد أُلصقت بالثورات قديماً وحديثاً ، وبينها ثورة الزّنج في العصر العباسي ، هذا العصر الذي دُشِنه أصحابه بنافورة من الدماء لا يهدأ لها خريز ! وإن زعماء الثورات وقادتها مجانين ومعتوهون وشُذّاذ قد حَلَّت عليهم اللعنة ، وكان عليّ بن محمد ، قائد ثورة الزّنج ، في قاموس التاريخ الإسلامي الرسمي خبيثاً كافراً لعنه الله من خائن فاسق ! أما جماهير الثورات فهم هَمَج متوحشون لصوص أوباش ، ولا حاجة إلى التذكير أن جماهير ثورة الزّنج هم خصوصاً من العبيد ، فكيف ترجو الخير من هم « عبيد » يستبيحون الحُرّات قطعاً طرق بُغاة طَغَام ! وبعدُ ، فليست الثورة في نهاية المطاف ، وبرغم كافة الافتراءات ، درساً في الأخلاق و « الإتيكيت » ، إنها ساعة حسم وقفزة لقوى الإنتاج ، والنصر دائماً ، برغم الانتكاسات والمآسي ، حليف القوى التي تدفع المجتمع والتاريخ إلى الأمام . هل رأيتُم مجتمعاً يَقفل القهقري من البورجوازية الى الإقطاع أو يرتد عن الإقطاع الى العبودية ؟ أمّا الرِّدّة فهي فصل مألوف يدخل في خانة الأخطاء ، وقد تكون مأساوية أحياناً ، غير أن الخطأ التاريخي ليس من شأنه أن يبدّل ما يملّيه التطور المحتوم على صفحة النص التاريخي .

## أزمة في كتابة النص

ليس كتاب محمد عمارة عن ثورة الزنج محاولة علمية لإعادة صياغة نص تاريخي ، إنه في الحقيقة ثروة تاريخية ليست ذات بال ! والقارئ المتبع يعجب لما نشر هذا الدارس خِلَل الأعوام الأخيرة من كتب تأخذ بخناق بعض ، ما دام أنه بادر إلى إعادة نشر الكثير من تراث النهضة الفكري الطليعي المجيد ، مثل أعمال الأفغاني ومحمد عبده ورفاعة رافع الطهطاوي وعلي مبارك وقاسم أمين . ولكن هذا العمل الذي يبدو مشكوراً للوهلة الأولى ، ما أن تُنعم النظر فيه حتى تجد أن الرجل لا يفعل سوى تناول النصوص القديمة وإعادة نشرها دون أي تحقيق ، ويضيف إليها مقدّمات إذا ما اعتصرتها لوجدت أنها تقوم غالباً على استشهادات لا تنضب من النصوص المنشورة . وكفى الله الدارسين شر البحث ورهقه ، فالاستشهادات تُسمن الكتاب لكنها لا تغني عن جوع إلى جوهر المعرفة التي أنتجها أصحاب النصوص وإشكالات عصرهم . إن عمارة يمارس التلفيق العلمي ، كأنه لم يكفنا ما في حياتنا الرمادية من تلفيق وتدليس ولعب بالعقول . وإن القارئ ليأخذ الدهش عندما يقرأ هذا الكتيب الجديد عن ثورة الزنج الذي أخرجه محمد عمارة . إن المؤلف يُقبل على معالجة موضوع تاريخي حسّاس وهو لا يعرف من أمره إلا أربعة مصادر بالكاد ، إذ لم يقرأ منها غير صفحات يسيرة بلا تدقيق !

وربّ قائل : ما دام الكتاب على هذا النحو من التسطح العلمي فلم تحفل به ؟ الواقع أن الباعث الذي يروع المرء هذا التخلف الذي يكاد يكون مزمناً في دراسة التاريخ الإسلامي ، وهو ما قادنا إلى تدبيج هذه المقالة عبّر تعرّضنا لنموذج متخلف جداً يتمثل بكتاب عمارة . إنه مجرد مناسبة غير سارة نتكئ عليها للحديث عن بعض شجون الدراسة التاريخية عندنا ، وعن بعض القضايا الإشكالية التي تثيرها ثورة الزنج لدى الباحثين . إن التاريخ الإسلامي

دون غيره ما زال تقريباً حَكَراً على أقلام محافظة منغلقة فكراً وروحاً على طرائق ومناهج البحث العلمي ، بحيث إن الكتب العلمية الطابع تدخل في حيز النُدرة . بل إن ما هو أدهى أننا بعد خمس وسبعين سنة من توالي صدور كتاب « تاريخ التمدّن الإسلامي » لـمـرجي زيدان بأجزائه الخمسة<sup>(٢)</sup> ، وهو من الكتب العربية الخيرة القليلة في نهجه وعلميته وإحاطته ونفاذ نظرته خلال النهضة الحديثة ، وقد وضعه رائد كبير يُحمد له سعيه العلمي في هذا الميدان ، بعد ذاك الزمن البعيد نجد في الغالب الأعمّ ، ولا نتوقف عند الاستثناءات ، أن ما يصدر من كتب حول التاريخ الإسلامي ينتمي إلى مرحلة ليست على سوية « زيدان » العلمية بأيّ حال ، إنما يعود بنا الى ما كان شائعاً قبله من اجترار لا هوادة فيه وتكرار لما ورد في بعض كتب الأقدمين من غير غربلة ولا نقد ولا تمحيص دعك من حديث المنهج .

## الحرية دائماً وأبداً

والطريف في كتاب عمارة أنه جاء ، كما ورد في تقديمه ، يحقق لصاحبه أمنية جاشت في صدره ما يزيد على ربع قرن ، منذ أن قرأ لـطه حسين « ثورتان »<sup>(٣)</sup> . أما الثورة الأولى التي يقصدها طه فهي ثورة سبارتاكوس ، ذلك الثائر بالنظام الاجتماعي الإقطاعي الروماني سنة ٧٣ ق.م. والذي ألّب حوله العبيد المضطّهدين الذين كانوا يعملون في كميانيا بإيطاليا ، فنهضوا يعضدونه بعشرات الألوف . وكان سبارتاكوس راقى النفس طيباً ، وكان في

(٢) أفضل طبعة لهذا الكتاب هي التي وقف عليها حسين مؤنس وصدرت عن دار الهلال ، القاهرة ١٩٥٨ .

(٣) ظهرت هذه الدراسة في مجلة « الكاتب المصري » التي كان يرئس تحريرها طه حسين ( ٢م ) ، ع ٨ ( مايو ١٩٤٦ ) ، ص ٥٥٣ - ٥٧٣ . وصدرت بعدها في كتابه « ألوان » ، ط ٣ ، ص ١٦٤ - ١٨٧ ، دار المعارف بمصر (؟) .

الأصل ، قبل استعباده ، حراً وصاحب قطعان يرعى بها في تراقيا . هذه الثورة للأرقاء في إيطاليا يعمد طه الى مقارنتها بثورة صاحب الزنج في البصرة الذي يدعوه عبدالله بن محمد . ولا ندري من أين جاء طه بهذا الاسم المغلوط ومن أي مصدر استقاه ، وقد رددته على هذا النحو في جميع الأماكن التي ذكر فيها اسم صاحب الزنج خلال صفحات دراسته . فالشائع في الأصول التاريخية التي بحوزتنا أن اسم صاحب الزنج هو علي بن محمد ، أما لماذا دعاه طه « عبدالله » فهو خطأ صراح استرسل فيه . وقد انتقلت عدوى هذا الخطأ في تسمية قائد الزنج في ما بعد إلى معين بسيسو في مسرحيته الشعرية « ثورة الزنج »<sup>(٤)</sup> . المهم أن هذه المقارنة التي عقدها طه بين ثوري كميانيا ( ٧٣ - ٧١ ق.م . ) والبصرة ( ٨٦٩ - ٨٨٣ م ) ليس لها ما يبررها علمياً . فالشقة الزمنية بينهما تمتد قرابة عشرة قرون ، وليس هناك أيضاً من تلاؤم في المكان أو الظروف الموضوعية أو الدوافع التي تحث على التوثب الثوري ، وإن كان تطلب العدل الاجتماعي مبتغاهما . على أن هذا قسمة مشتركة بين كثير من الحركات الاجتماعية في مشارق الأرض ومغاربها وعلى مدى التاريخ ، لأن الإنسان فطر على نشدان الحرية ، وهو هدف لن تكل سواعد البشر في أي يوم عن التشبث به ، فشعار الحرية أو الموت كان في جيب آدم ، إن كان يحمل جيئاً وقتها .

وهذه الدراسة لطفه حسين قد عرضنا لها على نحو من التفصيل والنقد في فصل آخر ، على أن القارئ سيعثر عند مطالعتها على متعة تفوق ما يجده في كتيب عمارة الذي « وَلَدَه » صاحبه بعد حبل دام ربع قرن . فأسلوب طه الشهير سلس ممتع ، وإن كان ههنا غير مقنع علمياً ، لكن عمارة ضيع في كتابه الأسلوب العلمي المنتظر ، وليس هو في وارد التعويض عنه أديباً ، فجاء بعمل مبتذل ضحل بغير هوية . ولا بد أن يعجب المرء لهذا الحبل المزمّن

(٤) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ .

لدى عمارة ، ما دام أنه يُصدر كتباً متدفقة ، بحيث يحار المتبع لها من أين يجد هذا المؤلف الوقت المقنع لكتابتها ! بيد أن مَنْ يُنعم النظر في « القيمة » العلمية لهذه الكتابات يبارحه العَجَب عندها .

## أسباب الثورة

والآن ، تُرى ما هي الأسباب الداعية الى ثورة الزنج ؟ لقد جعلها عمارة في عوامل سياسية تنحصر تحت عنوان الصراع بين الخلفاء العباسيين والطفمة العسكرية التركية المتسلطة (ص ١٣ - ٣١) . ومن يقرأ عرضه يتصور أن هؤلاء الخلفاء رايات الإسلام ودعاة التحرر العقلي . فإذا بالمعتصم بطل معتزلي مستنير ، وقد جند الأتراك واستقوى بهم ليحيل الإدارة الى حصن للحضارة العقلانية ! أما المنتصر فقد أحدث تحولاً خطيراً بتقريبه من العلويين الذين امتدحوه ، وكان نصيراً للعدالة التي يرغب في إشاعتها بين الناس فجاء الأتراك واستباحوها ! أما المستعين فلم يُغْنِ عنه خضوعه للأتراك ، فذهب ، نظير السابقين من الخلفاء ، طُعمة للصوارم . وكذلك لاقى المعتز الخلع والقتل . أما المهتدي فكان طموحه يذهب الى العدل والنُصفَة والسير على هدي عمر بن الخطاب ، لكن الأتراك المستبدين عَذَّبوه وأطاحوا به ، وإن كان العامة بين الشعب والجند أيضاً نهضوا لمؤازرته . فقد وَزَع العامة الرِّقَاع يفضحون بها الموالي المضطهدين لرأس الدولة ، وشكا الجند أوضاعهم المتردية الى الخليفة ، لأن الأموال والضَّياع والإقطاعات ورسوم الخراج تذهب الى حَوْزة قادتهم الأتراك في حين أن الحرمان نصيبهم .

إن علّة عمارة تكمن في تجميل التاريخ وتزويره . فإن المرحلة الممتدة من ارتقاء المعتصم سُدّة الخلافة سنة ٢١٨هـ ، حتى نشوب ثورة الزنج سنة ٢٥٥هـ في عهد المهتدي ، تميزت بعسكرة الدولة الإسلامية . صحيح أن

المعتصم هو أخو المأمون ، لكن شتان ما بين الأخوين . ويأتي عمارة ليجعل من المعتصم بطلاً معتزلاً ! ولربما كان تنكيله بالناس ليس ناتجاً عن حملهم القول بخلق القرآن ، شأن أخيه المأمون ، بمقدار ما كان إرهاباً لهم ، لأنه أخرج العرب من الديوان وأسقط عنهم عطاءهم وأحلّ مكانهم الأتراك مماليكه . والمأثور عن هذا الخليفة في المظان التاريخية أنه لم يكن من العلم في شيء ، وإنما تُحكى عنه الروايات المشيدة بقوته الجسدية الخارقة . فما بالك بإنسان يمشي وهو يحمل ألف رطل ، وإذا ما جعل زند الرجل بين إصبعيه كسره ! إن أمه تركية ، وإذا كان قد استعان بالأتراك فلأسهم الشديد ، ولذلك كانوا ملاذاً لكافة دول المنطقة في ذاك العصر يستجدون بهم كقوة ضاربة للسلطة . ولقد أكثر المأمون من اقتناء هؤلاء الأتراك والوجود بالمال من أجلهم ، بحيث كان يبذل للمملوك منهم مائتي ألف درهم . ومشى على منواله المعتصم<sup>(٥)</sup> . فهؤلاء الأتراك هم الذين جلبوا النصر للمعتصم ، فاتح عمورية ، في معاركه الكبرى . لقد كانوا بين مرتزقة ذاك الزمن من الصنف الأول لمراسهم وبطشهم وبداتهم .

## حدود الخلل

إن تسلط الأتراك بعدها على الخلفاء مرده إلى انحلال الدولة والقائمين عليها ، فعندما كانت هذه قوة مرهوبة مع المعتصم لم يجعل الأتراك من الخلفاء العوبة بين أيديهم . ولقد استعان أفراد الأسرة الحاكمة بالأتراك للتأمر واغتيال بعضهم البعض ، كما فعل المنتصر إذ تواطأ مع القائد البارز بغا للفتك بأبيه المتوكل ! ثم لم يهناً بفعلته البشعة ، إذ أغرى شركاؤه الأتراك طيبيه ابن طيفور ( وليس « الطيفوري » كما يذكر عمارة ( ص ٢٣ ) ، وأمثال هذه الأخطاء

(٥) المقرئزي : النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، ص ٦٣ .



شائعة عنده ! ) ، ففصده بريشة مسمومة قبل أن يُكمل نصف عام على اغتصابه السلطة من أبيه . أما عمارة الذي يحيل التاريخ كلاماً وزيفاً وخطابة فالمنتصر عنده هو الذي سعى الى تحرير الخلافة العباسية من استبداد الأتراك ! وجاء هؤلاء بالمستعين ، ثم تخلصوا منه قتلاً . أما المعتز الذي خلف المستعين فكان سكيراً مفتوناً بجماله ، منصرفاً إلى اللهو والغناء وتعاطي الشعر الغزلي والخمري ، ويختلف الى الأديرة للأكل والشراب . فما ظنك برجل يصبح خليفة وله من العمر سبع عشرة سنة وبضعة أشهر<sup>(٦)</sup> !

فإذا كانت أخلاق الحكام على هذا الشكل من الضعة والانحطاط ومن التخلي عن روح الإسلام ، فماذا يُنتظر من المرتزقة الأتراك الجُفَاء الأُميين ؟! والطريف في الأمر أن المنتصر - وهو لم ينتصر إلا على أبيه ، إذا كان قتله يُعتبر نصراً - قال بعدها عن الأتراك إنهم قَتَلَةُ الخلفاء ! ويأتي عمارة ليقول لنا إن المنتصر تقرب من العلويين ، وكيف هذا ومن معالم جَوْر المنتصر أنه «كتب إلى الآفاق بأنه لا يُقبَلُ علويٌّ ضَيِّعة ، ولا يركب فرساً إلى طرف من الأطراف ، وأن يُمنعوا من اتخاذ العبيد إلاَّ العبد الواحد ، ومَنْ كان بينه وبين أحد من الطالبين خصومة من سائر الناس قُبِلَ قول خصمه فيه ولم يُطلب بَيِّنَةٌ»<sup>(٧)</sup> ! أما الخليفة المستعين ففرَّ من العاصمة الجديدة سامراء الى بغداد ، هرباً من الأتراك ولاة أمره ، فأخرج هؤلاء من سجنهم المعتز ، دُمِيَّة جاهزة ، ووضعوه على كرسيِّ الخلافة . فكان أن نشبت حرب أهلية بين المستعين والمعتز ، واكتوى الناس بارتفاع الأسعار لانقطاع المؤن ، لأن هذا الصراع العائلي على السلطة دام أشهراً . وفي عهد المستعين كان الذي يحكم هو أمه ، وهي للمناسبة غير عربية إنما وارد صِغْلِيَّة ، فاستباححت خزائن الدولة ، بحيث

(٦) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ، ج ٩ ص ٣١٨ - ٣٢٢ .

(٧) المقرئزي : النزاع والتخاصم ، ص ٦٤ .

أضحى ابنها عاجزاً عن دفع رواتب الجند . وعندما أبت أمه معونته أعمل هؤلاء الجند فيه العذاب وأجهزوا عليه !

ما نريد أن نقوله إن الأتراك في هذه الدولة الإسلامية البائسة هم أشبه بدود الخلل . فمن الصحيح أن الأتراك صاروا ، بحكم الظروف التاريخية وانحلال الأسرة العباسية الحاكمة ، يعشون بالخلفاء ويرفعون ويُنزلون من يشاءون ، لكن الصحيح أيضاً أن هؤلاء الخلفاء كانوا مع الأتراك يجرّون معهم في لعبة سياسية واحدة . فهم في وادٍ ، والمسلمون في شغل عنهم ، أو كما قال دُعبل عندما بلغه موت المعتصم وقيام الوثائق بالأمر ، وكان دُعبل معاصراً للأحداث التي نندارسها إذ كانت وفاته سنة ٢٤٦هـ ، وقد أمضى ، برغم كثرة ترحاله ، معظم حياته في بغداد ، قال :

الحمد لله لا صبرٌ ولا جَلَدٌ ولا عزاءٌ إذا أهل البَلا رقدوا  
خليفةٌ مات لم يحزن له أحدٌ وآخرٌ قام لم يفرح به أحدٌ<sup>(٨)</sup>.

لقد كان هناك تناقض بين الخلافة والأتراك المشاركين لها في السلطة ، لكن التناقض قام خصوصاً وأيضاً بين رجال السلطة من عرب وأتراك كفريق حاكم مستهتر ، وبين جماهير المسلمين المهملة المضطهدة . وسواء كان قواد الجيش وحكام الولايات أتراكاً أم عرباً فعوامل الانحلال كانت كامنة في رأس السلطة العربية الاستبدادية « الأوتوقراطية » . وسواء كان الأعوان وصيف وأشناس وبُغا وإيتاخ ، أم رجالاً ذوي أرومة عربية ، ففي نظام الحكم المطلق « التيوقراطي » الذي يتخذ من الدين الحنيف ستاراً لأفاعيله ، متى فسد الرأس تداعت سائر الأعضاء وسادت الفوضى . ولهذا استفحل الخروج على الدولة ، وتعاضم المدّ العلويّ ، واستشعرت « الرعية » أن الأوان قد حان لانعتاقها من

(٨) الأصبهاني : الأغاني ، ج ٢٠ ص ١٤٦ - ياقوت : معجم الأدباء ، ج ١١ ص ١٠١ ، ١١٢ .

السلطة القمعية التي سقطت مركزيتها ووهن دورها الاجتماعي والحضاري . إن القرن الثالث الهجري هو قرن الانتفاضات والتمردات والثورات ، هذه المظاهر التي تُدعى في قاموس التاريخ الرسمي « فِتْنًا » . وإذا ما ثار الزُّنَج بزعامة عليّ بن محمد ، فقد سبقهم الى الخروج العلويون ، والخوارج ، والزُّط ، والبابكيون ، والصفّارون أتباع يعقوب بن الليث الصفّار .

ولكن السؤال الأكبر بالنسبة الى الزُّنَج الذين نُعنى بهم الآن أن ثورتهم لا تعود فقط إلى عوامل سياسية ، كما يوضح عمارة بسطحية فاقعة ، إنما الشأن فيها خصوصاً أنها ثورة ذات طابع طبقي ، وبالتالي للعوامل الاجتماعية والاقتصادية جانب عظيم في نشوئها ونجاحها الذي استمر أربعة عشر عاماً وأربعة أشهر وستة أيام (رمضان ٢٥٥ - صفر ٢٧٠ هـ)<sup>(٩)</sup> ، وكادت جيوش الزُّنَج في امتدادها الحربي تهدد أبواب بغداد ! إن ما ذكره عمارة من أحوال سياسية ، على ضلال معلوماته وسوء تفسيرها ، يمكن أن يكون خلفية لدراسة غير موضوع عن هذه المرحلة العباسية . فهذه الأحوال عامل يؤخذ بالحسبان ، لكنه ليس أوحده لتعليل ثورة الزُّنَج ، لأن السياسة في مطافها الأخير تعبير عن مصالح اقتصادية واجتماعية ، وبالتالي فهي مظهر « خارجي » وتعبير « إيديولوجي » لما يعتمل داخل المجتمع من صراعات وطموحات دينية وقومية وطبقية .

## العوامل الحقيقية

لقد وردت على العراق قوميات كثيرة خلال ازدهار الخلافة العباسية ، فهي حاضرة إمبراطورية عظمى ، لكن مجيء الزُّنَج أملت حاجته اقتصادية سنعرض لها ، فلم يكن لهم يد في إتيانهم العراق . وكانت أحوالهم الاجتماعية

(٩) الطُّبري : تاريخ الرُّسُل والملوك المعروف بتاريخ الطبري ، ج ٩ ص ٦٦٣ .

على نحو بالغ من البؤس والإجحاف والإملاق ، يكدّون عند أسفل دجلة والفرات في المستنقعات لاستصلاح الأراضي المشبعة بالأملاح ، ثم لا يجدون بعدها طعاماً لاثقاً يسد معدهم الخاوية ، ولا مأوى غير العراء وبيوت الخوص يلجأون إلى كنفها بعد يوم حاشد بالعمل المضني ! لقد جلبوا قسراً من السواحل الشرقية لأفريقيا ، وحشروا بعشرات الألوف للعمل وسط ظروف قاسية بين أنهار البصرة حيث تشيع الرطوبة ، ويصير الحر لظى ، وتستفحل العلل الفتاكة . هؤلاء البؤساء من العبيد الزنج كانوا أشبه بشجرة مقطوعة عن جذورها ، فهم قد أبعادوا عن أوطانهم في زمن كانت النخاسة فيه رائجة — ترى هل زالت حقاً أم أنها ما برحت مستمرة بأسماء وأشكال أخرى في زمننا ؟ أليست الإمبريالية في صميمها نخاسة جماعية لا فردية ؟ — وتزداد وطأة هذا الحرمان لدى هؤلاء الزنج المقطوعين عن أصولهم الجغرافية والاجتماعية والنفسية ، ذلك أن الزنج الأنقياء ، بخلاف زنج النوبة والسودان ، كانوا يجهلون العربية ، وعندما كان يتوجه قائد ثورة الزنج اليهم بالكلام كان يتوسل بالترجمين لينقلوا إليهم فحوى خطبه . وعندما جاء عليّ بن محمد يشعل فتيل الثورة لم يجد صعوبة كبرى في استمالة هؤلاء العبيد التاعسين الى صفوفه ، كانوا بحكم ظروفهم البائسة يبحثون عن مخرج .

أما لماذا تكاثرت الزنج بأعداد هائلة في منطقة البصرة بخاصة ، فهنا لب الموضوع . كانت التجارة في عز ورواج ، فشرع التجار يوظفون رؤوس أموالهم الفائضة في امتلاك الأراضي الواسعة ، من طريق إحياء الأراضي الموات واستصلاح البطائح . فنشأت الإقطاعات الكبيرة ، وتشكّلت طبقة من الملاك الكبار ، الى صف الخلفاء أصحاب الضياع والصّوافي . لا يمكن فهم تكاثر الزنج في العراق وقيام ثورتهم بعدها من دون التطرق الواعي لمسألة الأرض ، وما توالى عليها منذ نشأة الدعوة الإسلامية وقيام الفتوح من تطورات ، حتى

قيام ثورة العبيد التي برزت كأحد المظاهر السياسية العاصفة لمسألة الأرض المعمول بها . وإذا لم تكن هذه المقالة المكان المناسب للتفاصيل والأرقام والتواريخ والتقييمات ، فلا بد من لمحة موضوعية خاطفة تنير السبيل .

## الثورة ومسألة الأرض

لقد حال عمر بن الخطاب بين المسلمين ، زمن الفتوح ، وتملك الأرض في الشام والعراق ومصر ، وجعلها بين أيدي أصحابها الأصليين يؤدون عنها الخراج . ولم تعد هذه الأرض ملكاً لأصحابها من أهل البلاد ، لأنها افتتحت عنوة ، فأضحت ، فقهيّاً ، ملكية جماعية للمسلمين كافة ، كما شرّع عمر ، وغدا خراجها بمنزلة الأجرة التي تُدفع عنها ، نظير مَنْ يكتري داراً فيدفع عنها إلى مالِكها . ويؤول نفع هذا الخراج في الأعْطِيَّات التي تذهب الى المسلمين العرب بخاصة . وأقرّ عمر هذا الرأي دفعاً للفتنة بين المسلمين المتلهفين إلى المغانم ، ولِمَا تَجَرَّه المُلْكِيَّة الفرديَّة من تناحر وانحلال ، وليحفظ للأجيال القادمة من المسلمين ما ينتفعون به فلا تصير الأرض حَكراً على جيل من الفاتحين دون غيرهم . وعلى منوال عمر جرى عثمان وعليّ . أما الخلفاء الأمويون والعباسيون فقد كان لهم مع أراضي البلدان المفتتحة موقف آخر ، إذ أباحوا للعرب حق تملك الأرض ، كما ضمّوا الصّوّافي — وهي بموقع الأراضي الأميرية في اصطلاحنا الحديث — الى ضياع الخلافة ، وكانت في السابق تعود إلى بيت مال المسلمين . وهذه الصّوّافي كانت تدرّ ثروات عظيمة ، ما دام أن صوّافي معاوية في العراق وحده ، كما يذكر اليعقوبي ، كانت تعود عليه سنوياً بدخل مقداره مائة مليون درهم<sup>(١٠)</sup> .

وفي العهد العباسي راج إقطاع الأرض ، على أن الإيجابي منه هو إقطاع

الأرض المَوَات المشاع البور التي لا مالك لها وتحتاج إلى استصلاح وزراعة وجلب الماء لها ، فتعود نافعة مُدرة ، وتغدو مُلكية فردية لمن نهض بمراحل استصلاحها . وتفيد من هذه العملية الدولة ، فالأرض المَوَات التي جرى عليها الإحياء تصير عُشرية أو معشّرة . وإذا كان هناك من خلاف فقهي حول وجوب الخراج والعُشر على الأرض معاً ، فإن ما يهمنا ههنا ، ما دمنا نبحث في ثورة الزّنج التي اندلعت في منطقة البصرة ، أن الجغرافيين العرب أكدوا أن هذه الأرض المُحيّاة في هذه المنطقة كانت عُشرية . جاء عند الماوردي : « وقد أجمع العراقيون وغيرهم على أن ما أُحيي من مَوَات البصرة وسبّاخها أرض عشر »<sup>(١١)</sup> . والسّبّاخ أو الأرض السّبخة هي التي يخالطها الملح ، وهذا شأن يختص به العراق . ومَوَات البصرة متأتّ بشكل رئيس من البطائح الممتدة بين الكوفة والبصرة مروراً بواسط ، فهي مستنقعات شاسعة ملأى بالسّبّاخ والآجام ، وتحتاج إلى كسح وتجفيف وزراعة لتغدو مُجزية .

لقد حملت البصرة اسمها هذا لرخاوة أرضها ، وفيها كتب الأحنف بن قيس الى الخليفة عمر بن الخطاب : « إنا نزلنا أرضاً نشاشة لا يجفّ ثراها ولا ينبت مرعاها »<sup>(١٢)</sup> . وهذه البطائح قديمة العهد في العراق ، فليست هي كما ورد لدى الجغرافيين العرب من نتاج العهد الساساني ، إنما تعود في وجودها إلى أيام الأشوريين ، وإنّ كانت مساحتها اتّسعت وضافت بين العهود التاريخية تبعاً لما كان يصيب هذه البطائح من امتداد بفعل الفيضانات أو انحسار بفضل الاستصلاح . وفي الإسلام نشط الخلفاء الأمويون في عملية إحياء بعض هذه الأراضي واستخراج الضّياع منها لأنفسهم . أما في العهد العباسي فإن الأثرياء في كعبة التجارة ، البصرة ، شاركوا الخلفاء في عملية الإحياء ، فوظّفوا أموالهم

(١١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ص ١٧٨ .

(١٢) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ١٨٧ ، ١٨٩ .

الفائضة في إحياء الأرض المَوَات بهدف امتلاكها ، وَفَقَ الحديث النبوي الشهير : « مَنْ أَحْيَا أَرْضاً مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ ، وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ »<sup>(١٣)</sup> . أما اليد العاملة الزهيدة الثمن التي قامت بهذا الاستصلاح الكبير ، ومنها نشأ الوقود لثورة العبيد العاتية ، فهم الزُّنَج الذين اقتضت الضرورة الاقتصادية الإتيان بهم بأعداد غفيرة من السواحل الشرقية لأفريقيا . وإذا كان الزُّط في العصر الأموي هم الذين خاضوا العمل في البطائح وشكّلوا عنصر التمرد والعصيان ، فقد شهد العصر العباسي ثورة اجتماعية ، طبقة الطابع ، قادها عليّ بن محمد عندما وقف على رأس الزُّنَج في وجه الخلافة العباسية التي كانت قد شرعت في التدهور باكراً ، وهذا ما ساعد ثورة الزُّنَج ، بالإضافة الى مسبباتها الموضوعية من اقتصادية واجتماعية ، من الصمود خلال زمن لم يكن من المأمول فيه أن تنتهي ثورة هذا شأنها الى التوطد الناجز والفوز المين .

ونعود إلى محمد عمارة فقد نسيناه ، وحسناً فعلنا ، ما دام أن تحليله لعوامل ثورة الزُّنَج أحادي الجانب ، مبتذل ، مهلهل . ونخشى إن مضينا في تقصي ركافة عمارة أن نسطر دراسة تتيّف في الحجم على كتيّبه ، لهذا سنعمد إلى الإيجاز والتكثيف ، واعدن القارئ بالعودة غير مرة الى جوانب مختلفة من هذا الموضوع في غير هذه المقالة وقد كانت سطحية عمارة عاملاً استفزازياً حملنا على كتابتها .

## « علوية » صاحب الزنج

وإذا ما تتبّعنا عمارة في الفصل الثاني « القائد والثورة » لوجدنا أنه يقع في هفوة إثر أخرى . فهو يذكر أن اسم صاحب الزُّنَج هو عليّ بن محمد بن أحمد

(١٣) أبو يوسف : الخراج ، ص ٧٠ - ابن آدم : الخراج ، ص ٨٠ - ابن سلام : الاموال ، ص ٤٠٣ و ٤٠٤ .

ابن عيسى بن زيد ، وزيد هذا هو زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، الثائر العلوي الشهير الذي خرج على هشام بن عبد الملك بالكوفة ، واليه تنتسب الفرقة الزيدية (ص ٣٣ و ٣٤) . وعلى هذا يبني عمارة ، على نحو متسرع ، مرسلاً الكلام على عواهنه ، الحكم التالي : « ونحن نميل إلى أن عليّ بن محمد صادق في انتسابه إلى العلويين » (ص ٤٤) . ويجعل حركة الزنج « حلقة في سلسلة ثورات العلويين الزيدية » (ص ٤٦) .

إن علوية صاحب الزنج أمر مشكوك في صحته تماماً ، وإن غالبية المصادر التاريخية تأتي على ذكر صاحب الزنج قائلة إنه دعويّ آل أبي طالب . يقول المسعودي عن عليّ بن محمد : « وأكثر الناس يقول إنه دعويّ آل أبي طالب ، يُنكرونه »<sup>(١٤)</sup> . ويذكر ابن أبي الحديد : « وأكثر الناس يقدحون في نسبه وخصوصاً الطالبين »<sup>(١٥)</sup> . وجاء لدى ابن الطقطقي : « فأما نسبه فليس عند النسّابين بصحيح ، وهم يعدّونه من الأدعياء »<sup>(١٦)</sup> . وعلى هذا المنوال من النفي والتكذيب حال جُلّ المؤرخين .

إن ادعاء عليّ بن محمد النسب العلوي الزيدي المتقدم الذكر جاء قبيل قيامه بالثورة بسنة واحدة ، عندما كان في بغداد . في حين سبق لعليّ بن محمد ، في المرحلة السابقة على الثورة ، أن ادعى نسباً علوياً آخر ينتهي به إلى العباس بن عليّ بن أبي طالب<sup>(١٧)</sup> ، وذلك عندما خرج في البحرين ودعا الناس إلى طاعته . كما زعم ، عندما اضطر الرحيل إلى البادية عقب إخفاقه في البحرين ، أنه المهدي المنتظر العائد بعد الموت في شخص يحيى بن عمر

(١٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٥ ص ١٠٣ .

(١٥) شرح نهج البلاغة ، ج ٨ ص ١٢٦ .

(١٦) الفخري في الأدب السلطانية والدول الإسلامية ، ص ٢٥٠ .

(١٧) الطبري : تاريخ الطبري ، ج ٩ ص ٤١٠ .



العلوي<sup>(١٨)</sup>! ويحيى بن عمر هو الإنسان الفاضل الدين الخير ، ينتهي في نسبه إلى يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ ، وقد خرج في الكوفة على أيام المستعين داعياً إلى الرضا من آل محمد ، فلاقى حتفه قتيلاً بقرية شاهي قرب الكوفة سنة ٢٥٠ هـ ، ولا عقب له<sup>(١٩)</sup>.

ثم إن النسب العلوي الزيدي لا يستقيم لصاحب الزنج أمره ، وذلك أن الحُصْري القيرواني يذكر ، نقلاً عن أبي بكر الصولي ، رواية ، تعليقاً على الادعاء من أن صاحب الزنج هو عليّ بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد ، جاء فيها أن بين مولد محمد بن أحمد ، ومولد صاحب الزنج علي بن محمد المدعي نسبه ، ثلاث سنوات<sup>(٢٠)</sup>! ثم إنه كان لمحمد بن أحمد ولد يدعى عليّاً ، لكنه مات بعد عمر طويل وذلك إثر مقتل صاحب الزنج الذي سطا على اسمه ونسبه بنحو خمسين سنة<sup>(٢١)</sup>! وبعد استيلاء الزنج على البصرة وإخراؤها ارتحل عنها بعض العلويين ، منهم علي بن أحمد بن عيسى بن زيد - أي « عمّ » صاحب الزنج نسباً ، إذا « صحّ » زعم قائد الزنج ؟ ! - وقد خرج إلى عليّ بن محمد والتقى به . عندها غادر صاحب الزنج نسبه الذي يدّعيه والذي يصله بعيسى بن زيد ، وانتمى إلى يحيى بن زيد . بيد أن يحيى قُتل عندما خرج في خراسان وهو في الثامنة عشرة من العمر ، ولم يترك في هذه الدنيا سوى بنت وافاها الأجل وهي بعدُ ترضع . وقيل إن يحيى مات وليس له من ولد<sup>(٢٢)</sup>!

(١٨) الطبري : ج ٩ ص ٤١١ .

(١٩) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٥٨ - ابن الطُّفُطُقِي : الفخري ، ص ٢٤٠ و ٢٤١ .

(٢٠) زُهر الآداب وثمر الألباب ، ج ١ ص ٢٨٧ .

(٢١) الحُصْري : زهر الآداب ، ج ١ ص ٢٨٧ - ابن حزم : جمهرة ، ص ٥٧ .

(٢٢) الحُصْري : ج ١ ص ٢٨٧ - ابن حزم : ص ٥٦ - ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ،

ج ١١ ص ٢٩ .

إن علوية صاحب الزنج وتنقله في أصلاب زيد بن عليّ مسعى سياسي في ذاك العصر لاستغلال عطف الناس على العلويين الذين شكّلوا أحد أجنحة المعارضة للسلطة القائمة ، وصار لهم منذ كربلاء تاريخ مغمّس بالدم . ثم كيف يكون صاحب الزنج علوياً وهو الذي أساء معاملة العلويين عقب انتصار ثورته ، فرضي ببيع حفيدات الحسن والحسين وآل هاشم جوارى لقاء دراهم (٢٣). وعندما كتب إليه الحسن بن زيد الذي استولى على السلطة في طبرستان ، سائلاً إياه عن نسبه ، أجابه صاحب الزنج : « لِيَعْنِكَ مِنْ أَمْرِي مَا عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ وَالسَّلَام » (٢٤). ليس « الأمر » حديث أنساب ، وإنما هو حديث سلطة . ثم أين العجب ، ألا يدعي في عصرنا الكثيرون التقديمية والاشتراكية والديمقراطية نَسَباً ؟ ! وكيف يكون عليّ بن محمد علوياً ، أي منتسباً إلى عليّ بن أبي طالب ، وهو الذي كان يسبه في جملة مَنْ يَسُبُّ ، وذلك من فوق منبره في « المختارة » ، العاصمة التي بناها الزنج خلال ثورتهم (٢٥) ؟

## الارهاصات الأولى

لقد أمضى عليّ بن محمد السنوات ٢٤٩ - ٢٥٤ هـ في البحرين وباديتها ، محاولاً الاستيلاء على السلطة من غير أن يصيب النجاح الكامل ، بسبب العصبية التي وقعت بين أهل البحرين من أجله ، فانتقل الى البادية زاعماً لأهلها أنه يحيى بن عمر ، قاتل شاهي ، فالتفّ حوله الأعراب وزحف بهم الى الرّدم ، وهي قرية كبيرة بالبحرين (٢٦). وفي هذه الموقعة العظيمة « كانت الدائرة فيها عليه وعلى أصحابه ، قُتلوا فيها قتلاً ذريعاً ، فنفرت عنه العرب

(٢٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٥ ص ١١٦ .

(٢٤) البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٣٣٢ .

(٢٥) ابن تغري بَرْدِي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٢ ص ٤٩ - السُّيُوطِي : تاريخ

الخلفاء أمراء المؤمنين ، ص ١٤٦ .

(٢٦) ياقوت : معجم البلدان ، م ٣ ص ٤٠ .

وكرهته ، وتجنّبت صحبته» (٢٧). وقد ناصرتة في تلك الموقعة قبائل ، كما يعدد في شعره ، من تميم وكليب بن يَزْبوع وسعد ونمير وکلب ، في حين خاصمته قبائل عامر ومحارب . وكان العُريّان بن الهيثم الربيعي هو الذي فكك بمن شابعوه (٢٨) ، وجعله يخرج من البحرين ونواحيها شاخصاً الى البصرة حيث شرع ، مستغلاً الاضطراب السياسي ، في الإعداد لثورة الزنج الكبرى . إن عمارة يدمج هذه المرحلة السابقة على قيام ثورة الزنج في الثورة نفسها ، بحيث يجعل ، على هواه ، ثورة الزنج تمتد قرابة عشرين سنة بدل خمس عشرة سنة تقريباً ( ص ٦٤ ) ! علماً بأن الزنج لم يدخلوا حلبة الصراع والثورة في المرحلة الأولى ، إنما كان الطابع العربي القبلي طاغياً عليها .

المهم أن عمارة إياه عندما يعرض لهذه المرحلة المتقدمة على ثورة الزنج ، فهو يذكرها في كلام يشتمل على العموميات المرتجلة من غير معرفة بالتفاصيل ذات المغزى ولا بالمصادر حيث تكون مبثوثة فيها . وهو يستعين بلغة ليس فيها أي شعور بمسؤولية الكلمة عند التصدي لكتابة التاريخ ، إنما هي شعارات معاصرة لنا يلصقها على نحو كاريكاتوريّ بأوضاع قبلية وبنزاعات عشائرية ، بلا تمييز حتى بين الخُصوم . فمحاولة عليّ بن محمد في البحرين تغدو « الشكل الأول والنموذج الأول لدولة هذه الثورة قد قام بين العرب ، وبواسطتهم » ( ص ٤٨ ) ! وموقعة الرّذم « هي المعركة التي انتصرت فيها الدولة على الثورة » ( ص ٤٩ ) ! ويقول عمارة في مكان آخر عن الدولة التي أقامها الزنج : « كان نظام الدولة « جماعياً » ، يقوم على التكافل بين أبناء المجتمع ككل ، رافضاً الفلسفة الفردية وما أثمرت من مظالم واستغلال في الاقتصاد والاجتماع » ( ص ٦١ ) ! كلام يُلقى جُزأً بشكل مجّاني ، من غير إدراك

(٢٧) الطبري : ج ٩ ص ٤١١ .

(٢٨) المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص ٣٩٣ .

لمدلولات المصطلحات وتاريخيتها ! هذا مع العلم أننا نفتقر حتى اليوم إلى معلومات ذات دلالة في المصادر ترشدنا إلى تنظيمات دولة الزنج .

## نماذج معبرة

إن خلط الأمور دون مراعاة الدقة في التفاصيل صفة شائعة عند عمارة . وهذه التفاصيل مهمة في ما نحن بصدده ، لأنها تساعد على الكشف عن حقائق في تاريخنا الذي تكتنفه قضايا كثيرة تحتاج إلى بحث وتقصّ ، شأن تاريخ أيّ أمة . وسوف نستعرض نماذج معبرة موضحة لما ذهبنا إليه .

فعلّي بن محمد ، كما جاء لدى ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة » ، امتهن التعليم ، فكان يتكسّب من طريق تعليم الصبيان ، وذلك عندما وفد إلى عاصمة الخلافة سامراء التي استمرت عاصمة مؤقتة من المعتصم إلى المعتضد . فإذا به عند عمارة يصبح معلم أطفال لا صبيان ، والله سلّم أنه لم يجعله معلم أطفال رُضع ! فمن كان على شاكلة عمارة في التأليف يصبح كل تليفق عنده ممكناً وراجحاً . والدليل أن عمارة يتساءل ، بعد تشويه معلومة ابن أبي الحديد القائلة في الحقيقة إن عليّ بن محمد كان يعلم الصبيان الخط والنحو والنجوم<sup>(٢٩)</sup> : « ولا نعتقد أن أطفال ذلك العصر كانوا يتعلمون النجوم ! » ( ص ٣٥ ) . إن عمارة يرتكب الهفوة ويبني عليها . وكما نرى فإن المقصود بالنجوم ههنا مطالعة الغيب والتطلع إلى ما يُستقبل من الأحداث المرتقبة ، وذلك بواسطة علم النجوم أو أحكام النجوم أو التنجيم . وهذا العلم كان جزءاً أيضاً من عُدّة الكُتّاب ، وكان يجري تلقينه في كتب تعليمية ، مثل « كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم » للبيروني . وهذا العلم كان يشتمل على مبادئ فلكية أولية ، لكنه لم يرق إلى مستوى العلم الخالص الذي

(٢٩) شرح نهج البلاغة ، ج ٨ ص ١٢٧ .

اشتهر العرب بتطويره بعد البابليين والهنود واليونان ، وهو علم الفلك أو علم  
الهيئة . وكان عليّ بن محمد « يعرف طرفاً من النجوم » (٣٠) .

وعند كلام عمارة على شعر عليّ بن محمد يذهب الى أن هذا الشعر ،  
خصوصاً الشائر منه ، « أعمان الثوار على الصمود في القتال » ( ص ٣٧ ) .  
لعمري هل كان العرب عهدذاك مازالوا تماماً في عصر عنترة ؟ ثم ألا يدرك  
عمارة أن الزّنج كانوا في غالبيتهم من الذين جهلوا العربية ، وكان عليّ بن  
محمد يتوسل بالمترجمين لنقل أفكاره إليهم . اللهمّ إلا إذا « قصد » عمارة أن  
هؤلاء المترجمين نقلوا شعر عليّ بن محمد إلى اللغات الأفريقية التي كان يعرفها  
الزّنج من غير العرب ، مما ينبغي ربما أن نضيفه عندها إلى حركة الترجمة في  
العصر العباسي ؟!

لقد كان في صفوف الثورة زّنج من السواحل الشرقية لأفريقيا ، كما كان  
هناك « الفراتيّة والقرمطيّون والنوبة وغيرهم ممن يفصح بلسان العرب » (٣١) .  
وهذه الأصناف الأخيرة ، بخلاف ما يعتقد عمارة ( ص ٥٤ ) ، هم من الزّنج  
أيضاً ولكنهم يتكلمون العربية وليسوا دائماً في الأصل عرباً . إن نزولهم بين  
العرب ، بعد انتقالهم من أفريقيا الى العراق على مدار السنين وبوسائل  
ولأغراض شتى ، أكسبهم في البيئة الإسلامية ألقاباً جديدة وتعربّ لسانهم ،  
في حين أن الجموع الكبرى في ثورة الزّنج كانت من الزّنوج الأغراب بعدد على  
البيئة واللغة ، وقد جلبوا للعمل على استصلاح الأراضي في منطقة أدنى  
العراق .

وعبثاً نبحت عن الدقة في كتابة عمارة . فهو يشرح « الشّورج » بأنه

(٣٠) مؤلف مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٥ .

(٣١) الطبري : ج ٩ ص ٤١٩ .

مسائل المياه ، و« الشُّورَجِيين » بالعاملين في مجاري المياه (ص ٦٢) ! في حين أن الشُّورج أو السِّبَاخ هو الملح أو الطبقة الملحية التي كان يعمل الزُّنْج على كسحها لتنقية الأرض فتغدو صالحة للزراعة . وهذه الأملاح المستخرجة كان يجمعها الزُّنْج على شكل كُتبان ، « وكُسُوح الزُّنْج معروفة بالبصرة كالجبال » (٣٢) . وكانت هناك فئة من التجار ، وهم الشُّورجِيون ولهم غِلْمَانهم ، يتعاطون التجارة بهذا الشُّورج .

ويقول عمارة إن أهل البصرة انحازوا بعد يومين من القتال ، عند مهاجمة الزُّنْج لمدينتهم ، الى صف الثوار (ص ٥٦) . وهو يستند في ذلك الى الطُّبْرِي (ج ٩ ص ٤٨٢) . والجملة التي في تاريخ الطُّبْرِي تفيد على الأرجح وضمن سياق منطق الأحداث ، أن الناس مالوا إلى بُغْراج ، أحد قادة الجند بالبصرة ، ضد عليّ بن أبان المهلبي ، الركن الكبير في ثورة الزُّنْج (٣٣) . وما كان لأهل البصرة أن يفعلوا غير هذا طبقاً ، لأن البصرة كانت كعبة التجارة وتصريف الأموال . وكانت مهمة بُغْراج حماية أهل البصرة (٣٤) . وإن النتيجة الأولى لسقوط البصرة وإحراقها أن التجار البصريين العريقين في المهنة فقدوا أموالهم الطائلة وأرواحهم أيضاً . ثم الطريف في أمر عمارة أنه يتكلم على مساعدة الأعراب للثوار الزُّنْج على أنها مساهمة عربية في الثورة الزنجية (ص ٥٦ و ٥٧) . إن الأعراب البدو في أيامنا يسندون عروشاً تُسمّى عربية ، فهل هذا

(٣٢) مؤلف مجهول : العيون والحداث ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٦ .

(٣٣) كان لصاحب الزُّنْج بستان : اقترن بإحداهما عليّ بن أبان ، وقد رُزق منها بولد استعبده الموفق ، إثر اندحار الثورة ، وولاه بعدها الولايات ، وكانت سيرته محمودة ، وأجر ما وُكِّي البصرة وقُتل فيها عند دخول القرامطة إليها . أما البنت الأخرى فتزوجها سليمان بن جامع ، قائد جيش الزُّنْج ، وكان أسود كially من أهل هَجْر بالبحرين ، من موالى بني حنظلة . وعقب سقوط ثورة الزُّنْج كان الصلب مصير صَهْرَي صاحب الزُّنْج ( الطبري : ج ٩ ص ٤١١ - ابن حزم : ص ٥٧ ) .

(٣٤) الطبري : ج ٩ ص ٤٧٨ .

الإسناد منهم مساهمة أيضاً في نهضة الأمة العربية ؟! إن الأعراب ساندوا ثورة الزنج وأمدوها بالموثّق ليضمّنوا الأرباح الوفيرة وليكون لهم نصيب من الأسلاب والغنائم .

## التوثيق لا التلفيق

إن تعاطفنا مع ثورة الزنج ، كونها قامت لرفع الحيف عن العبيد وتحريرهم ، لا يحملنا على إسدال الستار على سلبياتها ، فهذه السلبيات هي أحياناً من طبيعة العصر وبالتالي تبدو « موضوعية » . ومَن قال إن هناك ثورة « نقيّة » ، فهذا خيال شاعر أو ساذج أو مزوّر ! والأماشي الرائعة الحاملة غير الواقع والخيارات الاضطرابية التي لا مفرّ منها . وليس من شيء يشوّه التاريخ غير النظر إليه عبّرّ هالة مثالية تُغفل الضرورات . إنّ من يقرأ دراسة عمارة يخال أن ثورة الزنج نموذج فريد لا يأتيه الباطل من أيّ جانب ، وهو يغضّ الطّرف عن كل النواقص التي شابتها ، سواء كانت هذه النواقص يداخلها الغلو أو ملصقة بالثورة ربما ومحمولة عليها بغرض الطعن . وكنا نتمنى لو أن هذه المثالية الساذجة ، التي ربما تدّعي لنفسها لقب التقدمية أيضاً ، والتي يرى من خلالها عمارة إلى ثورة الزنج ، ممكنة واقعياً وتاريخياً . ولكن مصادرنا المتوافرة حتى الآن – وعمارة لها جاهل كما سنرى – ونقدنا لهذه المصادر « الرسمية » غالباً ، والمناوئة للثورة ، ثم تقديرنا لما في حوزتنا من معلومات عن الثورة في نطاق العصر ومنطق أحداثه ؛ كل هذه العوامل تحملنا على تميمين الدور الذي قام به عليّ بن محمد في قيادة الزنج والإخلاص لهم ، وفي الإجهاز على النظام العبودي الذي كان قد شرع يستشري في سواد العراق خلال القرن الثالث الهجري . لكن هذا التقييم العلمي الذي نراه لا يسوّغ لنا الكتابة عن ثورة الزنج ههنا بأسلوب الرواية التاريخية العاطفية ، شأن ما يفعله عمارة ، ببراءة لا يحسد عليها ، وذلك في الفصل الثالث « الصراع والنهاية » ، ومن غير أن

يتحرى كباحث الموقع الحقيقي لهذه الثورة في سياق التطور الاجتماعي والاقتصادي والطبقي للدولة الإسلامية آنذاك .

إن التلفيق هو السمة البارزة عند محمد عمارة . فهو يقرأ بضع صفحات خاطفة في مصدر أو مصدرين ثم يبني ، ومن خلال وجهة نظر انتقائية ، أحكاماً لا تتصف بالعلم ، وإنما هي كتابة تعميمية مسطحة تتوسل الخطابة تارة والعاطفة طوراً . فما بالك بثورة كبرى نظير ثورة الزنج يعمد عمارة الى دراستها وليس له من عُدة سوى أربعة مصادر تاريخية هي : الطُّبري ، والمسعودي ، وابن أبي الحديد ، وابن خلدون ! وهو يقرأ فيها متسرعاً وكما يحلو له ، في حين أن المصادر المتوافرة لدينا للقيام بهذا العمل العلمي تنيف على المائة ، بالإضافة الى المراجع الحديثة التي تناولت جوانب مختلفة من الثورة وقائدها وهي تقارب المائة والخمسين .

ليس الأمر مرهوناً على الدوام بعدد المصادر والمراجع ، ولكن ثورة الزنج هددت الدولة العباسية في الصميم ، وذلك أن طلائعها العسكرية وصلت الى مسافة تبعد أقل من سبعين ميلاً عن بغداد ، فاضطرت الدولة للقضاء على الثورة الى تجهيز جيش عظيم وإمداده طيلة سنوات بالمؤن وتحويل موارد الدولة الى « الموقفية » ، المدينة التي بناها أبو أحمد الموفق ، أخو الخليفة المعتمد ، تجاه « المختارة » عاصمة الزنج ، وذلك لمواصلة القتال والمثابرة عليه طويلاً . إن ثورة كبرى بهذه الخطورة لم تحظ في المصادر التقليدية عموماً بالتعاطف ، وإنما صاحب الزنج يرد اسمه مقروناً بنعوت الفاسق والخبيث واللعين وعدو الله<sup>(٣٥)</sup> . ولهذا فنحن عند التصدي لدراستها ، محتاجون الى الغوص في

(٣٥) نادرة هي العبارات التي نعثر عليها في مصادرنا وهي تُثني على صاحب الزنج ، نظير هذا القول عند ابن الطِّفْطَقِي : « وأما حاله فإنه كان رجلاً فاضلاً فصيحاً بليغاً لبيباً » ( الفخري ، ص ٢٥٠ ) .



المصادر وغربلتها ، لنخرج برؤية علمية لما كانت عليه مجريات الأحداث ومدلولاتها واتجاهاتها . ولكن محمد عمارة في عجلة من أمره ، فالمطبوعة تنتظر نتاجه ! ولهذا فهو يرمينا بكتاب إثر آخر . وقد أخبرني أحد الأصدقاء من ذوي الاطلاع أن عمارة شكر الله ذات مرة في ابتهاال دام طويلاً ، وذلك حمداً لله على أنه يجهل اللغات الأجنبية ! ولكن يبدو لنا ، من خلال الفقر العلمي لكتابات محمد عمارة ، أنه يجهل من العربية الشيء الكثير أيضاً !

## مصادر البحث

- ١ - أبو يوسف (ت ١٨٢هـ) : الخراج ، ط ٤ ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ١٩٧٣ .
- ٢ - ابن آدم (ت ٢٠٣هـ) : الخراج ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط ٢ ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ١٣٨٤هـ .
- ٣ - ابن سلام (ت ٢٢٤هـ) : الأموال ، تحقيق : محمد خليل هراس ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ١٩٦٨ .
- ٤ - اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) : تاريخ اليعقوبي (مجلدان) ، دار صادر - دار بيروت ١٩٦٠ .
- ٥ - الطبري (ت ٣١٠هـ) : تاريخ الرُّسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري (١١ جزءاً) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، سلسلة « ذخائر العرب » (٣٠) ، دار المعارف بمصر ٦٠ - ١٩٦٩ ، ١٩٧٧ .
- ٦ - المسعودي (ت ٣٤٥هـ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر (٧ أجزاء) ، طبعة بربييه دي مينار وباقيه دي كرتاي ، غُني بتنقيحها وتصحيحها ووضع جزءين من الفهارس العامة : شارل يلاً ، منشورات الجامعة اللبنانية ، قسم الدراسات التاريخية (١١) ، بيروت ٦٦ - ١٩٧٩ .
- ٧ - المسعودي : التنبيه والإشراف ، تحقيق : دو غُوِيه ، مطبعة برييل ، ليدن

- ٨ - أبو الفرج الأصبهاني ( ت ٣٥٦هـ ) : الأغاني ( ٢٤ جزءاً ) ، سلسلة « المكتبة العربية » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٦٣ - ١٩٧٤ .
- ٩ - ابن الفقيه (الهمذاني) ( ت ٣٦٥هـ ) : مختصر كتاب البلدان ، تحقيق : دوغوييه ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٨٥ .
- ١٠ - الحُصْري ( القَيْرَواني ) ( ت ٤١٣هـ ) : زُهر الآداب وثمر الألباب ( جزءان ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٣ .
- ١١ - البيروني ( ت ٤٣٠هـ ) : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق : ك. إدوار ساخو ، بروكهوس ، ليبزيغ ١٨٧٨ .
- ١٢ - الماوردي ( ت ٤٥٠هـ ) : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ط ٢ ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٩٦٦ .
- ١٣ - ابن حزم ( ت ٤٥٦هـ ) : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، سلسلة « ذخائر العرب » ( ٢ ) ، ط ٤ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧ .
- ١٤ - مؤلف مجهول ( من القرن الخامس الهجري (؟) ) : العيون والحدائق في أخبار الحقائق ( ج ٤ ( ٢٥٦ - ٣٥٠هـ ) ، قسمان ) ، تحقيق : عمر السعيد ، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية ٧٢ - ١٩٧٣ .
- ١٥ - ياقوت ( ت ٦٢٦هـ ) : معجم الأدباء ( ٢٠ جزءاً ) ، تحقيق : أحمد فريد رفاعي ، مطبوعات دار المأمون ، القاهرة ٣٦ - ١٩٣٨ .
- ١٦ - ياقوت : معجم البلدان ( ٥ مجلدات ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (؟) .
- ١٧ - ابن أبي الحديد ( ت ٦٥٦هـ ) : شرح نهج البلاغة ( ٢٠ جزءاً ) ،

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة  
١٩٦٤ - ٥٩ .

١٨ - ابن الطُّقْطَقَى ( ت ٧٠٩ هـ ) : الفخري في الآداب السلطانية والدول  
الإسلامية ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٦ .

١٩ - ابن كثير ( ت ٧٧٤ هـ ) : البداية والنهاية في التاريخ ( ١٤ جزءاً ) ،  
المطبعة السلفية ، مطبعة السعادة ، ومكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٣٢ .

٢٠ - المقرئزي ( ت ٨٤٥ هـ ) : النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني  
هاشم ، تحقيق : جرهاردس فوس ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٨٨ .

٢١ - ابن تَغْرِي بَرْدِي ( أبو المحاسن ) ( ت ٨٧٤ هـ ) : النجوم الزاهرة في  
ملوك مصر والقاهرة ( جزءان ) ، ليدن ١٨٥٥ .

٢٢ - السُّيُوطِي ( ت ٩١١ هـ ) : تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ، المطبعة  
الميمية ، القاهرة ١٣٠٥ هـ .

## الفصل السادس

( ١ )

ثورة العبيد في العراق خلال القرن

الثالث الهجري

« خلاصة » بقلم : ألكسندر بوبوفيتش

كما تحقق لدينا في الفصول السابقة فإن الآراء ، حول ثورة الزنج وحول شخصية قائدها عليّ بن محمد ، هي في غاية الانقسام . ويتأتى هذا بالطبع من موقف المؤلفين في الدرجة الأولى ، ومن الاختلافات في تعليل الأحداث ، أو بالأحرى في اختيار الأحداث الخاضعة للتعليل . ينبغي أن لا ننسى أنه توجد أيضاً جملة من الأحكام العاجلة غير الأصلية ، لم تُثبت وَفْق المصادر الأولى ، ولكن تحت تأثير مقطع لهذا الأستاذ أو ذاك . لنضيف أيضاً أن هذه المصادر لا يمكن قراءتها ببسر ، كما أنه ليس من الأيسر مقارنة بعضها ببعض ، بغير الكلام على سوء نية بعض الباحثين وعلى عدم كفاءة بعضهم الآخر . لهذه الأسباب المتعددة آثرت أن أضْمَ آرائي الشخصية في فصل مستقل ، وذلك لأن هدفي لم يكن بطبيعة الحال أن أعطي وجهة نظري فقط ، ولكن أن أحدد قبل كل شيء جميع المعلومات التي في حَوْزتنا . ومع هذا فمن الصحيح أنني ، في غير موضع ، لم أكن في غاية الدقة ، يضاف إلى هذا أن عدم اتخاذ موقف ، في بعض الحالات ، يوازي أخذ موقف على كل حال . الآن وقد حان وقت استخلاص بعض الاستنتاجات التي قد تفرض نفسها ، فإنني أحرص على أن أشير أن كثيراً من الأسئلة ستبقى دون جواب أو ستلقى عدة أجوبة ، وإننا ، حيال معظم القضايا الخاصة بثورة الزنج ، ما زلنا بعيدين عن إمكانية إعطاء

حكم نهائي . ويتضح هذا بيسر من سَوِّق الملاحظتين التاليتين :

أولاً - إن مجموعة معلوماتنا على وجه التقريب مستقاة من مصادر ، من غير أن تكون رسمية بالفعل ، لهي كذلك على كل حال على درجة كبيرة تقريباً . ففي الواقع لا نتبين تماماً كيف كان بالإمكان ، عند سحق الثورة ، بقاء نصوص « مناصرة للزنج » ، إذا حدث أن نصوصاً كهذه قد وُجدت في وقت ما . أما في ما يخص المصادر التي هي بمنجاة من الانتساب إلى هذه الفئة الأخيرة ، فهي إلى ذلك مغرضة جداً .

ثانياً - نجد أنفسنا مضطرين إلى استخلاص استنتاجاتنا بواسطة عدد من الإشارات المجتزأة تقريباً . وهي لا تمثل مع ذلك إلا جزءاً ضئيلاً من كافة الإشارات التي ينبغي أن تكون قد توافرت حول الموضوع والتي لم تصلنا . كيف نكون على يقين أن بعضاً من هذه الإشارات الضائعة لا يبدل كلياً أو جزئياً الاستنتاجات التي تبدو منطقية اليوم ؟

### شخصية علي بن محمد

إذا كنت لا أعتقد ، كما أوضحت في الفصل الثاني ، أن صاحب الزنج كان من أصل فارسي<sup>(١)</sup> ، غير أنه يستحيل عليّ ، في ما يتعلق بوالديه ، أن

(١) أعترف مع ذلك بطيبة خاطر أنني مأخوذ باستدلال هاينز هالم (Heinz Halm: Die Traditionen) الذي يرى في صاحب الزنج « Herrn der Zang » المأثور عن ثورة علي بن محمد « صاحب الزنج » ، دراسة نقدية للمصادر ، أطروحة دكتوراه بالألمانية في ١٤٢ صفحة ، بون ١٩٦٧ ، ص ٤٣ - ٥٧ ، وبخاصة ص ٥٥ - ٥٧ ) الذي يرى في صاحب الزنج « مولى » فارسياً ، وأن مساعديه الأساسيين ينبغي أن يكونوا في غالبيتهم « موالي » فرساً كذلك . إن فرضيات هاينز هالم جذابة وإن برهنته لنبيهة وجدية . غير أن الصعوبة تكمن في واقع أن مصادرنا لا تشير إلا إلى أنساب عربية لعلي بن محمد ، وإنه مهما كانت مغرضة فلسنا نرى أسباباً قاهرة قد تكون حملت هؤلاء المؤلفين على اختراع ( أو مساندة ) هذا الأصل العربي لصاحب الزنج . وهكذا فإنني أظل مصرّاً على الاعتقاد ، لعدم توافر الأفضل ، بالمعلومات =

أكون أخرى باختيار نص الطَّبْرِي على أن اختار نص الصَّفْدي . ففي الواقع نحن نعرف أشياء يسيرة جداً حول الموضوع فليس في وسعنا أن نتخذ موقفاً قاطعاً.

لا أعتقد كذلك أن الأمر يتعلق بعلويّ ، لأننا ، باستثناء عدة أنساب مشكوك فيها أو منحولة ، وبعض التفاصيل القابلة لأن تُفسَّر في صالح انتسابه إلى ذرية عليّ ، لا نملك أيّ برهان يشير إلى أنه قد كان حقاً أحد أحفاد صهر النبي .

ليس من السهل أبداً أن نُبدي حكماً بصدد شخصية عليّ بن محمد ، وذلك لأسباب سبق لنا ذكرها أعلاه ، لكن من المؤكد أنه كان شخصاً متفوقاً ، ذكياً ، بليغاً ، متعلماً ، طويل باع في الشعر وعلم الفلك ، يعلم ما تطوي الصدور ، داهية ، مقنناً ، ويعرف كيف ينظّم الناس ويسيطر عليهم (والذين ، للمناسبة ، لم يكن التصرف بهم بالغ السهولة) ، وهو يملك مواهب عسكرية وثورية لا جدال فيها . ولنحاول الحكم عليه تبقى لدينا وسيلتان ، ناقصتان على حد سواء : تحليل المعلومات القليلة المتعلقة بحياته ، وتحليل شعره .

إنني ، للأسف ، غير قادر ، حالياً ، على أن أتكلّم على شعر صاحب الزّنج ، لأن ذلك يتطلب ، بادئ ذي بدء ، دراسة تحليلية لأبيات عليّ بن محمد ، ثم مقارنتها بأبيات الشعراء الآخرين المعاصرين أو السابقين على القرن الثالث الهجري . ومن جهة أخرى فقد سبق لي أن كتبت أن مهمة دقيقة كهذه

= التي تقدّمها هذه المصادر ، من أنه يتعلق الأمر برجل عاش صباه في فارس ، ولكنه كان عربيّ الولادة كما هو شأن آبائه وأجداده . وفي حال قد أكون على خطأ فسيعني أنه حقيقة ضرب من رائد سابق على جمال الدين الأفغاني !



تتطلب دراسة منفصلة ، وإنني أنطلع الى القيام بها لاحقاً<sup>(٢)</sup>.

إن عدد الأبيات التي قد يكون نظمها صاحب الزنج ، والتي أعرفها ، ليس مرتفعاً جداً . هناك على نحو دقيق مائة وسبعة وثمانون بيتاً<sup>(٣)</sup> ، لكن إذا أخذنا بعين الاعتبار الترديدات والروايات المختلفة فإن هذا العدد ينبغي أن يكون في باب المائة بيت تقريباً ، هذا إذا وافقنا على اعتبارها جميعاً عملاً شعرياً يعود حقاً الى عليّ بن محمد . إن الانطباع الأول الذي يتبدى هو أنه لدينا نماذج لقصائد من مراحل متنوعة في حياة صاحب الزنج : الأبيات التي تمّ نظمها أثناء مُقامه في سامراء ، الأبيات التي وضعها عقب الأحداث التي فاجأته في البحرين ، وأخيراً الأبيات التي صيغت بعدها بكثير خلال الثورة .

يبدو عليّ بن محمد ، في أبيات مرحلة سامراء ، علّوياً ، ثائراً بحالة الخلافة التي يُرثى لها والتي تسوسها الأيدي التركية . وهو يُقسم على أن يُدخل خيله إلى بغداد ، حيث يعيش الناس في المعصية ، وحيث تتدفق الخمرة بغزارة . ويشكو في أبيات أخرى من المرحلة نفسها من وضعه ووضع التعساء ، أو يتمجد بنفسه .

وفي القصائد المنظومة ، عقب الأحداث التي أملت عودته من البحرين ، يعد بالثأر من قبيلة عبد القيس .

(٢) مجلة « أرابيكا » م ١٢ ، ع ٢ ، ليدن ١٩٦٥ ، ص ١٨٦ .

(٣) إن بعض هذه الأبيات قد ذكره وعلق عليه فيصل السامر : ثورة الزنج ، ص ٤٦ و ٤٧ ( بغداد ١٩٥٤ ) - أحمد غُلبي : ثورة الزنج ، وقائدها عليّ بن محمد ، ص ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٤ و ٣٥ ، ١١٠ ( بيروت ١٩٦١ ) - عبدالكريم خليفة : مصادر ثورة الزنج ، مجموعة النصوص مع ترجمة وهوامش ، ومقدمة حول هذه الحركة الثورية ( مجموعة النصوص في ١٨٣ صفحة ، والمقدمة في ٥٠ صفحة ) ، وهي أطروحة بالفرنسية ، باريس ١٩٥٤ - وعبدالجبار ناجي في دراسته : « صاحب الزنج الثائر الشاعر ، مع تحقيق نص الصّفيدي في ثورة الزنج » ، مجلة « المورد » ( بغداد ) م ١٣ ، ع ٣ و ٤ ( ١٩٧٢ ) ، ص ١١ - ٢٣ .

إن الأبيات التي ستلي في ما بعد هي أيضاً أكثر ذاتية : فهي تعبر عن حالاته الروحية وشجونه الداخلية ، وتوضح الأسباب الكامنة في أساس ثورته ، كما يستعيد فيها حبه لعليّ ويتباهى بشخصه .

لكن من الجليّ ، برغم الفائدة الجمة التي تمثلها هذه الأبيات ، أنه قد يكون من الصعوبة بمكان أن نحاول استخلاص استنتاجات انطلاقاً من تلك الأبيات المعدودة التي تُنسب ، عن خطأ أم صواب ، الى صاحب الزّنج .

ليس من السهل أيضاً أن نُبدي رأياً في عليّ بن محمد تبعاً للإشارات المتبقية لدينا عنه . أولاً لأنها قليلة الوفرة ، ثم لأنها ، في الغالب ، موضع شك أو من العسير تحليلها . إن المسألة الهامة هي طبعاً أن نحكم : هل نحن بصدد رجل مخلص ، متشبع برسالته ، ومستعد لأن يضحي بحياته في سبيل إصلاح اجتماعي ، أو على العكس من ذلك فنحن حيال طمّاع عديم الذمة ومتعطش الى السلطة<sup>(٤)</sup> .

إذا ما وُزنت الأمور جيداً ، في ضوء المعلومات التي نملكها ، أعتقد أنه من العسير أن نجد فيه سوى شخص تَوَاق لا يعول على أيّ مبدأ . إن بعض الأبيات التي قد تكون من نظمه توضح على كل حال هذا الموقف . وكيفما كان الأمر فإن عليّ بن محمد هو الثوري النموذج : مغمور النسب ، متعلم ، مكبّ على علوم السحر والتنجيم ، وقد عقد صلات مع رجال عصره ، فهو يتبنّى عقائد مختلفة ويشرع في عدة انتفاضات قبل أن يُشعل ثورة الزّنج الكبرى . . .

(٤) إذا كانت هذه القضية لا تُطرح البتة لدى معظم المؤلفين ، فإن تيودور نولدكه : Sketches from Eastern History لمحات موجزة عن تاريخ الشرق ( الترجمة الانكليزية ) ، ص ١٥٠ و ١٥١ ، يبحث عمّا قد يمكن قوله بهذا الصدد . فيصل السامر يشرح رأيه بإسهاب : ثورة الزّنج ، ص ٤٧ - ٤٩ ، ٥٦ - ٦٢ . في حين أن أحمد عليّ يتقدم أقل كثيراً في هذا المجال .

لكن يجب أيضاً أن نضيف ، بلا تأخير ، أن هذا الحكم يستدعي بعض التحفظات . ذلك أنه كيف ينبغي أن ندرك عندئذ واقع رفضه هبة الخمسة دنائير مقابل رد كل عبد، من غير أن ننسى أنه مات بعد أن ناضل حتى النهاية، وقد أبى الأمان والمِنَح التي وعده بها الموفق<sup>(٥)</sup>. إن القضية تظل مطروحة ، فهي حسبما يبدو بلا جواب ، لأن كل نقاش يستند إلى معطيات واهية كهذه يظهر غير ذي جدوى .

## عقيدة علي بن محمد

إنها ، كما سبق ورأينا ، موضوع آخر يطرح الخلافات . هل كان شيعياً ، كما قد يحملنا على الافتراض إشارات جمّة وبعض من أبياته<sup>(٦)</sup>؟ أو أن الأمر يتعلق بخارجي ، وَفَقَّ الشعار الذي نلقاه على رايته ونقوده ( وقد اعتُبر لزمان طويل بمنزلة مبدأ العقيدة لدى الخوارج ) ، وعلى نحو أدق هل هو أزرقِي كما يشاء بعضهم<sup>(٧)</sup>؟ ففي الواقع اعتقد أنه من الأصح منطقياً أن نرى في هذه

(٥) وأدع جانباً تفاصيل أخرى في صالحه أشار إليها الطُّبري ، من غير الكلام على التصريحات الشخصية التي أبداها علي بن محمد في الاتجاه نفسه . راجع أيضاً هاينز هالم : المأثور عن ثورة علي بن محمد ، ص ١٣ - ١٥ .

(٦) راجع في ما سبق ، ص ١٠٥ ، العبارات التي تفوّه بها عندما بلغه ضرب عُتُق شاعر شيعي . توجد فضلاً عن ذلك تفاصيل متناقضة كلياً ( راجع في ما سبق ، ص ١٠٢ ، مقطع المسعودي في مروج الذهب ، الترجمة الفرنسية ، ج ٨ ص ٥٧ - ٦١ ) . تنبغي الإشارة أنه بالنسبة إلى هاينز هالم يتعلق الأمر ، بلا أيّ تحفّظ ، بشيعي . راجع فصله : الطابع الشيعي للثورة ، المأثور عن ثورة علي بن محمد ، ص ٣٥ - ٤٢ .

(٧) « وظهر من فعله ما دلّ على تصديق ما رُمي به من أنه كان يرى رأي الأزارقة من الخوارج ، لأن أفعاله في قتل النساء والأطفال وغيرهم من الشيخ الفاني وغيره ممن لا يستحق القتل يشهد بذلك عليه . وله خطبة يقول في أولها : الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، ألا لا حكم إلا لله . وكان يرى الذنوب كلها شركاً » ( المسعودي : مروج الذهب ، الطبعة الفرنسية ، ج ٨ ص ٣١ - ٣٣ ) . ولكن على هذا يجيب موريس غودفروا - دومومين في كتابه : =

الزعة الى تبني عقائد مختلفة وسيلة سياسية فعالة مسخرة لخدمة الثورة<sup>(٨)</sup>. وذلك لأنه ، بلا ريب ، بالنسبة الى صاحب الزنج إذا ما بدا شيعياً فهذا يعني كسب عطف أعظم حزب في الإسلام . وإذا ما بدا خارجياً فهذا يعني دغدغة عواطف الجمهور الأوسع من أنصاره نظراً لمبادئ الخوارج الداعية الى المساواة .

= العالم الإسلامي والبيزنطي حتى الصليبيين ، ص ٤٤٥ - ٤٤٩ قائلًا : « إن مؤرخاً عربياً يستعيد أنه كان يذبح الأطفال والنساء والشيوخ ، ليخلص أنه كان خارجياً ، فإن هذا مطعن وهمي . . . » .

أما في ما يتعلق بعبارة « لا حكم إلا لله » فهي تطرح موضوعاً يبدو مستعصياً على التفسير، وذلك أنه كيف يمكن التوفيق بين عقيدتين متناقضتين كما هو حال الشيعة والخوارج . وليس هناك البتة سوى مقطع صادر عن پول كازانوفا ( مجلة المسكوكات ، ١٨٩٣ ، ص ٥١٦ ) يقرّ بواقع الحال هذا : « إنه لمن المستغرب أن نطالع شعار الخوارج ، أعداء عليّ ، على نقود دعويّ علويّ . من الصحيح أن نزاع الحكمين قد طال وجهة نظر خاصة تماماً . لقد وافق عليّ على حكم ليقضي بينه وبين خصمه معاوية . وأعلن الخوارج ، المملكون أكثر من الملك ، أن الله وحده هو الحكم ، وأن عليّاً لم يكن بوسعه أن يدّع الآخرين يخوضون في مناقشة حقوقه . كان بالإمكان إذاً ، بعد قرنين من موت عليّ ، التّبي التام لهذا الشعار ، والاعتراف بحقوق عليّ وآله » .

ولكن في الواقع هناك أمر آخر تماماً ، كما يشير على نحو ذكي دومينيك سورديل : « بالنسبة إليّ فإنني مُساق إلى تفسير هذه المصادفة العجيبة بالفرضية التي تقدّم بها وليم مونتغمري وات والتي تذهب أن شعاراً كهذا لم يكن ليُعلن عنه في معرض «التحكيم» الذي تقرّر في صفين ، ولكنه يعبر عن مطالب أعداء عثمان ، أي الأنصار الأقدم لعلّي . فهو عندها صيحة شيعية بشكل أساسي وليست خارجية ، ويمكننا أن نفهم على هذا النحو ظهورها من جديد في زمن الزنج الذين رأسوا عليهم دعياً علوياً » ( « أرابيكا » ، م ٩ ، ع ٢ ، ١٩٦٢ ، ص ٢١٥ ) . حينئذ فإن جزءاً من مقطع هلال الصّابي في كتاب الوزراء ( أورده هريبرت بُوتيه ، مجلة « دُر إسلام » ( بالألمانية ) ٤٤ ، حزيران ١٩٦٨ ، ص ٢٧٠ ، الأسطر ٢٧ - ٢٩ ) لا داعي لمراعاته . راجع كذلك هاينز هالم : الماثور عن ثورة عليّ بن محمد ، ص ٣٥ ، ٣٩ .

(٨) تيودور نولدكه : لمحات موجزة ، ص ١٥١ و ١٥٢ - واحد عليّ : ثورة الزنج ، ص ٤٦ - ٤٩ ، هما أيضاً من هذا الرأي . ويبدو معبراً جداً بهذا الشأن مقطع ورد لدى عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ، طبعة القاهرة ١٩١٠ ، ص ٣٥٤ .

عما يثير الدهشة في ثورة الزنج ( التي كانت ثورة اجتماعية قبل كل شيء ) هو غياب خطة محددة وبرنامج اجتماعي مدروس :

« حسب أقوال المؤرخ العربي ، الطبري ، فهو قد ذكرهم بما هم عليه من سوء الحال ، وأكد لهم « أن الله قد استنقذهم به من ذلك ، وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ، ويملكهم العبيد والأموال والمنازل » . هذه التفاصيل تكشف عن ضعف الحركة التي لم تأتِ ببرنامج من الإصلاحات الحقيقية ، ولم تكن حتى لتهدف إلى إلغاء الرق ، مقتصرة على دفع فئة من العبيد إلى الثورة في سبيل تحسين وضعهم الخاص »<sup>(٩)</sup>.

لم يكن الأمر فعلاً سوى دولة جديدة ضمن الدولة ، مؤسسة على القواعد نفسها ، لكن قد يكون من المبالغ فيه أن ندهش حيال واقع الحال من أن ثورة الزنج لم تكن تهدف إلى إلغاء الرق . لا أرى كيف قد يكون ممكناً أن نتصور ، في صميم القرون الوسطى الإسلامية ، إلغاء مؤسسة كهذه ، يُقرّ بها القرآن وترضى بها طبائع السلوك .

لقد كانت ثورة الزنج إذاً ثورة سياسية ( صراع من أجل السلطة ) واجتماعية ( تحسين الأحوال المعيشية لإحدى الطبقات )<sup>(١٠)</sup> . غير أنني ألحّ على نقطة بالغة الدقة : إنها « جزئياً » ثورة اجتماعية ، لكن لا يمكننا الاستنتاج أن الأمر يتعلق ( كما زعم بعضهم ) بثورة اجتماعية حقيقية مرفقة بخطة مقررّة

(٩) برنارد لويس : العرب في التاريخ ، الترجمة الفرنسية ، ص ٩٤ . أنظر أيضاً بهذا الصدد فيصل السامر : ثورة الزنج ، ص ٦٣ - وأحمد علي : ثورة الزنج ، ص ١٠٨ - ١١٣ .

(١٠) أكان الأمر يتعلق بالزنج أم « الموالي » في المقام الأول ؟ راجع حول هذا الموضوع رأي هاينز هالم ، ص ١٥٩ ، فهو يحاول البرهنة أن ثورة الزنج هي قبل كل شيء ثورة « الموالي » الذين استعانوا بالزنج لتحقيقها .

على غرار الأسلوب العصري . أما في ما يعود إلى الدور الذي نهض به عليّ بن محمد ، وبمشارعه الحقيقية ، وبحدود سلطته الفعلية في هذا الطرف أو ذاك ، فإن معلوماتنا لا تسمح لنا بإعطاء أحكام نهائية .

كذلك هناك نقطتان تستوقفان نظرنا : الرفض الذي واجه به يعقوب بن الليث التحالف الذي اقترحه صاحب الزنج ، والمقابلة غير المثمرة لهذا الأخير مع حمدان قرمط .

إنه لمن الغريب حقاً أن الطبري لا يشير حتى الى المراسلة الشهيرة التي قد تكون تبودلت بين عليّ بن محمد ويعقوب ، وهذا الأمر يكفي منذ الآن ليوقعنا في حرج . لذا من المنطقي أكثر عدم محاولة التعليل . أما في ما يتعلق بأقوال حمدان قرمط فإنني أقرّ تلقائياً أنه يمكن فهمها على وجوه عدة .

## عواقب ثورة الزنج

إذا ما كانت عواقب ثورة الزنج متعددة ، كما سنتحقق بعد قليل ، فهناك مع ذلك مجال للحذر من المبالغات المرتكبة بهذا الصدد في بعض المؤلفات .

كما سبق ذكره فإن ثورة الزنج قد سهّلت كثيراً ترسيخ حكم الطولونيين في مصر . وبالإضافة إلى ذلك فقد أعانت أيضاً ، على نحو غير مباشر ، حركة الصّقّارين ، كما كانت عوناً حسب الظاهر للعمليات الحربية التي قامت بها بيزنطية<sup>(١١)</sup> . ولقد كانت كذلك نافعة للقرامطة الذين أجرى بعض أنصارهم

(١١) فرنسوا بوفيه : « سوريا عشية الفتح الطولوني » ، مجلة « الشرق المسيحي » ١١م ، ١٩٠٦ ، ص ٤٦ : « منذ ٨٧١ فإن الإمبراطور البيزنطي باسيل الأول ، مؤسس الأسرة المقدونية ، يعاود الهجوم بضاوارة . وفي عامي ٨٧٦ و ٨٧٧ ، عشية فتح ابن طولون ، فإن جحافلها عاثت دماراً ، بغير أن تلقى مقاومة تُذكر ، في كيليكيا وشمالي سوريا من طرسوس إلى مرعش » .

على ما يبدو تدريباتهم الأولى على حمل السلاح في صفوف الزنج<sup>(١٢)</sup>.

إن العواقب الاقتصادية والاجتماعية يبدو تلمسها بالطبع أصعب بكثير .  
بيد أنها لم تكن من العمق بحيث قد نظن ، ولا يبدو أن الثورة قد أثرت بشكل  
مستمر على مجرى تاريخ الإسلام ، ولا أحدثت تغييراً راديكالياً في بُنية  
المجتمع<sup>(١٣)</sup>. وحتى ليبدو أنها لم تحدث ضرراً عميقاً الأثر في الرّي والزراعة في  
العراق الأدنى<sup>(١٤)</sup>.

(١٢) راجع كلود كاهان : دروس في التاريخ الإسلامي ، من القرن الثامن حتى الحادي عشر  
( محاضرات في السوربون ) ، الكرّاسة الثانية ، ص ٦ و ٧ ، ٦٥ - ميخائيل يان دو غوييه :  
مبحث حول قرامطة البحرين والفاطميين ، ص ٢٦ - فيصل السامر : ثورة الزنج ، ص ٦٢  
و ٦٣ ، ٧٠ .

يبدو مفيداً الإشارة إلى مقطع لابن الأثير ( الكامل في التاريخ ، طبعة ليدن ، ج ٨ ص ٤١٩  
و ٤٢٠ ) يتصل بالسنة ٣٥٥ هـ / ٦٥ - ٩٦٦ م حيث يأتي ذكر جيش قرمطيّ مكوّن من ستة  
آلاف زنجي . أنظر أيضاً ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٥ .

(١٣) هذا ما يدعونا إلى التفكير بملاحظة غوستاف فون غرونيوم : الإسلام الوسيط ، ص ٢١٠ :  
« لا يمكن القول إن القضاء النهائي على هذه الحركة قد أثر على وضع الزنجي في المجتمع  
الإسلامي » .

(١٤) راجع كلود كاهان : دروس في التاريخ الإسلامي ، الكرّاسة الثانية ، ص ١٤ و ١٥ ، ٣٥  
و ٣٦ - برنارد لويس : العرب في التاريخ ، الترجمة الفرنسية ، ص ٩٤ . وهناك مؤلفون  
آخرون ليسوا من الرأي نفسه : نولدكه في : لمحات موجزة ، ص ١٧٤ و ١٧٥ ، يقدر أن  
مدن وقرى الفرات الأدنى لم تسترجع أبداً على الأرجح الخسائر التي أصابها لذلك العهد .  
ويزعم مولر في : تاريخ ( بالألمانية ) ، ج ١ ص ٥٧٩ ، أنه خلال أربعة عشر عاماً فقد تحوّل  
جنوب العراق وخوزستان الى أرض قاحلة . ويكتب موريس غودفروا - دوموميين في : العالم  
الإسلامي والبيزنطي حتى الصليبيين ، ص ٤٤٩ : « أن عشرة أعوام من المعارك والأسلاب  
أنهكت ثورة العبيد . ولقد توجّب بذل جهد مديد ومنسّق لإصلاح الأضرار المادية ، وإعادة  
حفر قنوات الرّي وتصريف المياه ، وإعادة بناء الزرائب ، ولاجتذاب السكان . وهي مهمة  
تفوق قدرات سلطة بغداد . إن حرب العبيد هي مظهر للاضطراب السياسي والاجتماعي ،  
كما هي أيضاً سبب إضافي في انهيار الخلافة » . راجع أيضاً فيصل السامر : ثورة الزنج ،  
ص ٥٨ و ٥٩ ، ٦١ - ٦٣ .

لكن العاقبة الأهم في ثورة عليّ بن محمد تكمن بلا أدنى ريب في إهمال استثمار أراضي المَوَات في العراق الأدنى بواسطة اليد العاملة المكوّنة من العبيد ، وفي الزوال النهائي لورشات العمل الكبرى هذه . مما أفضى حتماً إلى تحسين أوضاع حياة العبيد الذين مارسوا هذا العمل من قبل<sup>(١٥)</sup> . ومن جهة أخرى فإن الزّنج الذين بقوا على قيد الحياة قد جرى استيعابهم في الجيش العباسي ولم يعودوا إلى وضعهم العبودي السابق<sup>(١٦)</sup> .

أما في ما يعود إلى عدد القتلى خلال السنوات الأربع عشرة فإن التقديرات تتراوح بين خمسمائة ألف ومليونين ونصف من الضحايا . ويستحيل بالتأكيد إبداء رأي حول هذه النقطة ، لكن سلفستر دوساسي سبق أن كتب بهذا الشأن : « أورد فخرالدين أيضاً الوقائع نفسها بإيجاز ، في عهد خلافة المعتمد . فهو يذكر أنه قد هلك في هذه الحرب ، كما يجري التأكيد ، مليونان ونصف إنسان . لست بحاجة أن ألفت النظر إلى ما تحتوي هذه الرواية من مبالغة »<sup>(١٧)</sup> .



بهذا ينتهي عرض المعلومات والتحليل المتواضع لها والتي بقيت عن ثورة العبيد في البصرة لأحد عشر قرناً خلت .

إن كتاباً عن التاريخ يُستبدل دائماً بكتاب آخر ، وهذا بدوره لا ينجو بتاتاً

(١٥) إن عبدالعزيز الدّوري : دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، ص ١٠٥ ، يفكر أيضاً بنشأة الروح الطبقية .

(١٦) هاينز هالم : المأثور عن ثورة عليّ بن محمد ، ص ١١٣ ، يعتقد بالمقابل أن العبيد قد أعيدوا إلى أسيادهم القدامى ، وهذا مما يبدو لي حقاً بعيد الاحتمال .

(١٧) منتقيات من الأدب العربي القديم ، ط ٢ ، باريس ١٨٢٦ ، ج ١ ص ٩٠ .



من سَرَيان القاعدة عليه . إن آخرين سيعودون لمعالجة الموضوع نفسه ، وربما أنا أيضاً ، وذلك لاقتراح تفسيرات جديدة وخلاصات أصحّ ، معوّلين على قاعدة من الأفكار المترابطة الدقيقة . وذلك ، كما يبيّن مكسيم رودنسون : « إننا نفتقر جميعاً إلى الخيال بشكل يُرثى له حيال مكتشفات الغد . لكن التجدد الدائم للأفكار التاريخية – حتى في حال أن التوثيق لا يزداد إلا على نحو متواضع – يتحدّى باستمرار عجزنا الروحي » .

( ٢ )

دراسة نقدية بصدو " خلاصة "

بوفيتش حول ثورة الزنج

إن الدراسة التي ترجمناها للقارىء العربي ( ثورة العبيد في العراق خلال القرن الثالث الهجري ) هي المقطع الختامي « خلاصة » ( ص ١٧٥ - ١٨١ ) من كتاب المستشرق ألكسندر بوبوفيتش (اليوغسلافي الأصل ) : ثورة العبيد في العراق خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ، منشورات غوتنر ، باريس ١٩٧٦ . وسبق لنا عندما كان الكتاب ما يزال أطروحة للدكتوراه الجامعية ، وقد حملت عهدها عنواناً مغايراً هو « عليّ بن محمد وثورة العبيد في البصرة » ( كلية الآداب في السوربون ، باريس ١٩٦٥ ) ، أن كتبنا بحثاً نقدياً مستفيضاً حول هذا العمل<sup>(١)</sup> . وقد أخذ الباحث بوبوفيتش ببعض ما جاء في نقدنا عند نشر عمله في الكتاب الحالي . لكن يستأثر باهتمامنا الآن ، ونحن نقدّم هذه الخلاصة لكتاب تجميعي أكاديمي رصين ، أن نسجل بعض الملاحظات النقدية المفصلة .

### شخصية صاحب الزنج

يوضح بوبوفيتش أنه للتعرف على شخصية عليّ بن محمد تُعوّزنا المعلومات

(١) راجع كتابنا : الإسلام والمنهج التاريخي ، ص ٢٥ - ٦٢ .

التاريخية الموثوقة ، وليس في حوزتنا للحكم على صاحب الزنج سوى وسيلتين متبقيتين ناقصتين أيضاً : المعلومات المتناثرة الشحيحة في المصادر حول حياته ، ثم هناك ما تركه لنا من شعر منسوب إليه يمكن درسه وتحليله<sup>(٢)</sup>. وفي برنامجنا الدراسي للأيام المقبلة الإكباب على شعر عليّ بن محمد ومحاولة تجميعه وتقييمه وتثمينه ، وقد كتبنا حديثاً دراسة تمهيدية بهذا الشأن عنوانها : صاحب الزنج « الشاعر » . ولكن لا تفوتنا الإشارة أن محاولة فهم شخصية صاحب الزنج بالذات في بُعدها الحقيقي والتاريخي ، وذلك من خلال شعره ، عملية تكتنفها المغامرة وتستأهل البحث والتّسأل . إذ هل يعكس العمل الأدبي دائماً شخصية صاحبه ؟ نزعم أن هذا التطابق نعثر عليه لدى عدد قليل من الكتاب ، خصوصاً الشعراء منهم . وكم من أدباء تتعرف بهم فتصاب بخيبة أمل كبيرة ، لأن الصورة الجسدية والخُلُقِيّة والمزاجية التي كوّنتها عنهم ، عبّر أعمالهم وإلهاماتهم ، تكاد تكون أحياناً مفارقة للواقع الذاتي وللشخصية التي أبدعت هذه الأعمال ! وهذا الموضوع يطرح إشكالات جمة ليس ههنا مكان تناولها ، على أن المهم أن شعر عليّ بن محمد يمكن أن نستشفّ من خلاله طموحات صاحبه والمُناخ السياسي الذي كان سائداً لعهدّه ، وذلك من غير أن نبالغ في التقدير وننخذه « وثيقة » تاريخية ، فحكاية أصدق الشعر أكذبه هي في البال وتراود الخاطر . فكيف إذا كان الشعر سياسيّ الهوى ، يتطلّع منشده إلى السلطة ، وقد يدّعي من الأنساب والأهواء ما هو « ضروري » لبلوغ ما يزيّنه له الطموح أو الطمع . لهذا نجد بوبوفيتش نفسه يتحفّظ بعد ذلك في الاعتماد على شعر صاحب الزنج ، قائلاً إنه برغم فائدته الجمة « قد يكون من الصعوبة بمكان أن نحاول استخلاص استنتاجات انطلاقاً من تلك الأبيات المعدودة التي تُنسب ، عن خطأ أم صواب ، إلى صاحب الزنج »<sup>(٣)</sup>.

Alexandre Popovic: La Révolte des Esclaves en Irak au IIIe/IXe siècle, p. 176. (٢)

Popovic: La Révolte des Esclaves en Irak, p. 177. (٣)

وفي ما يتعلق بشخصية عليّ بن محمد ومحاولة الحكم عليها هل كانت صادقة أم دعيّة ، مؤمنة بما نهضت به أم نَهْمَة إلى السلطة ، فإن تيودور نولدكه في كتابه « لمحات موجزة عن تاريخ الشرق » لا يزيد على القول حول هذه النقطة : « وفي الحقيقة نحن نعرف أكثر بكثير بصدد أعماله الحربية مما نعرف بصدد شخصيته الحقّة »<sup>(٤)</sup>. أما فيصل السّامر فيجيب على التساؤل السابق قائلاً : « إن الذي يصل إليه الباحث في حركته أنه كان مخلصاً للدعوة التي تبنّاها ، وقد عرضت له فرص عديدة كان يستطيع أن يثري عن طريقها لكنه عزف عنها »<sup>(٥)</sup>. هذه هي المعالجة المقتضبة الخاطفة التي ذكرها « السّامر » ، لأن الصفحات المتبقية التي أشار إليها بوبوفيتش من كتاب « ثورة الزّنج » ( ص ٤٨ و ٤٩ ، ٥٦ - ٦٢ ) لا تتناول الناحية التي نفق عندها ، بل تعالج موضوعات العنف الذي اكتنف تصرّفات الزّنج ومحاولة تعليله ، والصبغة الدينية العقائدية التي أسبغها عليّ بن محمد على ثورته ، والطابع الطبقي لانتفاضة هؤلاء العبيد ، وأخيراً ما ألحقت ثورة الزّنج من خسائر مادية كبرى باقتصاديات العراق .

وقد وقفنا من شخصية عليّ بن محمد موقفاً مغايراً بعض الشيء . إذ خلصنا ، بعد إمعان في مراحل حياته وجوانب عقيدته ، أنه من طينة المغامرين التواقين إلى السلطة ، وأن هذا التّوق عنده التقى مع توق الزّنج الى التحرر من العبودية التي يرسفون في أغلالها ، فحصل تلاقٍ بينهما ، وحدث إخلاص متبادل على قاعدة المصلحة المشتركة<sup>(٦)</sup>. وقد عاودنا بحث هذه النقطة في مؤلّف آخر حيث أوضحنا أن المصادر المتوافرة حتى الآن عن ثورة الزّنج لا

(٤) Theodore Nöldeke: Sketches from Eastern History, p. 150.

(٥) فيصل السّامر : ثورة الزّنج ، ص ٤٧ .

(٦) راجع كتابنا : ثورة الزّنج ، وقائدها عليّ بن محمد ، ص ١١٠ و ١١١ .

تسمح لنا أن نذهب أبعد من ذلك ، وأن نزعتنا الخفية تشدنا إلى تصوّر عليّ ابن محمد على أنه البطل المحرر للعبيد بشكل مطلق ، غير أن هذا يدخل في عملية تجميل التاريخ<sup>(٧)</sup> . ولقد قال لي ذات مرة أستاذي وصديقي الجليل المرحوم رثيف خوري ، عقب قراءته كتابي عن ثورة الزنج ، إن الأمر يحتمل أكثر ! فأجبتّه يومها أن هذا الاحتمال يدخل في أحاسيسي ، لكني لا أملك بعد ، علمياً ، القرائن عليه . فلکم يبدو جيلاً أن نعتبر عليّ بن محمد بمنزلة « سبارتاكوس » عربي تحيط به هالة من البطولة الفائقة والنوايا الطاهرة والمساعي الخارقة ! إن إعادة كتابة تاريخنا ، على نحو علمي ، مهمة لا يستهان بها ، وتغدو أكثر فأكثر ضرورية ولا تحتمل التأجيل . إن « التاريخ » الذي نطالعه هو عموماً تاريخ رسمي سُلطوي ، يجعل الثورات فتناً ، والمطالبة بالعدالة الاجتماعية مُروفاً ، والإصرار على تطبيق الإسلام بمثاليته المعهودة دعوة خارجية أو قَرْمَطِيَّة أو باطنِيَّة !

ولا نرى بدأً من أن نلاحظ أن ألكسندر بوبوفيتش يعيد في كتابه موقفنا إياه من قضية شخصية صاحب الزنج ومحاولة الحكم عليها . فما ذكره ينحصر في فكرتين : الأولى أن عليّ بن محمد شخص يطمع في تولي السلطة وقد توسّل إليها بتبني عقائد مختلفة ( وهذا ما عالجناه بإسهاب في كتابنا : ثورة الزنج ، وقائدها عليّ بن محمد ، ص ٢٧ - ٤٩ ) ، كما أقدم عليّ بن محمد على محاولات عديدة لاقتناص الحكم قبل قيادته الزنج ( راجع كتابنا : ص ١١ - ٢٦ ) . وفحوى الفكرة الثانية لدى بوبوفيتش هو غياب البرنامج الاجتماعي عند صاحب الزنج ، وهذا الموضوع تناولناه ضمن معالجتنا أسباب إخفاق الثورة ، تحت عنوان : افتقار « البرنامج الثوري » ( ص ١٠٨ - ١١٣ ) . وينتهي بوبوفيتش إلى إبداء التحفّظ وإلى أن المسألة تظل مطروحة لأن معطياتنا لا

(٧) راجع كتابنا : الإسلام والمنهج التاريخي ، ص ٤٦ - ٤٨ .

تكفي<sup>(٨)</sup>، وهذا ما سبق لنا أن أبديناه !

## شاعرية « صاحب الزنج »

إن دراسة عبد الجبار ناجي<sup>(٩)</sup> حول هذا الموضوع لا تقدّم جديداً ، لأن التعويل كله فيها قائم على نص صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ( ت ٧٦٤هـ ) في مؤلفه الكبير « الوافي بالوفيات » . وقد اعتمد عبد الجبار ناجي في ترجمة الصفدي لصاحب الزنج على مخطوطة توب قوبي سراي بإسطنبول . غير أنه سبق للمستشرق ألكسندر بوبوفيتش نفسه أن نشر نص الصفدي هذا نقلاً عن مخطوطة الوافي بالوفيات الموجودة في المتحف البريطاني ، وذلك منذ عام ١٩٦٥ في مجلة « أرابيكا »<sup>(١٠)</sup> . على أن ما يهنا إirاده ههنا أن أبيات الشعر التي عرضت في هذا النص تبلغ الستة والثلاثين ، وأن ثلاثة وعشرين منها يتفرد الصفدي بذكرها حتى الآن . وعند المقارنة بين نص بوبوفيتش ونص عبد الجبار ناجي يتبين لنا أن الأبيات الشعرية قد وردت مضطربة لدى بوبوفيتش وتحتوي على أخطاء عديدة ، في حين أن ناجي الذي ذكر الأبيات ضمن دراسته التمهيدية وحذفها من النص المحقق — مما أثار دهشتنا لأن هذا التصرف يخالف الأسلوب العلمي المألوف — قد أتى على الأبيات بشكل صحيح . أما موضوع شاعرية قائد الثورة فلا نجد داعياً للتوسع فيه ههنا ، لأننا كتبنا ، كما أشرنا سابقاً ، دراسة مستقلة مكثفة حوله .

## الثورة وقضية الزراعة

وهناك نقطة في « خلاصة » عمل بوبوفيتش تستوقف النظر ، وربما تدعو إلى

(٨) Popovic: p.p. 177-179.

(٩) عبد الجبار ناجي : « صاحب الزنج الشاعر ، مع تحقيق نص الصفدي في ثورة الزنج » ، مجلة « المورد » ١م ، ع ٣ و ٤ ( ١٩٧٢ ) ، ص ١١ - ٢٣ .

(١٠) A. Popovic: «Quelques Renseignements Inédits Concernant «Le Maître des Zang» Ali

b. Muhammad», Revue «Arabica» t. 12, fascicule 2 (1965), p.p. 175-187.

شيء من العَجَب ! إذ هو يتبنّى في المتن ، معولاً على رأي كلود كاهان ، أن ثورة الزنج لم تكن خطيرة الأثر من حيث العاقبة الاقتصادية ، وأنها لم تكن ذات أثر بعيد وضرر عميق في الرّي والزراعة ، وذلك في نطاق العراق الأدنى حيث دارت رحى معاركها الدامية وأحداثها الجسام<sup>(١١)</sup> . ولكن مما لا ريب فيه أن الثورة التي امتدت قُرابة خمسة عشر عاماً ( ٢٥٥ - ٢٧٠ هـ ) قد أحدثت اهتزازاً ديمغرافياً ، إذ توالى الهجوم من أنصار صاحب الزنج على المدن والقرى وسقطت البصرة بين أيديهم ، ثم ما أعقب ذلك كله من ثورة معاكسة نهضت بها السلطة وقادها بعناد وإصرار الموفق ، أخو الخليفة المعتمد . ذاك الهجوم الثوري وهذا الهجوم السُلطوي المضاد قد أديا حتماً إلى فرار السكان وجلائهم وهجرتهم ، خصوصاً أهل المدن ، إلى نواحي شتى وأمصار متفرقة .

ولا أدلّ على ما تقدّم من تهجير وتشريد أن الكثيرين من أهل البصرة قد جلّوا عنها قبل استيلاء الزنج عليها سنة ٢٥٧ هـ . جاء لدى الطّبري في كلامه على صاحب الزنج : « ولما كان من أمره ما كان بالأهواز بعد الذي كان منه بالأبلة ، رَعَبَ أهل البصرة رعباً شديداً ، فانتقل كثير من أهلها عنها ، وتفرّقوا في بلدان شتى ، وكثرت الأراجيف من عوامّها »<sup>(١٢)</sup> . وهذا واضح لدى ابن خلدون الذي يذكر أنه عقب استيلاء الزنج على الأهواز سنة ٢٥٦ هـ « فخاف أهل البصرة وافترق كثير منهم الى البلدان »<sup>(١٣)</sup> . وبعد اقتحام الزنج البصرة وفتحهم بأهلها « هرب الناس منهم كل مهرب »<sup>(١٤)</sup> . ومن الطبيعي ، والحال هي الحال ، أن يقال : « فهرب باقي أهلها بأسوأ حال »<sup>(١٥)</sup> . وتجبرنا المصادر التاريخية أن الزنج

(١١) Popovic: p. 180.

(١٢) تاريخ الرُّسل والملوك المعروف بتاريخ الطّبري ، ج ٩ ص ٤٧٣ .

(١٣) كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون ، م ٣ ص ٦٤٠ .

(١٤) ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ، ج ١١ ص ٢٨ .

(١٥) ابن العِماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٢ ص ١٣٦ .



عندما دخلوا سنة ٢٦٤هـ مدينة واسط واستباحوها هجّ الناس وخرجوا حفاة عُراة على وجوههم<sup>(١٦)</sup>. وعندما تقدّم زحف الزّنج في منطقة سَوَاد العراق استولّوا على جَبَل والنعمانية سنة ٢٦٥هـ، واستبيحت رامهرمز سنة ٢٦٦هـ. وبلغ الزّنج جَرْجَرايا، وهي تقع بين واسط وبغداد<sup>(١٧)</sup>، « فدخل أهل السّواد بغداد »<sup>(١٨)</sup>.

إن التهجير القسري اتّسع نطاقه، تَبَعاً لامتداد فتوحات الزّنج، ثم ما أعقبها من معارك مضادة نشطت بها الخلافة للقضاء على الثورة. ولهذا نجد عند الطّبري الخبر التالي، إثر الإجهاز على ثورة الزّنج ومقتل صاحبها « الفاجر » « الخبيث » « عدو الله » : « وأمر الموفّق أن يُكتب إلى أمصار الإسلام بالنداء في أهل البصرة والأبلة وكُور دجلة وأهل الأهواز وكُورها وأهل واسط وما حولها مما دخله الزّنج بقتل الفاسق، وأن يؤمروا بالرجوع إلى أوطانهم »<sup>(١٩)</sup>. ولا شك أن الناس المشتتين بفعل الحرب قد لبّوا النداء، وذلك أن الموفّق ظل هناك في « الموفقيّة » مقيماً ليأمن الناس بمقامه، في حين أرسل ابنه أبا العباس إلى بغداد مصحوباً برأس صاحب الزّنج منصوباً على رأس رُمح<sup>(٢٠)</sup>. وقد بنى الموفّق مدينة الموفقيّة وتوسّع فيها، وذلك إزاء عاصمة الزّنج الحصينة جداً « المختارة » والواقعة على نهر أبي الخصيب. وكان من التحوّط العسكري لدى صاحب الزّنج ومن دهائه في تحصين عاصمته أنه نصب فيها المجانيق والأسلحة بما بهر العقول<sup>(٢١)</sup>. وهكذا اضطر الموفّق إلى

(١٦) المسعودي : التنبيه والإشراف، ص ٣١٩ - مؤلف مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج ٤، ق ١، ص ٣٩ - ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج ٨، ص ١٦٤ - ابن خلدون : م ٤١ ص ٤١.

(١٧) ياقوت : معجم البلدان، م ٢ ص ١٢٣.

(١٨) ابن الجوزي : المتنظّم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٥، ق ٢، ص ٤٥، ٤٩ و ٥٠ - أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج ٣ ص ٦٦ - ابن العماد : ج ٢ ص ١٤٧، ١٥١.

(١٩) تاريخ الطبري، ج ٩ ص ٦٦٣.

(٢٠) ابن خلدون : م ٣ ص ٦٩٠ و ٦٩١.

(٢١) الدّهبي : سير أعلام النبلاء، ج ١٣ ص ١٣٥.

التضييق على المختارة لإسقاطها مدة ثلاث سنوات كاملات ونصف<sup>(٢٢)</sup>، وذلك « حتى أنس الناس وعادوا وأوطانهم ووثقوا بالراحة من أسباب الخبيث »<sup>(٢٣)</sup>. لقد خيم الأمان على المنطقة إثر المعارك التي دامت طويلاً وأبلى خلالها صاحب الزنج بلاء رائعاً وصموداً عجيباً. « وأمن الناس ، وتراجعوا الى المدن التي أخذها وهي كثيرة كواسط ورامهرمز »<sup>(٢٤)</sup>. لقد نادى الموفق بالأمان « وأن يرجع كل مَنْ كان أُخرج من دياره بسبب الزنج الى أوطانهم وبلدانهم »<sup>(٢٥)</sup>.

ومن بدييات الحرب أنه لا يتأتى عنها إلا الخراب واضمحلال جنى العمر ، إذ إن « مناقية » الحرب لشهيرة ! فتورة الزنج شاءت أم أبى ، عن حسن نية رجالها أم بغيرها ، قد استباحث وانتهبت وأحرقت وظفرت بالخيرات والمواسم والمواشي والأثاث والمتاع والنساء . ونسارع إلى القول إن الثورة المضادة أشرعتها الخلافة في وجه الزنج ، حفاظاً على سلطتها المهددة حتى في عقر دارها ، ما دام أن الزنج قد أضحووا على مسافة تقل عن سبعين ميلاً من بغداد ، وكانت وجهتهم عاصمة الخلافة نفسها<sup>(٢٦)</sup>. لقد كان الخطر مستفحلاً داهماً على بيضة الإسلام ورمز الخلافة العظمى ، فإن الذهبي يقول عن صاحب الزنج : « وكاد أن يملك بغداد »<sup>(٢٧)</sup> ! إن الثورة المضادة قد نحا جُندها وغلمانها النحو عينه في التعامل « الأعرابي » من سلب ونهب وتحريق وتقتيل واستحواذ على الغنائم والأموال والحريم<sup>(٢٨)</sup>. ولكن الكر والفر بين

(٢٢) ابن خلدون : م ٤ ص ٤٣ .

(٢٣) مؤلف مجهول : ج ٤ ، ق ١ ، ص ٥٨ .

(٢٤) السُّيُوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٦٤ .

(٢٥) ابن كثير : ج ١١ ص ٤٤ .

(٢٦) ابن عينة : عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، ص ٢٩٢ .

(٢٧) سير أعلام النبلاء ، ج ١٣ ص ١٣٠ .

(٢٨) الطبري : ج ٩ ص ٦٤٨ و ٦٤٩ - ابن خلدون : م ٣ ص ٦٨٧ و ٦٨٨ .

الفريقين المتصارعين ، المتحاربين بلا هوادة ، قد نتج عنها هدر اقتصادي عظيم وخراب عمراني فادح . يكفي أن البصرة ، المدينة التاريخية التجارية المصرفية العريقة ، يذكرها اليعقوبي ، عقب دخول الزنج إليها سنة ٢٥٧هـ ثم خروجهم منها ، فيقول : « ورجع قوم ، فلم يجدوا منزلاً يُسكن »<sup>(٢٩)</sup> . ولا ريب أن الطبيعة أكملت في السنة التالية ما عمل الزنج بالبصرة من حرق وهدم ، إذ إن البصرة تعرضت في سنة ٢٥٨هـ إلى هذات كثيرة « تساقط منها أكثر المدينة ومات فيها أكثر من عشرين ألف إنسان »<sup>(٣٠)</sup> .

ومن البديهي أن هذا الخراب العمراني والاقتصادي قد شمل الزراعة ، بسبب فرار الكثيرين من المزارعين في بقعة دعاها العرب أصلاً بالسَّوَاد لكثافة الخضرة فيها من أشجار النخيل وغيرها ومن المزروعات على أنواعها ، إذ السَّوَاد عندهم هو الأرض العامرة<sup>(٣١)</sup> . وجاء لدى الطبري عن علي بن محمد : « وبث أصحابه يميناً وشمالاً يغير بهم على القرى ، ويقتل بهم الأكرّة وينهب أموالهم ويسوق مواشيهم »<sup>(٣٢)</sup> . ومع رحيل الأكرّة الذين يحرثون الأرض ويزرعونها في عراق يحتشد بآلاف الأنهار ، فقد بارت الأرض وضاع خراجها على السلطة . وآلت الأمور المالية إلى حال صعب بسبب تدني المواسم الزراعية بعد اندلاع ثورة الزنج وتفشيها في المنطقة اتساعاً وانتشاراً ، وتضعف نظام الري ، وهرب الكثيرين من الناس ، وخشية المزارعين من ضياع غلالهم من طريق النهب أو المصادرة من هذا السبيل أو ذاك . لهذا نجد الموفق ، إثر هزيمته المنكرة أمام جموع الزنج يتراجع سنة ٢٥٨هـ الى مدينة

(٢٩) تاريخ اليعقوبي ، ٢م ص ٥٠٩ .

(٣٠) ابن الجوزي : ج ٥ ، ق ٢ ، ص ٨ .

(٣١) الصّابي : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، ص ٦٨ .

(٣٢) تاريخ الطبري ، ج ٩ ص ٤٣٧ .

واسط وقد انفرط عِقْد مَنْ كان بصحبته من جنده وقواده وهم مواليه وغلماناه ،  
فمضى الموفق بعدها من واسط إلى سامراء (٣٣) .

المهم أن الموفق كان يتأهب لمعاودة المناجزة الزنج فقال لكاتبه ، صاعد بن  
مُحَمَّد ، إن خزانته ليس فيها من المال ما يُعْتَدُّ به للتجهيز فتدبّر الأمر . وكان  
صاعد بن مُحَمَّد نافذاً عند الموفق ، واستكتبه سنة ٢٦٥هـ (٣٤) . ولقد كان  
نصرانياً ثم أسلم (٣٥) ، « وكان من أحسن مَنْ أسلم ديناً » (٣٦) . واستوزره  
الموفق بعدها ولقبه « ذا الوزارتين » (٣٧) . ولئن « كان صِفْراً من الأدب » (٣٨)  
فقد كان صاعد يعرف تماماً كيف يدير الأحوال ويحصل الأموال ، ما دام أن  
غلته الخاصة من ضياعه وضياع ولده بلغت مليون دينار (٣٩) ! فما كان من هذا  
الكاتب الماهر إلا أن بادر إلى إصلاح إقطاع كبير كان للخيزران ، أم الرشيد ،  
ثم تعطل وخرب . فأمن البذر للأرض ، والبقر للفلاحة ، والمال الضروري  
لحفر القنوات الخربة ، ولدفع ما يتوجب للأكرة أي حُرّاث الأرض  
والمزارعين ، والتناء أي المقيمين من السكان مفردها التّاء (٤٠) .

فتحصّل من مسعى صاعد ربح عظيم ، مما أعان الموفق على التقويّ بالمال  
ومعاودة مقاتلة « الخائن » ، أي صاحب الزنج . ولهذا ندرك فحوى العبارة

(٣٣) الطبري : ج ٩ ص ٤٩٩ و ٥٠٠ - ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، م ٧ ص ٢٥٥ و ٢٥٦ .

(٣٤) الطبري : ج ٩ ص ٥٤٤ - ابن الأثير : م ٧ ص ٣٢٧ .

(٣٥) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٥ ص ١٤١ - الحُصْري : زُهر الآداب وثمر  
الألباب ، ج ١ ص ٢٨٦ .

(٣٦) الصّفْدي : الوافي بالوفيات ، ج ١٦ ص ٢٣٣ .

(٣٧) السيوطي : ص ٣٦٥ .

(٣٨) الصّفْدي : ج ١٦ ص ٢٣٣ .

(٣٩) الصّفْدي : ج ١٦ ص ٢٣٥ .

(٤٠) الأزهري تهذيب اللغة ، ج ١٤ ص ٣٢٤ .

التالية الواردة في أخبار سنة ٢٦٩هـ عند الطّبري : « وافى عسكر أبي أحمد صاعد بن تَخلد كاتبه ، منصرفاً إليه من سامراء ، ووافى معه بجيش كثيف قيل إن عدد الفرسان والرجالة الذين قدموا كان زهاء عشرة آلاف . فأمر الموقّ بإراحة أصحابه وتجديد أسلحتهم وإصلاح أمورهم ، وأمرهم بالتأهب لمحاربة الخبيث »<sup>(٤١)</sup>. ويقول صاعد بن تَخلد : « وطالبُ الأقبياء بالزراعة من أموالهم ، وحرصوا هم أيضاً الحرص كله ، لما رأوا الماء ، وأن الضّياغ معطّلة منذ سنين كثيرة ، وطمعوا في كثرة الرّيع ، ووفور الأسعار في النواحي ، فزرع الناس بالربة والرهبة ، حتى استنفذوا جهدهم »<sup>(٤٢)</sup>. وقد « كافأه » الموقّ بعدها سنة ٢٧٢هـ بأن قبض عليه وعلى جميع أهله ونهب منازلهم، وكان صاعد عائداً مظفراً من فارس إلى واسط بعد أن قضى على عمرو بن الليث الصّفّار<sup>(٤٣)</sup>!

وبعد هذا كله أليس من حقنا أن نتساءل إذا لم يكن لثورة الزّنج يدٌ طويلة في هذا الغلاء الجنوبي الذي نقرأ عنه من أن كُرّ الحِنطة أضحى ثمنه في بغداد طَوّال شهور من سنة ٢٦٠هـ ، أي عقب ست سنوات من اندلاع ثورة الزّنج وتحقيق انتصاراتها الكبرى ، مائة وخمسين ديناراً<sup>(٤٤)</sup>! وارتفع ثمن كُرّ الشعير في بغداد إلى مائة وعشرين ديناراً<sup>(٤٥)</sup>! في حين نجد أن سعر كُرّ الحِنطة حوالى سنة

(٤١) تاريخ الطّبري ، ج ٩ ص ٦٤٩ . وقد وردت المعلومة نفسها معدّلة لدى مؤلف مجهول في كتابه « العيون » (ج ٤ ، ق ١ ، ص ٥٤) ولكن ضمن أخبار سنة ٢٦٨هـ .

(٤٢) التّوخي : بشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٨ ص ١٥٣ - ١٥٥ .

(٤٣) الطّبري : ج ١٠ ص ٧ ، ١٠ - ابن الأثير : ج ٧ ص ٤١٤ ، ٤١٩ - ابن خلدون : ج ٣ ص ٦٥٨ .

(٤٤) ابن الجوزي : ج ٥ ، ق ٢ ، ص ٢١ - ابن تَقْري بَرْدِي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٣ ص ٣١ - السيوطي : ص ٣٦٤ - ابن العماد : ج ٢ ص ١٤٠ .

(٤٥) ابن كثير : ج ١١ ص ٣١ .

٢٥٨ هـ كان يَنفَعُ على العشرين ديناراً<sup>(٤٦)</sup> . والكُرَّ لذاك العهد مكيال عند أهل العراق يبلغ ستين قَفِيزاً ، والقَفِيز بدوره يبلغ ثمانية مكاكيك ، والمكوك صاع ونصف<sup>(٤٧)</sup> . وهذا البوار الذي أصاب الزراعة فكاد يشلُّها ، وعطل الضِّياع بحاصلاتها الوفيرة ، ومنها الحنطة والشَّعير ، قد دام سنين طويلة . صحيح أن الغلاء الفاحش المتقدم الذكر لم يكن مقتصرأً على العراق وشمل بعض بلاد الإسلام ، ولكن استفحاله في العراق الذي ينضج بالأنهار والخيرات الزراعية له دلالة ومغزى ، وكان يمكن على الأقل ، لو أن الأحوال مستقرة وثورة الزُّنَج ليست في عنفوانها ، تخفيف آثاره الى حد ملموس .

فكيف بعد هذا كله يذهب بوبوفيتش أن الأمر أهون مما نظن ؟ مع العلم أننا لم نعرض لما أصاب قنوات الريِّ والأنهر الصغيرة التي تُعدُّ بالآلاف والتي حملت في الغالب أسماءً محتفريها ، وذلك من إهمال وطمس وخراب ، بسبب شبه اتِّصال المعارك ، والتعطلُّ الكبير في الأراضي ، وارتباك الملاحة النهرية ، دعك من أننا لم نتكلم على التجارة التي حلَّت بها ضربة موجعة قاصمه . وقضية الريِّ ذات شقَّين : فمن جهة هناك إهمال واندثار لبعض الأنهار المحتفَرة بسبب الترك وكرور الزمن ، ومن جهة أخرى هناك أنهار تمَّ ردمها لأسباب ثأرية أو عسكرية . مثال ذلك أن الموقَّ استولى على مدينة « المنصورة » ، وهي إحدى المدن التي استحدثتها ثورة الزُّنَج ، بالإضافة إلى « المختارة » العاصمة التي شيدها صاحب الزُّنَج ، و « المنبعة » التي بناها سليمان بن موسى الشعراني على نهر براطق بسوق الخميس<sup>(٤٨)</sup> . وقد ابتنى سليمان بن جامع ، أحد القادة المرموقين للثورة ، « المنصورة » بطهيشا ، وحصَّنها بخمسة خنادق وخمسة

(٤٦) التنوخي : ج ٨ ص ١٥٥ .

(٤٧) ابن منظور : لسان العرب ، ٥ م ص ١٣٧ .

(٤٨) الطبري : ج ٩ ص ٥٦٥ ، ٥٦٧ .

أسوار<sup>(٤٩)</sup>. ولكن عندما سقطت في أيدي الموفق سنة ٢٦٧هـ أمر طبعاً بهدم جميع الاستحكامات والموانع لمدينة المنصورة ، ولكنه أيضاً « ردم خنادقها وأنهارها »<sup>(٥٠)</sup>. فنظام الري كان في مد وجزر ، ثم إنه في رأينا تحول عن غايته الزراعية الى غاية عسكرية وفاصل قتالي . بدليل أن صاحب الزنج عندما نزل البطيحة « شق حوله الأنهار وتحصن »<sup>(٥١)</sup>.

## تواريخ تحتاج إلى ضبط

يذكر بوبوفيتش أن الثورة دامت أربع عشرة سنة<sup>(٥٢)</sup>، ربما تعويلاً منه على التقويم الميلادي . من الشائع في المصادر التاريخية أن ثورة الزنج دامت قرابة خمس عشرة سنة ، أو على نحو دقيق ، وحسب التقويم الهجري ، أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام<sup>(٥٣)</sup>. وينفرد ابن تغري بردي بذكر عشرة أيام عوض الستة<sup>(٥٤)</sup>، في حين لا يأتي المسعودي ومؤلف مجهول على ذكر الأيام<sup>(٥٥)</sup>. وذلك أن خروج صاحب الزنج في البصرة<sup>(٥٦)</sup> كان يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة ٢٥٥هـ<sup>(٥٧)</sup>، أو كما ينص البيروني في السادس

(٤٩) الطبري : ج ٩ ص ٥٧٠ ، ٥٧٣ .

(٥٠) ابن كثير : ج ١١ ص ٤٠ و ٤١ .

(٥١) ابن العماد : ج ٢ ص ١٣٩ .

(٥٢) Popovic: p. 181.

(٥٣) الطبري : ج ٩ ص ٦٦٣ - ابن الأثير : م ٧ ص ٤٠٥ - أبو الفداء : ج ٣ ص ٦٧ - ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ص ٢٤٠ - ابن كثير : ج ١١ ص ٤٤ - ابن عنبه : ص ٢٩٢ .

(٥٤) النجوم الزاهرة ، ج ٣ ص ٤٨ .

(٥٥) التنبيه والإشراف ، ص ٣١٩ - العيون والحدائق ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٤ .

(٥٦) جاء لدى ابن عنبه في « عمدة الطالب » أنه خرج في الأهواز ثم جاء البصرة (ص ٢٩٢) ، مما هو غير دقيق ويخالف المصادر التاريخية الشائعة بين أيدينا .

(٥٧) الطبري : ج ٩ ص ٦٦٣ - ابن الأثير : م ٧ ص ٤٠٥ - ابن كثير : ج ١١ ص ٤٤ .

والعشرين من رمضان<sup>(٥٨)</sup>. وإن كان الطبري وابن الأثير يوردان في موضعين آخرين من تاريخيهما أن خروج صاحب الزنج كان في شوال سنة ٢٥٥هـ<sup>(٥٩)</sup>، أو في النصف منه<sup>(٦٠)</sup>! أما مقتل صاحب الزنج فهو يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة ٢٧٠هـ<sup>(٦١)</sup>.

ولم نجد ، حسب علمنا ، من خالف التواريخ الشائعة سوى الحِميري ، فهو يذكر مثلاً أن البصرة سقطت في أيدي الزنج في شوال ٢٥٨هـ ، في حين أن التاريخ الوارد لدى الطبري هو شوال ٢٥٧هـ<sup>(٦٢)</sup>. كما يذكر ، نقلاً عن تاريخ محمد بن سهل حول صاحب الزنج ، وهو ضائع مع الأسف ، أن مقتله كان سنة ٢٧١هـ ، وأن مدة ثورته بلغت ست عشرة سنة<sup>(٦٣)</sup>. كذلك فإن ابن عنبه أيضاً ينص على أن مقتل صاحب الزنج كان في شهر صفر ٢٧٣هـ ، وهذا وهم مؤكد لأنه يذكر ، كما أوردنا سابقاً ، أن مدة ثورة الزنج كانت أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام<sup>(٦٤)</sup>.

## عدد ضحايا الثورة

ويأتي بوبوفيتش على إيراد عدد الذين ذهبوا ضحية أحداث الثورة فيذكر أن التقديرات تتراوح بين نصف مليون ومليونين ونصف<sup>(٦٥)</sup>. غير أن هذا الرقم

(٥٨) الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص ٣٣٢ .

(٥٩) الكامل في التاريخ ، ٧م ص ٢٠٥ .

(٦٠) الطبري : ج ٩ ص ٤١٠ - المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص ٣١٩ - ابن كثير : ج ١١ ص ١٨ .

(٦١) الطبري : ج ٩ ص ٦٥٨ و ٦٥٩ - ابن الأثير : ٧م ص ٤٠٥ - ابن كثير : ج ١١ ص ٤٤ .

(٦٢) تاريخ الطبري ، ج ٩ ص ٤٨١ - ٤٨٧ .

(٦٣) الحِميري : الرّوض المِقطار في خبر الأقطار ، ص ١٠٨ .

(٦٤) عمدة الطالب ، ص ٢٩٢ .

(٦٥) Popovic: p. 181 .



التقديري الأخير الذي يسوقه بوبوفيتش لا يخلو من غلو كبير . فمن الصحيح أننا لا يمكن أن نقطع بأي رقم ثابت أو ترجيحي ، نظراً لأن وسائل العصر الإدارية والتنظيمية لم تكن في مستوى أداء هذه المهمة . كما أنه يخالفنا أن أعوان السلطة العباسية ومؤرخيها الرسميين كانوا مبالغين إلى تضخيم عدد الضحايا ، تنديداً بالثورة ولصغها بالدماء المسفوحة والأرواح المزهقة ، مع تجاهل تام طبعاً لما أقدمت عليه الثورة المضادة من ارتكابات وفظائع ، ولكن الأمر أن بوبوفيتش ، ، مع إقراره بأن الأرقام الواردة في المصادر مبالغ فيها ، باعتبار أنه يأتي بعدها على ملاحظة سلفستردوسي حول هذه المسألة ، غير أنه يطرح رقماً أقصى للقتلى ليس رائجاً في مصادرنا المبذولة ، باستثناء ابن الطقطقي الذي يورد رقم المليونين ونصف<sup>(٦٦)</sup> .

يقول بوبوفيتش إن التقديرات تصل بعدد الضحايا إلى مليونين ونصف من البشر ، من غير أن يشفع هذا الإحصاء بمصادر توثيقية ، في حين أننا لو جُلنا في نظرة فاحصة عبر بعض المصادر لوجدنا أنها ترتفع بعدد القتلى ، وفق رواية الصُولي ، إلى مليون ونصف فقط من الشيوخ والشباب والذكور والإناث<sup>(٦٧)</sup> . ليس من الأجدى أن نقول ، كما نلمح أحياناً في ثنايا مصادرنا ، عندما تعرض لأمر الإحصاءات في الموضوعات الحربية ، من أنه هلك في ثورة الزنج خلق عظيم لا يُحصى ! أو كما جاء عند المسعودي الذي يذهب أن ضحايا ثورة الزنج من الطرفين رجالاً ونساء وصبياناً هم في عداد المليون ، وسواء حصل ذلك من طريق القتل بالسيف أو بواسطة التحريق أو بسبب الغرق أو الجوع . ثم يقول معلّقاً : « وأكثرهم يرى أن ذلك لا يحيط به الإحصاء ، ولا

(٦٦) ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، ص ٢٥١ .

(٦٧) الحضري : زهر الآداب ، ج ١ ص ٢٨٨ - الحضري : جمع الجواهر ، في المُلح والنوادر ،

ص ١٩٠ - ابن تغري بردي : ج ٣ ص ٤٨ - السيوطي : ص ٣٦٤ - ابن العماد : ج ٢

ص ١٥٦ .

يحصره العدد كثرة وعظماً» (٦٨).

إن هناك مثلاً آخر بليغ الدلالة على ما ذهبنا إليه في موضوع المبالغة والتضخيم وإطلاق الخيال الجموح في تعداد الضحايا ، وذلك عندما نتناول بالفحص عدد قتلى مجزرة البصرة . جاء في بعض المصادر أنه قُتل في مدينة البصرة بعد اقتحام الزنج ثلاثمائة ألف إنسان في يوم واحد<sup>(٦٩)</sup> . وصاحب العقل السليم يستفظع الأمر ويستبعده قطعاً ، لأن الوقت المادي ليوم واحد غير كافٍ من الناحية العملية لتصفية هذا العدد الضخم ، دعك من أن عدد سكان البصرة قد لا يحتمل عهدذاك هذا الرقم التصفوي ! ولكن ابن العِمد نفسه الذي أتى على الرقم الخيالي لضحايا البصرة يذكر في موضع آخر متقدم من كتابه « شَذَرَات الذهب » أن عدد قتلى مذبحة البصرة هو اثنا عشر ألف قتيل<sup>(٧٠)</sup> . ولسنا ندافع عن هذا الرقم أو ذاك للضحايا ، لكن المنطق يقودنا تلقائياً الى تبني الرقم الثاني .

ويسعفنا الذَّهبي في هذا الموقف ، إذ إنه يذكر : « ويقال إنهم قتلوا بها اثني عشر ألفاً » . ولكننا نأخذ بتعبير « ويقال » مأخذ التفهيم ، لأن الذَّهبي يأتي في تاريخه على عبارات أخرى تضيء هذا الرقم وتسوّغه وتمنطقه . يقول الذَّهبي عن الزنج : « وفتكوا وفعلوا بالأهواز والأبلة أكثر مما فعلوا بالبصرة » . « وقتلوا بالأبلة نحواً من ثلاثين ألفاً »<sup>(٧١)</sup> . وبهذا يصبح رقم الثلاثمائة ألف موضوعاً أو مخترعاً لخدمة أغراض السلطة أو لمآرب أخرى ، ونحن تعيننا الحقيقة التاريخية وهي مُبتَغانا ومُرتَجانا .

(٦٨) التنبيه والإشراف ، ص ٣١٩ .

(٦٩) ابن تغري بردي : ج ٣ ص ٤٨ - السيوطي : ص ٣٦٤ - ابن العمد : ج ٢ ص ١٥٦ .

(٧٠) ابن العمد : ج ٢ ص ١٣٦ .

(٧١) الذَّهبي : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، مخطوطة دار الكتب المصرية ، رقم ٤٢ تاريخ ، م ١٤ ورقة ٥ (أ) و (ب) .

## المصادر والمراجع للدراسة النقدية

- ١ - اليَعْقُوبِي ( ت ٢٨٤هـ ) : تاريخ اليَعْقُوبِي ( مجلدان ) ، دار صادر - دار بيروت ١٩٦٠ .
- ٢ - الطَّبْرِي ( ت ٣١٠هـ ) : تاريخ الرُّسُل والملوك المعروف بتاريخ الطَّبْرِي ( ١١ جزءاً ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، سلسلة « ذخائر العرب » ( ٣٠ ) ، دار المعارف بمصر ٦٠ - ١٩٦٩ ، ١٩٧٧ .
- ٣ - المسعودي ( ت ٣٤٥هـ ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ( ٧ أجزاء ) ، طبعة بربييه دي مينار وبافييه دي كرتاي ، عُني بتنقيحها وتصحيحها ووضع جزءين من الفهارس العامة : شارل پيلا ، منشورات الجامعة اللبنانية ، قسم الدراسات التاريخية ( ١١ ) ، بيروت ٦٦ - ١٩٧٩ .
- ٤ - المسعودي : التنبيه والإشراف ، تحقيق : عبدالله إسماعيل الصّاوي ، القاهرة ١٩٣٨ .
- ٥ - الأزهرى ( ت ٣٧٠هـ ) : تهذيب اللغة ( ١٥ جزءاً ) ، سلسلة « تراثنا » ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ٦٤ - ١٩٦٧ .
- ٦ - التَّنُوخِي ( ت ٣٨٤هـ ) : نَشْوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ( ٨ أجزاء ) ، تحقيق : عبّود الشالجي ، مطابع دار صادر ، بيروت ٧١ - ١٩٧٣ .

٧ - الحُصْرِي (ت ١٣هـ) : زُهر الآداب وثمر الألباب (جزءان) ،  
تحقيق : علي محمد الجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة  
١٩٥٣ .

٨ - البُيْرُونِي (ت ٤٤٠هـ) : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق :  
إدوار ساشو ، ليزيغ ١٩٢٣ .

٩ - هلال الصّابي (ت ٤٤٨هـ) : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق :  
أمدروز ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٤ .

١٠ - مؤلف مجهول (من القرن الخامس الهجري (؟) ) : العيون والحدائق في  
أخبار الحقائق ، (ج ٤ (٢٥٦ - ٣٥٠هـ) ، قسمان) ، تحقيق : عمر  
السّعيد ، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية ٧٢ - ١٩٧٣ .

١١ - ابن الجَوْزِي (ت ٥٩٧هـ) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (ج ٥ ،  
ق ٢ - ج ١٠) ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ،  
الهند ٥٧ - ١٣٥٩هـ .

١٢ - ياقوت (ت ٦٢٦هـ) : معجم البلدان (٥ مجلدات) ، دار إحياء  
التراث العربي ، بيروت (؟) .

١٣ - ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) : الكامل في التاريخ (١٣ مجلداً) ، دار  
صادر - دار بيروت ٦٥ - ١٩٦٧ .

١٤ - ابن أبي الحديد (ت ٦٥٥هـ) : شرح نهج البلاغة (٢٠ جزءاً) ،  
تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة  
٥٩ - ١٩٦٤ .

١٥ - ابن الطِّفْطَقِي (ت ٧٠٩هـ) : الفخري في الآداب السلطانية والدول  
الإسلامية ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٦ .

١٦ - ابن منظور (ت ٧١١هـ) : لسان العرب (١٥ مجلداً) ، دار صادر ،  
بيروت (؟) .

- ١٧ - أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ) : المختصر في أخبار البشر (٧ أجزاء) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت (٤).
- ١٨ - الذهبي (ت ٧٤٨هـ) : سِيرَ أعلام النبلاء (١٧ جزءاً حتى تاريخه) ، أشرف على تحقيقه : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ٨١-١٩٨٣ .
- ١٩ - الذهبي : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، مخطوطة دار الكتب المصرية ، رقم ٤٢ تاريخ ، م ١٤ . وتاريخ نسخها يعود إلى القرن الثامن الهجري ، وذلك عن نسخة المؤلف .
- ٢٠ - ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ) : تاريخ ابن الوردي (جزءان) ، جمعية المعارف ، القاهرة ١٩٦٨ .
- ٢١ - الصَّفَّدي (ت ٧٦٤هـ) : الوافي بالوفيات ، سلسلة «النشرات الإسلامية» (٦) ، تصدرها جمعية المستشرقين الألمانية ، بيروت ٤٩-١٩٨٤ .
- ٢٢ - ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) : البداية والنهاية في التاريخ (١٤ جزءاً) ، المطبعة السلفية ، مطبعة السعادة ، ومكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٣٢ .
- ٢٣ - ابن خَلْدُون (ت ٨٠٨هـ) : كتاب العِبَر وديوان المبتدا والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون (٧ مجلدات) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ٥٦-١٩٥٩ .
- ٢٤ - ابن عِنبَةَ (ت ٨٢٨هـ) : عُمدَةُ الطالب في أنساب آل أبي طالب ، باعْتناء : محمد حسن آل الطالقاني ، ط ٢ ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف ١٩٦١ .
- ٢٥ - ابن تَغْرِي بَرْدِي (ت ٨٧٤هـ) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١٦ جزءاً) ، سلسلة «تراثنا» ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٦٣-١٩٧٢ .

- ٢٦ - السُّيُوطِي (ت ٩١١هـ) : تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٢ ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٥٩ .
- ٢٧ - ابن العِمَاد (ت ١٠٨٩هـ) : شَذَرَات الذهب في أخبار مَنْ ذهب (٨ أجزاء) ، مكتبة القُدسي ، القاهرة ١٣٥٠هـ .

Theodore Nöldeke: Sketches from Eastern History, Khayats, Beirut — ٢٨  
1963 (reprinted after 1892 edition).

- ٢٩ - فيصل السَّامِر : ثورة الزَّنج ، دار القاريء ، بغداد ١٩٥٤ .
- ٣٠ - أحمد عُليّبي : ثورة الزَّنج ، وقائدها عليّ بن محمد ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١ .

A. Popovic: «Quelques Renseignements Inédits Concernant «Le — ٣١  
Maître des Zang» Ali b. Muhammad», Revue «Arabica» t. 12, fasci-  
cule 2 (1965), p.p. 175-187.

- ٣٢ - عبد الجبَّار ناجي : « صاحب الزَّنج الثائر الشاعر ، مع تحقيق نص الصَّفدي في ثورة الزَّنج » ، مجلة « المورد » (بغداد) م ١ ، ع ٣ و ٤ (١٩٧٢) ، ص ١١ - ٢٣ .

٣٣ - أحمد عُليّبي : الإسلام والمنهج التاريخي ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٥ .

Alexandre Popovic: La Révolte des Esclaves en Irak au IIIe/IXe siècle — ٣٤  
cle, Bibliothèque d'Etudes Islamiques (6), Librairie Orientaliste  
Paul Geuthner, Paris 1976.

## القسم الرابع

# أسود رضي في الجاهلية

## الفصل السابع

### عَنْتَرَة وَعُفْدَة اللّون



لو أن أحدنا أكَبَّ على المصادر مستغرقاً في البحث عن شخصية طالما شغلت خواطر البيئات الشعبية ، وما تزال ، عنيها بها « عنترة الفوارس » ، لخرج بعد جهد وقد للملم قَسَمَات إنْ هو حاول أن يجمعها ، بحيث تستوي إنساناً سوياً ، لأنكر عندها فعلته ولوسوست في نفسه الشكوك ! فعنتر الأسطورة قد طغى على شخص صاحبه الأصيل عنترة التاريخ ، بحيث إننا لو جمعنا الطرفين لجهل أحدهما شخص الآخر وعقد جبينه دَهْشاً !

### « كَرِ وَأَنْتَ حَر »

لن نتحدث الآن عن ذلك الفارس الأفلح الذي ملأ البَيْدَ بحكاية مكرماته وفعاله ومعامعه ، بحيث صار حديث السُّمَار ورفيق لياليهم ، بل إننا سنجنح إلى استقراء معالم هذه الشخصية بنواتها الأصلية « التاريخية » وبفضائلها الكريمة التي أحَبَّها النبي ، حتى أنه ، على كرهه للجاهلية والجاهلين ، قال بعد أن أنشد بيت عنترة :

ولقد أبيتُ على الطوى وأظله  
حتى أنال به كريم المأكَلِ

« ما وُصِف لي أعرابي قطُّ فأحببتُ أن أراه إلا عنترة » .

لم يكن عنترة بن شدّاد « ابن الأطايب » نَسَباً ، فهو لم يكن من نسل « سُمَيَّة » - وقيل : سُهَيْمَة - زوجة أبيه ، فقد دلف الى دنيا الوجود من رَحِم أمة حبشية تدعى « زبيبة » ، سبأها أبوه في إحدى غاراته . وكان من نكد الدهر على هذا الفتى أن جاء ، شأن أمّه ، أسود البَشرة ، فكيف يسامحه الناس وقد خيّم السواد على عقولهم البدوية وانعقدت العنصرية في نفوسهم ؟ فكان أن ساموه الخسف ، وعَيّروه ، وجعلوه هدفاً لسخريتهم . وصرفه أبوه إلى رعاية الإبل ، بحيث يحسن الحِلاب والصرّ ، غير مكترث به ، ولا معترف بأبوتّه له . فأمه في التقسيم الطبقي هي في المرتبة الدنيا ، فهي ليست حرة ، ولا سبيّة موقوفة على رجل واحد ويقرّها المجتمع ويعترف بأبنائها ، وإنما هي أمة . والأمة في ذاك الزمن لم تكن وفقاً على رجل واحد دون غيره ، فهي بالتالي متاع مشاع ، لأن سيّدها قد يستخدمها في مهنة البِغاء لتحصيل المال ! ومن هنا ندرك ، على المستوى الاجتماعي ، نكوص والد عنترة عن الاعتراف به بِيُسْر . فقد نفاه شدّاد أولاً واستعبده ، ثم اضطر على مضض الى الاعتراف به وأدعائه وإلحاقه بنسبه ، على عادة عرب الجاهلية في الاعتراف بأبناء الإماء إذا ظهرت النجاسة عليهم وإلّا ظلّوا في قيود العبودية . وقد كان لأم عنترة ، زبيبة ، أولاد عبيد من غير صُلب شدّاد .

وإذا كان عنترة ( حوالى ٥٢٥ - ٦١٥ م ؟ ) قد عاكسه الزمن بمجتمع بدويّ مغلق العقل والنفس ، فإن هذا الحشد البشريّ إِيّاه كان يعتمد قوة الساعد شريعة له . وإن الروايات التاريخية التي وصلتنا عن عنترة تؤكد بنبرة خاصة على شجاعة هذا الجاهلي وفروسيته . وكانت هذه الفروسية المجال الحيوي الذي أظهر فيه عنترة نجابته ومضاء عزمته وبطش صارمه ، فأعتقه والده ، بخاصة وأن قبيلة عَبَس كانت على خصام دائم مع بني دُبَيّان ، وبينهما نشبت « حرب السِّباق » أو « داحس والغبراء » ، وقد أبلى عنترة خلالها بلاء

مشهوداً . فصار سيد حومة القتال وأعتق رَقَبته بساعده ، إذ استنجدت به قبيلته عند الشدة ، فاستنكف في البداية واعتزل متعللاً بأنه في نظرهم عبد ، والعبد ليس له نصيب في الغنيمة سوى النصف ، فقال له أبوه : « كُرْ وأنت حر » .

وهذه الشجاعة لدى عنترة تتبدى في معلّقه عَبْرَ نَفْسٍ ملحميٍّ يعوّل على الوصف دون القصّ ، واللمحة الخاطفة دون الإطالة والتفصيل . فما يكاد عنترة يشرع في الوصف حتى يقطعه ، وهو ينتقل من جزء إلى آخر في اللوحة نفسها دون تمهيد . وهذا التفكك الذي لحق بالوحدة الفنية البنائية أضعف من الأثر الملحمي لشعر عنترة ، وإنْ كانت الوحدة الشعرية متوافرة تقوم بدور اللُحمة . أضف الى ذلك أن الذاتية الجاهلية لا تتوارى بل هي الطابع الغالب على أبيات المعلقة ، فعترة لا ينفك يقول :

وحليل غانية تركتُ مُجَدَّلاً	تمكو فريضته كَشِدْقِ الأَعلَمِ ...
جادت له كَفَيَّ بعاجل طعنة	بمَثَقَفِ صَدَقِ الكُعُوبِ مُقَوِّمِ
فشككت بالرُّمَحِ الأصمَّ ثيابه	ليس الكريم على القنا بمَحْرَمِ ...
فطعنته بالرُّمَحِ ثم علوته	بمَهْنَدِ صافي الحديدَةِ مَحْذَمِ .

ولقد ارتفع الشاعر في تعاطفه مع جواده الى قَمّة وجدانية رائعة . إن الجواد يشكو ، على نحو حنون ، من آلامه وجراحه ودمائه النازفة . لكنه ينجل من الشكوى ويخشى إحراج فارسه ، وهو في المأزق الصعب ، وقد أَلِفَ منه عندها الشدة والهول . لقد غدا الجواد عنترة حضور إنساني ، ولا عجب أن يستغل الرواة هذه الناحية في « سيرة عنتر » لجمالها الفني :

فازورّ من وقع القنا بلبّانه	وشكا إليّ بعبرة وتحمّم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى	ولكان لو علم الكلام مُكَلِّمِي .

هذا المحارب الضروس لم يكن، كما شاءت له الأسطورة، عريض المنكبين، متورّد الخدين، جَهِمَ القَسَمات كأنه ليل مدلهَم. فإن شِعْر عنترة يعطينا صورة رقيقة، فيها الشفوف والإنسانية. فعنترة كان نحيل الجسم، بحيث بدت العروق في ظاهر كَفِّه. وكان أيضاً شاحب اللون كالمُنْصَل، شأنه في هذا شأن معظم البدو على ما نعتقد. ومع أن عنترة كان من طلاب الهوى إلا أنه لم « يتأنق »، ولم يسعَ للظهور أمام ابنة عمه التي شُغِف بها بلباس الفتى المتطَيَّب المصفَّف الشَّعر. فهو يتسربل بسربال بالٍ، ويظل متبذّل الهندام، مشعّت الهام. إنه رجل المعارك يسعى إلى غمرات السيوف اللوامع. وهذه الملامح أثبتتها عنترة لنفسه، فهو قد ترجم حاله حين قال من قصيدة:

عَجِبْتُ عُيْلَةً مِنْ فَتًى مَبْذُلٍ	عاري الأشاجع شاحب كالمُنْصَلِ
شَعْبُ الْمَفَارِقِ مُنْهَجٍ سِرْبَالُهُ	لم يَدَّهِنْ حَوَلاً ولم يترجل
لا يكتسي إلا الحديد إذا اكتسى	وكذاك كلُّ مغاورٍ مُستبسل
قد طالما لبَسَ الحديدَ، فأعما	صدأ الحديد بجلده لم يُغسل
فتضاحكت عَجَباً وقالت: يا فتى	لا خيرَ فيك، كأنها لم تحفل
فعجبتُ منها كيف زَلَّتْ عَيْنُهَا	عن ماجدٍ طَلَّقَ اليدينِ شمرَدَل ..
يا عبلُ كم من غمرةٍ باشرتها	بالنفسِ ما كادت لعمرِكَ تنجلي
فيها لوامعٌ لو شهدتِ زُهاءَها	لسلوتِ بعد تحضُّبٍ وتكثُّلِ
أما تَرَيْنِي قد نَحَلْتُ وَمَنْ يَكُنْ	غرضاً لأطرافِ الأُسنةِ ينحلِّ

### « تكتيك » عنترة العربي

تحاول السيرة العنترية أن تجمع الفضائل كلها في شخص صاحبها، ولكن الروايات التاريخية التي وصلتنا تؤكد بشكل خاص على بسالة هذا الجاهلي الذي

عاش معظم القرن السادس الميلادي وتوفي في مطالع السابع . فعترة ، كما يُروى عن عمرو بن معدِيكْرِب ، « قليل الكبوة ، شديد الجَلْب » . والرواية التي أوردها عمر بن شُبَّة توضح بجلاء مزية عنترة بين قومه العبسيين . قال صاحب « الجمهرة » :

« قال عمر بن الخطاب للحُطَيْئة : كيف كنتم في حربكم ؟

قال : كنّا ألف فارس حازم .

قال : وكيف يكون ذلك ؟

قال : كان قيس بن زهير فينا وكان حازماً ، فكنا لا نعصيه . وكان فارسنا عترة ، فكنا نحمل إذا حمل ونُحجم إذا أحجم . وكان فينا الربيع بن زياد وكان ذا رأي ، فكنا نستشيرُه ولا نخالفه . وكان فينا عُروة بن الورد ، فكنا نأتمّ بشعره . فكنا كما وصفت لك .

فقال عمر : صدقت » .

هذه الرواية ترشح بغير معنى في صالح فارسنا الصّنديد . ففيها اعتراف صريح بأن عترة فرد من أفراد القبيلة ، أي أنه حر وليس عبداً . وفيها أيضاً أن عترة فارس بني عبس تُغير إذا أشار ، وتنكص إذا أمر . ومَنْ يحمل ريادة الحرب في مجتمع بدوي لا يستهان بشأنه ، فالرياسة ليست وراثية وإنما هي لكل ضرغام عتريس نافذ القول واليد . ويُذكر عترة ، في الرواية المتقدمة ، باسمه مفرداً ، في حين يُذكر الباقر مع تعريف آبائهم . فاسم عترة غدا لشهرته علماً على الفروسية ، ولربما صحّ الاعتقاد أن هذا لقبه لا اسمه الذي قد يكون أمسى بعدها منسياً ، وكم من كبير في العربية غلب لقبه على اسمه . وإذا ما تبصّرنا بواقع الفروسية وجلالها في المجتمع الجاهلي أدركنا الطاقة الموحية التي شُحنت بها كلمة « فارسنا » ، وعلمنا المكانة التي بلغها عترة بين

قومه ، وهم من هم في دنيا الحرب والشكيمة بحيث عُذّوا إحدى جمرات العرب ، لأنهم كانوا بسبب منعتهم في غنى عن محالفة غيرهم من القبائل .

وإذا كان العبيّون قد مَشَوْا على خطى فارسهم عترة فكانوا يحملون إذا حمل ويحجمون إذا أحجم ، لئن فعلوا ذلك لقد أصابوا ، لأن عترة كان يتبع خطة حربية و « تكتيكاً » بارعاً .

وتبدو خطوط هذا التكتيك من قول جاء على لسان الهيثم بن عدي :

« قيل لعترة : أنت أشجع العرب وأشدّها ؟

قال : لا .

قيل : فماذا شاع لك هذا في الناس ؟

قال : كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزمًا وأحجم إذا رأيت الإحجام حزمًا ، ولا أدخل إلا موضعاً أرى لي منه مخرجاً . وكنت أعتد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأنني عليه فأقتله » .

ولقد تعددت ألقاب عترة . فهو « عترة الفلحاء » ، لأنه كان مشقوق الشفة السفلى أو كليتيهما . وكُنِيَ بـ « أبي المغلس » ، لأن الغلس كان شاهداً على غزواته وغاراته ، وهو الذي استنقذ حريته بكّد ساعده وفرض نفسه على قبيلته ، فتحول من راعٍ للغنم الى فارس ذي صولة . وعترة ، مُعْجِماً ، واحدة الذباب الأزرق ، غير أن فارسنا كتب ببسالته حياة جديدة لهذه الكلمة ، فصارت العترة هي الشجاعة في الحرب . ولقد عدّوه من « أغربة العرب » لسواد بشرته ، بيد أن عترة خيَّب منهم الظنون إذ أرادوه غراباً فكان صقر بني عبس .

ولا يداخلنا ريب أن سواد عنترة أفضّ مضجعه ونغص عيشه ، و « سَوْد » صفحته أمام معدّته عبله . فهو يحمل قلباً رقيقاً أبيض ، ولكن بشرته سوداء . وهذا يكفي ، حتى يومنا هذا ، ليسمّيه الناس « عبداً » . فتعبير العبيد يُطلقُ بخاصة على السُود ، في حين أن الشائع في المصادر القديمة من تعابير هو: الأرقاء والمماليك . وعلى شاكلة الأمم العتيقة عرف العرب في جاهليتهم الرقيق واستخدموه في المهن الشاقة أو الأعمال الوضيعة . فليس أسلافنا ، برغم ما نقرأ عنهم هنا وهناك من لفتات وأريحية ، يخرجون عن نطاق غرائز البشر وأشكال نفعتهم في مرحلة معيّنة من التاريخ . وكان في الدرك الأسفل للأرقاء السُود منهم ، فقد جنى عليهم لون بشرتهم بحيث شاع عنهم اسم الأغرّة !

وعنترة هو ابن زبيبة ، الأمة الحبشية السوداء . وكان وضع الإماء مزرياً في البيئة العربية ، فهنّ يختلفن عن السبايا لأن هؤلاء عربيات يؤخذن قسراً في الحروب والغارات ، في حين أن الإماء كنّ موضع بيع وشراء . وبالتالي فقد خضعن لأسيادهنّ خضوعاً مذللاً شاملاً . وترتب على هذا أن الإماء عملن في المهن التي تتطلب الكدح كالرعي والطهو ، أو الترفيه شأن الغناء فعُرفن بالقيان ، وتعاطي البغاء آناء الليل بحيث دُعِين المظلمات . وتكاد تكون الأمة سُبّة وعاراً ، وكانت نظرة المجتمع إليها محمّلة بالاحتقار . ومن وصايا الحكميم أكثم بن صيفي الى بنيهِ : « ولا تُفشوا سرّاً إلى أمة » .

وكانت الإماء السوداوات مرغوبات مشتهات ، وكان منهنّ القيان كما ذكرنا ، وكان الغناء في مطلع أمره مقصوداً عليهنّ . وقد عقد النوري في « نهاية الأرب » فصلاً خاصاً حول ما قاله الشعراء تغنياً وتولهاً بالمرأة السوداء ! على أن الحبشيات منهنّ لم يكنّ يصلحن للغناء والرقص ، وكيف ذلك وقد

شاع عنهم الترهّل ، على أنه كانت سِمَتُهُنَّ النعومة في الجسد واللين والضعف . وإذا ما كان عنترة بن شدّاد ابن زُبَيْبة - مع اختلاف الروايات حول « شدّاد » أهو اسم أبيه أم جدّه - فهو في مجيئه لهذه الدنيا لأب عربيّ حرّ قد خرق القاعدة الطبقيّة العنصريّة التي كانت تهيمن على المجتمع الجاهليّ في شريحته السائدة الحاكمة . فالعربيّ ، المعتدّ بنسبه كل الاعتداد في ذاك المجتمع الجاهليّ ، لا يميّز لنفسه أن يقترن بالإماء ، وإنما بغيته الحرائر اللواتي يلدن له الأبناء الصّرحاء ، وليس الهُجَناء كما هو الحال مع الإماء . وأبناء السّوداوات منهم في وضع أدنى ومنزلة أحرّ .

## الإسلام واللون

لسنا في معرض ما أحدث الإسلام من تبديل جذريّ هام حيال الأنساب والألوان والأجناس ، فعنترة صورة جاهليّة ونحن ندرس قضية سواده في إطارها التاريخي والمجتمعي . فإذا كان قيس بن زهير ، ملك عَبَس ، قال حسداً وتحقيراً لعنترة عندما حمى قومه وقد طلبتهم بنو تميم : « والله ما حمى الناس إلا ابنُ السّوداء » ، فإن ثابت بن قيس بن شَماش الأنصاريّ عندما عبّر عمر بن الخطّاب بقوله : « يا ابن السّوداء » جاءت الآية الكريمة تردّ على هذا التعبير : « يا أيها الذين آمنوا ، لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم » . ولن نسترسل في عرض موقف الإسلام من اللون والجنس لئلا نخرج عمّا نحن بصده ، لكننا نقتصر على إيراد حديث للنبيّ جاء في سُنَن أبي داود : « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحَزَن والحبيث والطيب » . يكفي أن نذكر أن المفكرين المسلمين ، نظير الجاحظ وإخوان الصفا وابن سينا ، لم يردّوا سبب السّواد عند بعض الشعوب الى مفاعيل لعنة أسطورية تعود الى نوح على ابنه حام ، بل إنهم فسّروا السّواد في



ضوء ظروف المناخ والماء والطبيعة وحر الشمس .

وما كان لعنترة ، العبد الذي ولدته أمة حبشية في مجتمع بدوي جاهلي ، أن يطمح آنذاك الى ما تمكّن عبد حبشي أن يحرزه في الإسلام ، عنيّا بلال بن رباح . بلال الحبشي ذو الأَبوين الأسودين بادر أبو بكر الى تحريره ، وغدا أحد كبار الصحابة ، وقد زوّجه النبي بعريضة من بني ليث الذين اشتهروا بالفروسية . لكن هذا الأمر الذي صار ممكناً في ظلال الإسلام وهو في أوج صفائه ورونقه ، ما كان بمقدور عنترة أن يستمكن منه في كنف الجاهلية الجهلاء . وقد اشتهر بلال بأنه مؤذن الرسول ، مع العلم أنه كان أثلغ . وعندما صعد فوق الكعبة لياشر الأذان بأمر من النبي ولغاية تطلّع اليها صاحب الرسالة ، هاجت قريش وماجت إذ كيف يجرؤ أسود على الصعود إليها ! فكانت هذه الحادثة هي المناسبة للحديث النبوي الشهير الذي ورد في بعض المصادر على الشكل التالي : « لا فضل لعربيّ على أعجميّ ولا لأبيض على أسودٍ إلا بالتقوى » .

## انتصار على العنصرية

كان عنترة أسيراً للونه الأسود الذي لا سبيل الى تغطيته أو تجاوز « لعنته » ! فهو لم يكن « كريم الخال » على حدّ تعبير المجتمع الجاهلي ، لهذا نجد أن واقع الأنساب ، وهو واقع « طبقيّ » عند التحليل ، كان يحفر أخاديد عذاب في نفس عنترة . لذا نراه يندد في شعره بالمحاربين في القبيلة الذين لم يُغنهم كرم أعمامهم وأخوالهم عن التراجع ، في حين مضى هو متقدماً فكان خيراً من هؤلاء ذوي الأنساب والأجماد :

شطري ، وأحمي سائري بالمتّصل ...  
أفيت خيراً من مُعمّ تحوّل .

إني امرؤ من خير عبسٍ منصباً  
وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت

على أنه كان لموضوع نَسَبِ عنترة وسواده الفاحم ردةً إيجابية في نفسه ، فإنه لم يتهالك ويتهافت بل نَهَّدَ الى المعالي وإثبات الذات في مجتمع لا يرحم . إن مأساته كانت دافعاً ملهماً لشاعريته وفروسيته . إن مأساة عنترة صفقة في وجه التعصب العنصري الجاهلي وانتصار عليه . إن شعره بمثابة دفاع شخصي عن قضية خاصة وعامة أيضاً ، لذا حفل بالعواطف الذاتية والمشاعر الفردية . فعنترة يحاول أن يقتلع الوهم الخاطيء والأباطيل الاجتماعية عن طريق مآثر بطولته التي أقرَّ بها الجميع . لهذا كان يصف المعارك ويستخلص دوره فيها ، مظهراً تهاون أبناء قبيلته ، بخلاف ما عرفنا عن التعصب القبلي ، ومؤكداً على حاجة القوم الى سيفه وساعده . إن شعوراً مريراً لَيُبْهَظ روح عنترة بوطأته ، وهو يعبر عنه خلال معلّته في قالب سادج يفرّج فيه عن السُّقْم الذي يعسّ في صدره :

لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَعُهُمْ      يَتَذَامِرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمِّمٍ ...  
ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها      قيلُ الفوارس: ويكُ عنتراً أقدم .

## قيم المجتمع البدوي

« الهوى غلاب » — كما تشدو من قلب مقروح فقيده الغناء العربي وسيدته — لذا كثيراً ما يكشف الحب ضعف الإنسان . غير أن عنترة في مجتمع يستهتر بأمثاله من العبيد السود كان يُعَوِّزه سند يسدّ الخلل في نسبه المثلوم . وما دام هناك مراتب و« طبقات » فحكاية الأنساب واردة مستفحلة تنفخ صاحبها بالأورام والأوهام . وليقنع عبلة كان عنترة بحاجة ملحاح إلى إظهار رجولته ليرأب الخلل الحاصل في نسبه ، لهذا تزخر معلّته بالقيّم الكبرى التي لها جلالها في مجتمع بدوي ، شأن الشجاعة والنجدة والكرم والعفة . . . وقد ارتفعت هذه الخصال لدى عنترة الى مستوى المثال ، وإنّ مبالغته فيها ناتجة عن

تأجج العاطفة وهَوَس العِشْق ، كما أن البيئة الجاهلية التي يقارعها فارسنا كانت ترى في هذه القيم صورتها الأخلاقية المثلى . وفي هذه المفاخر كلها كان عنترة ، كما يقول طه حسين ، فهو إذا فخر لا يفخر على صاحبه ، وإنما يفخر لها .

إن تأكيد عنترة على بطولته يبدو تعويضاً لمركب نقص عانى منه في حياته الأمرين . وكأنني به في تعاطيه الخمرة وبذل الدنانير لأجلها والتفاخر بها إنما ينحو منحى السادة المترفين ليحقق ذاته ، وليؤكد على تساويه بالآخرين من زعماء عبس ، إذ العهد بالعرب عهدذاك أنهم يفاخرون بتعاطي الشراب والميسر لأنها دليل بذل وجود :

ولقد شربتُ من المدامة بعدما	ركد الهواجر بالمُشوف المُعَلِّم
بزجاجة صفراء ذاتِ أسيرةٍ	قُرنت بأزهرَ في الشمال مُفَدِّم
فإذا شربتُ فإنني مستهلك	مالي وعِرْضي وافر لم يُكَلِّم
وإذا صحتُ فما أقصر عن نديٍّ	وكما علمتِ شمائلي وتكرمي .

لقد « تجرأ » عنترة وأحبَّ عبلة ، فأنكر عليه القوم ذلك ، ولعبوا برأس ابنة عمه مالك ، وسَعَوْا حثيثاً لتزويجها بسواه ، ثم أبعدوها عن ناظره . وكان هذا الحب وما ابتعثه في نفس عنترة مهمازاً لفروسيته وشاعريته ، كما يتضح من معلّقة الشهيرة التي نظمها في أحوال نفسه التي اختُصرت في حبه الملوِّع لعبلة . وهو يعرض خلالها مآتيه الحربية ولوحات من بطولته ليقنع محبوبته بمكانته ، وهذا النوع من الفخر ندعوه الحماسة . ويقول رواة شعره إنه كان في مجلس فتعرّض له أحد الحاضرين وسَفَّه لونه وأصله ، فأجابه عنترة مفاخراً بفروسيته وتاريخه الحافل . فقال له الرجل : « أنا أشعر منك » ، فردَّ عليه عنترة : « ستعلم ذلك » ، فكانت المعلّقة . وفي هذا الأثر الأدبي الجميل يبدو عنترة هذا الفارس الذي يذوب رقة وعاطفة ودَفْقاً وجدانياً عندما يتحدث الى عبلة . وقد صحَّ في غزله أنه الغزل الحماسي أو غزل الفرسان . فقائله فارس

عاشق ، وعاطفته تتميز بالصدق، فهي جياشة مضطربة تنبع من نفس متألمة تنافح عن قضية نبيلة .

## لعنة اللون

لا ريب أن مشكلة اللون كانت مخزراً يأكل من لحم عنترة ويذكره دائماً بوضعه البدوي . ولهذا كان السّواد والعبودية هاجساً يستبد بفارسنا وعُقدة نفسية تتردد أصداؤها في روحه بلا موارد . وكأن عنترة لا يتلجلج من ذكرها صراحة من باب الخلاص منها ، وذلك بإيراد تجليات بطولته التي ينبغي في نظره ، وبالتالي في نظر المجتمع البدوي الذي يقدرها عالياً ، أن تمحو مأخذ القوم حياله . إن المختارات التي سنأتي عليها وردت في شعر عنترة المشكوك في نسبته إليه ، وهو شكٌ نوافق عليه ونأخذ به ، لأن صياغتها الشعرية لا تتفق مع أسلوب عنترة الراقي وفق ما جاءنا في معلقته ، كما أنها تتناول أحياناً معاني وأحداثاً لم تكن شائعة في حياة عنترة وإنما رافقت سيرته الموضوعية . ولئن أوردنا هذه الشواهد فلأنها تعبّر عن مشاعر لعنترة كان من الطبيعي والتلقائي أن تتجاوب في حناياه الطعينة .

يقول عنترة أو من وضع الشعر على لسانه ونحله إياه :

وما ردّ الأعنة غير عبدٍ      ونارُ الحرب تشتعل اشتعالا .

ويقول في قصيدة أخرى من ديوانه :

وأنا الأسود والعبدُ الذي      يقصد الخيل إذا النقع ارتفع  
نسبتي سيفي ورُمحي ، وهما      يؤنساني كلما اشتد الفزع .

ويقول في موضع آخر وكأنه يردّ عليهم بالطريقة نفسها التي يعيرونه بها ، وهو — حسب تعبيرنا الحديث — يرمي الكرة في مرماهم :

يَعْيُونَ لَوْنِي بِالسَّوَادِ وَإِنَّمَا فِعَالُهُمْ بِالْخَبْثِ أَسْوَدُ مِنْ جِلْدِي .  
أَوْ كَمَا قَالَ ، وَكَأَنَّهُ يَرُدُّ عَلَى الشَّتِيْمَةِ بِأُخْرَى أَشَدَّ نُكْرًا :

وَمَنْ قَالَ إِنِّي أَسْوَدُ لِيَعْيِبَنِي أُرِيهِ بِفِعْلِي أَنَّهُ أَكْذَبُ النَّاسِ .

ثم إن السَّوَادَ هُوَ صِفَةُ الْمِسْكِ الَّذِي يَتَغَيَّبُ بِهِ هَؤُلَاءِ النَّاسِ ، وَإِذَا كَانَ  
عَنْتَرَةً قَدْ وَرِثَ السَّوَادَ وَلَا حِيلَةَ لَهُ فِيهِ فَإِنَّهُ يَحْمَلُ تَحْتَ إِهَابِهِ طُهْرًا وَبَيَاضًا  
وإنساناً رِيبَ الصَّحْرَاءِ يَتَمَيِّزُ بِالْفُضَيْلَةِ وَالصَّرَاحَةِ وَالنِّقَاءِ :

لِثْنِ أَكْ أَسْوَدًا فَالْمِسْكُ لَوْنِي وَمَا لِسَوَادٍ جِلْدِي مِنْ دَوَاءٍ  
وَلَكِنْ تَبْعُدُ الْفَحْشَاءُ عَنِّي كَبُعْدِ الْأَرْضِ عَنْ جَوْ السَّمَاءِ .

لَقَدْ حَسَمَ عَنْتَرَةَ أَمْرَهُ لِيَقْطَعَ عُقْدَةَ اللَّوْنِ ، وَكَأَنَّهَا الْعُقْدَةُ الَّتِي يُقَالُ إِنَّ  
الإِسْكَندَرَ حَلَّ أَمْرَهَا فَانْفَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ آسِيَا . فَقَدْ اتَّخَذَ فَارَسُنَا مِنْ سَوَادِهِ  
نَسَبًا يَعْتَزُّ بِهِ ، صَنَعَهُ بِسَاعِدِيهِ عَوْضًا عَنْ نَسَبِ مَوْرُوثٍ يَفَاخِرُ بِهِ الْقَوْمُ وَلَا  
فَضْلَ لَهُمْ فِيهِ :

لِثْنِ يَعْيِيوَا سَوَادِي فَهُوَ لِي نَسَبٌ يَوْمَ الْبَزَالِ إِذَا مَا فَاتَنِي النَّسَبُ .

وَمَذَقَ عَنْتَرَةَ لِنَفْسِهِ هَذَا « النَّسَبَ » الْعَظِيمَ الْمَكْتَسَبَ ، فَقَدْ نَفَضَ  
هَاجِسَ اللَّوْنِ وَشِنْشِنَةَ « زَبِيْبَةِ » أُمِّهِ يَرُدُّوْنَهَا عَلَى مَسَامَعِهِ لِيَغِيْظُوْهُ وَيُؤْزِرُوْا  
الْحَزْنَ فِي قِرَارَةِ رُوحِهِ :

مَا سَاءَنِي لَوْنِي وَإِسْمُ زَبِيْبَةٍ إِذْ قَصَّرتُ عَنْ هَمَّتِي أَعْدَائِي  
فَلِثْنِ بَقِيَتْ لِأَصْنَعَنَّ عَجَائِبًا وَلَأُبْكِمَنَّ بِلَاغَةَ الْفُصَحَاءِ .

## بَيْنَ التَّارِيخِ وَالْأَسْطُورَةِ

عَشِقَ عَنْتَرَةُ عِبِلَةَ ، لَكِنَّمَا كَانَتْ طَيِّفًا شَعْرِيًّا جَمِيْلًا غَذِيًّا . أَبْيَاتُهُ بِالْعَاطِفَةِ

والجمال ، ولم تستحل إلى واقع مُعاش . وبلغ عنترة من الشهرة بحيث إن إحدى نساء كِنْدَةَ عرضت عليه أن تزوجه مَنْ يشاء من بناتها ، لكن فارس البوادي كان قلبه عالقاً ، فهو يستلذ العذاب ولا سبيل معه إلى النصح :

لو كان قلبي معي ما اخترتُ غيركمُ      ولا رضيت سواكم في الهوى بدلاً  
لكنه راغب في مَنْ يعذِّبه      فليس يقبل لا لوماً ولا عذلاً .

وتزوج بعدها عنترة بامرأة من بُجيلة ولم يترك عَقِباً . وقد مات بعد أن عمّر وشارف التسعين . وسواء قتله مَنْ كان يُلقَّب بالأسد الرهيص النُّبْهاني فرماه لأنه ساق منهم طريدة ، أو فتك به أحد أبناء طيء . لِكِبْرِهِ وعجزه عن المقاومة ، أو اجتاحتها ريحٌ صيفٍ عصوف وهو يسعى لردِّ جَمَلٍ له عند رجل من غطفان ، فإن هذا الفارس المتألق تجاوز الواقع ليمرُق إلى رحاب الأسطورة ويتعامل مع خوارقها ، وذلك على صفحات « السيرة » التي استلهمت بطولته وتسامت بها إلى حد الخيال المجنَّح الهيمان .

وينبغي دائماً ، في مجال الدراسة ، أن نُميِّز بين العنترين : عنترة التاريخ وعنتر الأسطورة ، وإن كان الثاني قد طغى على الأول وتربّع سيداً في رحاب الأدب الشعبي ، بحيث أنكر بعض الباحثين ، شأن طه حسين في حديث أربعائه ، وجود شخصيته الأولى الواقعية ، إن هي ، في نظرهم ، إلا أسطورة ومُشْجَبٌ للشعر المنحول . ولقد كان الجاحظ بفطنته سباقاً في كتابه « الحيوان » حيث رأى أنه يجب تنحية الكثير من حياة عنترة وشعره لاستخلاص عنترة الإنسان من شِباك الأسطورة .

ونحن نميل إلى أن اسم فارسنا الحقيقي هو « عنترة » ، كما هو متواتر في المصادر . ولئن ورد هذا الاسم بدون تاء في شعر عنترة نفسه ، كما مرَّ بنا في شاهدين سابقين : « يدعون عنترَ والرماح كأنها » ، « قيلُ الفوارس : ويكُ

عنترَ أقدمِ » ، فهذا ترخيم مع إبقاء الفتح فوق حرف الراء . لأن الراء ههنا ليست بحرف الإعراب ، فالأجود في رأي أبي جعفر النحاس ( ت ٣٣٨ هـ ) أن تظل على ما كانت عليه . أما صاحب السيرة الشعبية بلا خلاف ، وكما هو شائع في الأوساط وذائع على الألسن ، فهو « عنتر » .

## المصادر والمراجع

- ١ - أبو جعفر النحاس : شرح القصائد التسع المشهورات ، القسم الثاني ، تحقيق : أحمد خطاب ، سلسلة « كتب التراث » (٢٣) ، وزارة الإعلام ، الجمهورية العراقية ١٩٧٣ .
- ٢ - أبو عبدالله الزُّوزَنِي : شرح المعلقات السبع ، ط ٢ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٥٠ .
- ٣ - ديوان عنترة : بعناية : كرم البستاني ، دار صادر - دار بيروت ١٩٥٨ .
- ٤ - أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ، ج ٨ ص ٢٣٧ - ٢٤٦ ، سلسلة « تراثنا » ، مصوّر عن طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ١٩٦٣ .
- ٥ - طه حسين : حديث الأربعاء ، « ساعة مع عنترة » ، ج ١ ص ١٧٨ - ١٨٩ ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٣٧ .
- ٦ - أديب فرحات : عنترة العبّسي ، سلسلة « الطرائف في الأدب العربي » (١) ، منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها ، بيروت ١٩٥٠ .
- ٧ - حسن عبدالله القرشي : فارس بني عبس ، سلسلة « مكتبة الدراسات الأدبية » ، دار المعارف بمصر ١٩٥٧ .



- ٨ - عبده بدوي : الشعراء السُّود ، وخصائصهم في الشعر العربي ، سلسلة « المكتبة العربية » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ .
- ٩ - عبده بدوي : السُّود والحضارة العربية ، سلسلة « المكتبة العربية » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ .
- ١٠ - جرنوت روتّر : « هل كانت هناك مشكلة عنصرية في الإسلام ؟ » ، محاضرة ألقاها المستشرق الألماني في المركز الإسلامي ببيروت ، وذلك بتاريخ ١٠/١٠/١٩٧٩ .

فہرست الاعمال

## ( أ )

إبن آدم (\*) : ١١٤ (ح) ، ١٢٥ ،  
محمد أبو الفضل إبراهيم : ٢١ ، ٢٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ،  
١٦١ ، ١٦٢

إبن الأثير : ١٣ ، ١٣ (ح) ، ١٤ (ح) ، ١٩ (ح) ، ٢٢ ، ٧٣ (ح) ، ٧٥ (ح) ، ٧٦ (ح) ،  
٨٥ (ح) ، ٨٦ (ح) ، ٨٨ (ح) ، ٩٢ ، ١٤٠ (ح) ، ١٥٤ (ح) ، ١٥٥ (ح) ،  
١٥٧ (ح) ، ١٥٨ (ح) ، ١٥٨ (ح) ، ١٦٢ (ح)

الأخوص : ٧٦ (ح)

إخوان الصفا : ١٧٦

شعيب الأرناؤوط : ٢٢ ، ٦٧ ، ٩٣ ، ١٦٣

أحمد بن يوسف الأزرق : ٨١

(\*) ذكرنا أسماء العَلَم بإيراد الاسم الأول ثم اسم العائلة بالتتابع ، ولم نعتمد إلى قلبهما كما هو دارج في اللغات الأجنبية ، لاعتقادنا أن هذا القلب يبدو مصطنعاً وغير مستساغ عندنا . وراعينا في ترتيب الأعلام الشدة عند ورودها فوق الحرف الأول من اسم العائلة بعد آل التعريف ، لأن هذا يتفق واللفظ المنطوق . وعندما يرد اسم العَلَم في الحاشية جعلنا رقم الصفحة مرفقاً بحرف (ح) تمييزاً له من المتن . كذلك لم نأخذ في الحسبان ما سبق اسم العائلة من زيادات نحو : « ابن » ، « أبو » ، « أو » آل » ، « أو آل التعريف ، أو الكلمات الأجنبية شأن « دو » ، « دي » ، « فون » .

نافع بن الأزرق : ٥٥  
 يحيى بن محمد الأزرق : ٥٣ ، ٥٤  
 الأزهرى : ١٥٤ (ح) ، ١٦١  
 الأسد الرهيص النّهاني : ١٨٢  
 أبوبكر محمد الأسدي : ٨١  
 محمد بن حكيم الأسدي : ١٩ (ح)  
 الإسكندر : ١٨١  
 نادر الأسود : ١٧  
 إبراهيم بن الأشتر : ٥٢  
 أبو موسى الأشعري : ٥٦  
 أشناس : ١٠٩  
 أبو الفرج الأصبهاني : ١٠٨ (ح) ، ١٠٩ (ح) ، ١٢٦ ، ١٨٤  
 حمزة بن الحسن الأصبهاني : ١٢ ، ١٢ (ح) ، ٢١ ، ٧٦ (ح) ، ٩٠  
 محمد حسين الأعرجي : ٧٤ ، ٧٤ (ح) ، ٩٠  
 جمال الدين الأفغاني : ١٠٣ ، ١٣٣ (ح)  
 أكثم بن صيفي : ١٧٥  
 أمدروز : ١٦٢  
 قاسم أمين : ١٠٣  
 أنكلاي ( محمد ابن صاحب الزنج ) : ١٧ ، ١٩  
 إيتاخ : ١٠٩

## ( ب )

بابك الخرمي : ١٨  
 باسيل الأول : ١٣٩ (ح)  
 علي محمد البجاوي : ٦٦ ، ٩١ ، ١٢٦ ، ١٦٢  
 محمد بن فتح الله بدران : ٦٦  
 عبده بدوي : ١٨٥  
 كارل بروكلمان : ٧٧ (ح) ، ٩٥

جان - پول بريسون : ٤٥ (ح)، ٤٩ (ح)، ٦٤، ٦٤ (ح)، ٦٧

كرم البستاني : ١٨٤

إبن بَسَام الشُّتْرِينِي : ٧٦ (ح)

علي بن محمد ابن بَسَام : ٧٥، ٧٥ (ح)، ٧٦، ٧٦ (ح)، ٧٧

معين بيسو : ١٠٥

بُغا : ٢٨، ١٠٧، ١٠٩

الخطيب البغدادي : ٧٦ (ح)، ٨٠ (ح)، ٨١ (ح)، ٩١

عبدالقاهر البغدادي : ٤٧ (ح)، ٥١ (ح)، ٥٢ (ح)، ٦٦، ١٣٧ (ح)

بُغْراج : ١٢١

أبو بكر : ٥٥، ٥٦ (ح)، ١٧٧

البكري : ٧٣ (ح)، ٩١

كامل كامل بكري : ٩٤

البلاذري : ٣٣، ٣٩ (ح)

بلال بن رباح : ١٧٧

شارل پَلا : ٦٥، ٩٠، ١٢٥، ١٦١

ألكسندر بوبوفيتش : ٣٩ (ح)، ٤٠ (ح)، ٧٨ (ح)، ٩٥، ١٢٩، ١٤٣، ١٤٥،

١٤٦، ١٤٦ (ح)، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٤٩ (ح)، ١٥٠ (ح)، ١٥٦،

١٥٧، ١٥٧ (ح)، ١٥٨، ١٥٨ (ح)، ١٥٩، ١٦٤

هربرت بُوَيْسَه : ١٣٧ (ح)

پوشكين : ١٢

فرنسوا بوقيه : ١٣٩ (ح)

السَّيْرُونِي : ٧٦ (ح)، ٧٩، ٨٠ (ح)، ٩١، ١١٧ (ح)، ١١٩، ١٢٦، ١٥٧،

١٦٢

## ( ت )

التَّوْخِي : ١٥٥ (ح)، ١٥٦ (ح)، ١٦١

أبو حَيَّان التَّوْحِيدِي : ١٩ (ح)، ٢٠، ٢٠ (ح)، ٢١

إبن تَغْرِي بُزْدِي : ١٩ (ح)، ٢٢، ٥٦ (ح)، ٦٧، ١١٧ (ح)، ١٢٧، ١٥٥

(ح) ، ١٥٧ ، ١٥٩ (ح) ، ١٦٠ (ح) ، ١٦٣

أبو تمام : ٥٩

## ( ٢ )

الجاحظ : ١٢ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ١٧٦ ، ١٨٢

إبن الجارود : ١٤ ، ١٤ (ح)

سليمان بن جامع : ١٧ ، ١٢١ (ح) ، ١٥٦

أحمد بن داود بن الجراح : ٨٤ ، ٨٥ (ح)

محمد بن داود بن الجراح : ٨٤ (ح) ، ٨٥ (ح)

إبن الجوزي : ١٥١ (ح) ، ١٥٣ (ح) ، ١٥٥ (ح) ، ١٦٢

## ( ٣ )

حام : ١٧٦

الحجاج بن يوسف : ١٣ ، ١٤ ، ١٤ (ح) ، ٣٦

إبن أبي الحديد : ١٧ (ح) ، ١٩ (ح) ، ٢٢ ، ٤٧ (ح) ، ٥٩ (ح) ، ٦٦ ، ٨٣ (ح) ،

٨٥ (ح) ، ٨٦ (ح) ، ٨٧ (ح) ، ٩٣ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ،

١٥١ (ح) ، ١٦٢

إبن حزم : ٥٧ (ح) ، ٦٦ ، ١١٦ (ح) ، ١٢١ (ح) ، ١٢٦

الحسن : ١١٧

الحسين بن علي : ٥ ، ٥١ ، ١١٥ ، ١١٧

أحمد الحسيني : ٩٥

الحصري : ٥٧ (ح) ، ٦٦ ، ٧٦ (ح) ، ٧٨ (ح) ، ٨١ (ح) ، ٨٢ ، ٨٢ (ح) ، ٨٣ ،

٨٣ (ح) ، ٩١ ، ١١٦ ، ١١٦ (ح) ، ١٢٦ ، ١٥٤ (ح) ، ١٥٩ (ح) ، ١٦٢

الحطّينة : ١٧٣

الحارث بن حلّزة : ٨١

عبدالفتاح محمد الحلو : ٩٢

علي بن محمد الحمّاني : ٧٣ ، ٧٣ (ح) ، ٧٤ ، ٧٤ (ح) ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ،

٨٨ ، ٩٠

محمد حميد الله : ٩٥  
 محمد عبد المنعم الحميري : ٨٣ ، ٨٣ (ح) ، ٨٤ (ح) ، ٩٣ ، ١٥٨ ، ١٥٨ (ح)  
 نَشْوَانُ الْحَمِيرِي : ٥١ (ح) ، ٦٦ ، ٧٧ (ح) ، ٩٢  
 محمد بن الحنفية : ٥١ ، ٥٤

## ( ف )

أسماء بن خارجة : ٥١  
 خالد بن عبد الله بن خالد : ١٣  
 أحمد خطاب : ١٨٤  
 إِبْنُ خَلْدُون : ١٣ ، ١٤ (ح) ، ١٧ (ح) ، ٢٢ ، ٤٨ (ح) ، ٦٧ ، ٨٥ (ح) ، ٨٨  
 (ح) ، ٩٤ ، ١٢٣ ، ١٥٠ ، ١٥٠ (ح) ، ١٥١ (ح) ، ١٥٢ (ح) ، ١٥٥  
 (ح) ، ١٦٣  
 إِبْنُ خَلِّكَان : ٧٥ (ح) ، ٧٦ (ح) ، ٩٣  
 عبد الكريم خليفة : ١٣٤ (ح)  
 رثيف خوري : ٥ ، ١٤٨  
 محمد مُرْسِي الخُولِي : ٩١  
 الخيزران : ١٥٤

## ( د )

أبو داود : ١٧٦  
 عبد العزيز الدُّورِي : ١٤١ (ح)  
 أبو بكر بن دُرَيْد : ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١  
 دُعْبِل : ١٠٩

## ( ذ )

الذَّهْمِي : ١٥ (ح) ، ١٩ (ح) ، ٢٢ ، ٥٦ (ح) ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٧٦ (ح) ، ٧٨  
 (ح) ، ٨٠ (ح) ، ٨١ ، ٨١ (ح) ، ٨٢ (ح) ، ٨٤ (ح) ، ٨٥ ، ٨٥ (ح) ،  
 ٨٦ (ح) ، ٩٣ ، ١٥١ (ح) ، ١٥٢ ، ١٦٠ ، ١٦٠ (ح) ، ١٦٣

## ( i )

محمد بن رجاء : ٨٨  
أبو حاتم الرازي : ٥٢ ، ٥٢ (ح) ، ٥٤ ، ٦٥  
الرَّشِيد : ٢٧ ، ١٥٤  
إبن الرُّومي : ٧٦  
إبن رُسْتَه : ٣٤  
أحمد فريد رفاعي : ٩٢ ، ١٢٦  
جرونوت روتّر : ١٨٥  
مكسيم رودنسون : ١٢ ، ١٤٢

## ( j )

طاش كبري زاده : ٧٦ (ح) ، ٩٤  
الزُّبَيْر : ٥٦  
عبدالله بن الزُّبَيْر : ٤٧ ، ٥١ ، ٥٤  
مُصْعَب بن الزُّبَيْر : ١٣ ، ٣٦ ، ٥١  
أبو عبدالله الزُّوَرْنِي : ١٨٤  
قيس بن زهير : ١٧٣ ، ١٧٦  
خَفْص بن زياد : ١٤  
الربيع بن زياد : ١٧٣  
عُبَيْدالله بن زياد : ٥٢  
زيد بن عليّ بن الحسين : ١٩ (ح) ، ٥٨ ، ١١٥ ، ١١٧  
الحسن بن زيد : ١١٧  
الحسين بن زيد : ١١٦  
عيسى بن زيد : ١١٥ ، ١١٦  
محمد بن زيد : ٧٤  
يحيى بن زيد : ١١٦  
جرجي زيدان : ١٠٤



## ( س )

سلفستردو ساسي : ١٥٩ ، ١٤١

إدوار ساشو : ٩١ ، ١٢٦ ، ١٦٢

سبارتاكوس : ٣٢ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٥ (ح) ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٦٤ ،

١٤٨ ، ١٠٤ ، ٦٧

فيصل السّامر : ٣٩ (ح) ، ١٣٤ (ح) ، ١٣٥ (ح) ، ١٣٨ (ح) ، ١٤٠ (ح) ، ١٤٧ ،

١٤٧ (ح) ، ١٦٤

عبدالله سلّوم السّامرائي : ٦٥

عمر السّعيدى : ٢١ ، ٦٦ ، ٩٢ ، ١٢٦ ، ١٦٢

السّمعاني : ٧٣ (ح) ، ٧٥ (ح) ، ٧٧ (ح) ، ٩٢

السّيوطي : ٢٨ ، ٤٨ (ح) ، ٦٧ ، ٧٣ (ح) ، ٨٦ (ح) ، ٩٤ ، ١١٧ (ح) ، ١٢٧ ،

١٥٢ (ح) ، ١٥٤ (ح) ، ١٥٥ (ح) ، ١٥٩ (ح) ، ١٦٠ (ح) ، ١٦٤

إبن سلّام : ١١٤ (ح) ، ١٢٥

محمد بن سهل : ١٥٨

دومينيّك سورديل : ١٣٧ (ح)

إبن سينا : ١٧٦

## ( ش )

أحمد محمد شاكر : ١٢٥

عمر بن شُبّة : ١٧٣

عبّود الشّالجي : ١٦١

سليمان بن موسى الشّعرائي : ١٥٦

الشّهَرستاني : ٥١ (ح) ، ٥٢ (ح) ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ (ح) ، ٥٦ (ح) ، ٦٦

شوقي : ٨٧

شيرزنجي : ١٤

## ( ص )

صاحب الزّنج (عليّ بن محمد) : ٩ ، ١١ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ (ح) ، ١٩ ، ١٩

(ح) ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٣٩ ، (ح) ، ٤١ ، ٤٧ ، ٤٧ ، (ح) ، ٤٨ ، ٤٨ ، (ح) ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٧ ، (ح) ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٨٩ ، (ح) ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، (ح) ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٣ ، (ح) ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٢ ، (ح) ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٤ ، (ح) ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٦ ، (ح) ، ١٣٧ ، ١٣٧ ، (ح) ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤١ ، (ح) ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٧ ، (ح) ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٤٩ ، (ح) ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٤

هلال الصَّابِي : ١٣٧ ، (ح) ، ١٥٣ ، (ح) ، ١٦٢

عبدالله إسماعيل الصَّاوِي : ١٦١

الصَّفْدِي : ١٩ ، (ح) ، ٢٢ ، ٧٨ ، (ح) ، ٧٩ ، (ح) ، ٨١ ، (ح) ، ٨٢ ، (ح) ، ٨٣ ، (ح) ، ٨٤ ، ٨٤ ، (ح) ، ٨٦ ، ٩٤ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، (ح) ، ١٤٩ ، ١٤٩ ، (ح) ، ١٥٤

(ح) ، ١٦٣ ، ١٦٤

عمرو بن الليث الصَّفَّار : ١٥٥

يعقوب بن الليث الصَّفَّار : ٣٠ ، ١١٠ ، ١٣٩

أبو بكر الصُّولي : ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٨ ، (ح) ، ٧٩ ، ٨١ ، ١١٦ ، ١٥٩

## ( ط )

محمد حسن آل الطالقاني : ٩٤ ، ١٦٣

الطَّبْرِي : ١٥ ، ١٦ ، (ح) ، ١٩ ، (ح) ، ٢١ ، ٤٧ ، (ح) ، ٤٨ ، (ح) ، ٤٩ ، (ح) ، ٥٤ ، (ح) ، ٥٥ ، (ح) ، ٥٧ ، (ح) ، ٦٠ ، (ح) ، ٦١ ، ٦١ ، (ح) ، ٦٥ ، ٨٠ ، (ح) ، ٨٣ ، (ح) ، ٨٥ ، (ح) ، ٨٦ ، (ح) ، ٨٨ ، (ح) ، ٩٠ ، ٩٠ ، (ح) ، ١١٠ ، (ح) ، ١١٥ ، (ح) ، ١١٦ ، (ح) ، ١١٨ ، (ح) ، ١٢٠ ، (ح) ، ١٢١ ، ١٢١ ، (ح) ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، (ح) ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٥٠ ، ١٥٠ ، (ح) ، ١٥١ ، ١٥١ ، (ح) ، ١٥٢ ، (ح) ، ١٥٣ ، ١٥٣ ، (ح) ، ١٥٤ ، (ح) ، ١٥٥ ، ١٥٥ ، (ح) ، ١٥٦ ، (ح) ، ١٥٧ ، (ح) ، ١٥٨ ، ١٥٨ ، (ح) ، ١٦١

إِبْنُ الطَّلْقَطَى : ٢٨ ، ٤٨ (ح) ، ٦٦ ، ٨٤ (ح) ، ٨٥ (ح) ، ٩٣ ، ١١٥ ، ١١٦  
 (ح) ، ١٢٣ (ح) ، ١٢٧ ، ١٥٩ ، ١٥٩ (ح) ، ١٦٢  
 طلحة : ٥٦  
 محمد أسعد طلس : ٢١  
 طه حسين : ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٤ (ح) ، ٤٦ ، ٤٧ (ح) ، ٤٨ ، ٤٨ (ح) ، ٤٩ ، ٦١ ،  
 ٦٧ ، ١٠٤ ، ١٠٤ (ح) ، ١٠٥ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٤  
 رفاعة رافع الطهطاوي : ١٠٣  
 أحمد بن طولون : ٣٠ ، ١٣٩ (ح)  
 إِبْنُ طَيْفُور : ٤٨ (ح) ، ١٠٧  
 أَبُو الطَّيِّب : ١١

## ( ع )

عائشة : ٥٦  
 عمرو بن العاص : ٥٦  
 الحر العاملي : ٨٩ (ح) ، ٩٥  
 إحسان عباس : ٦٧ ، ٧٦ (ح) ، ٩٣ ، ٩٤  
 إِبْنُ عَبْدِ الْبَر : ٨٠ (ح) ، ٩١  
 محمد محيي الدين عبد الحميد : ٦٦ ، ٦٧ ، ١٦٤  
 عبد الملك بن مروان : ١٤ (ح)  
 هشام بن عبد الملك : ١٩ (ح) ، ١١٥  
 محمد عبده : ١٠٣  
 مصطفى عبد الواحد : ٩٢  
 الأسعد بن نصر العبّري : ٧٥ (ح)  
 القاسم بن عُبيد الله : ٧٦ (ح)  
 عثمان : ٥٥ ، ٥٦ ، ١١٢ ، ١٣٧ (ح)  
 الهيثم بن عدي : ١٧٤  
 إِبْنُ الْعِرَاق : ٨٤ (ح) ، ٩٥  
 عُروَة بن الورد : ١٧٣

أبو هلال العسكري : ٤٧ (ح)، ٦٥  
 أحمد عَلِي : ٣، ٢٣، ٣٩ (ح)، ٦٨، ١٣٤ (ح)، ١٣٥ (ح)، ١٣٧ (ح)، ١٣٨  
 (ح)، ١٦٤  
 عَلِي بن أَبِي طالب : ١٢، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ١١٢، ١١٥، ١١٧، ١٣٣، ١٣٥،  
 ١٣٧ (ح)  
 العَبَّاس بن عَلِي : ١١٥  
 إِبْن العِمَاد : ١٥ (ح)، ٢٢، ٨٦ (ح)، ٩٥، ١٥٠ (ح)، ١٥١ (ح)، ١٥٥ (ح)،  
 ١٥٧ (ح)، ١٥٩ (ح)، ١٦٠، ١٦٠ (ح)، ١٦٤ (ح)  
 محمد عمارة : ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١١٤،  
 ١١٥، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤  
 عمر بن الخطَّاب : ٥٥، ٥٦، ٥٦ (ح)، ١٠٦، ١١٢، ١١٣، ١٧٣، ١٧٦  
 عمر بن أَبِي ربيعة : ٧٥ (ح)  
 يحيى بن عمر : ١١٥، ١١٦، ١١٧  
 زياد بن عمرو : ١٤  
 عنصرة بن شدَّاد : ١٢٠، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤،  
 ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤  
 إِبْن عُبَيْة : ٧٣ (ح)، ٧٤ (ح)، ٧٨ (ح)، ٧٩، ٨٤ (ح)، ٨٨، ٨٩، ٩٤، ١٥٢  
 (ح)، ١٥٧ (ح)، ١٥٨، ١٦٣  
 محمد عوامة : ٩٢

## ( غ )

غوستاف فون غرونباوم : ١٤٠ (ح)  
 غوته : ١٢  
 موريس غودفروا - دومومين : ١٣٦ (ح)، ١٤٠ (ح)  
 ميخائيل يان دو غُوِيه : ١٢٥، ١٢٦، ١٤٠ (ح)

## ( ف )

هاورد فاست : ٤٦

بطرس حنا فت : ٩٤  
 لَوْرَا فتشا قَلْيَارِي : ٦٢ (ح) ، ٦٧  
 أبو الفداء : ٤٧ (ح) ، ٦٦ ، ٨٥ (ح) ، ٩٣ ، ١٥١ (ح) ، ١٥٧ (ح) ، ١٦٣  
 عبدالستار أحمد فرّاج : ٩١  
 أديب فرحات : ١٨٤  
 ابن الفقيه : ١١٣ (ح) ، ١٢٦  
 جرهاردس فوس : ١٢٧

## ( ق )

قُبَاذ بن فيروز : ٣٣  
 قُدَامَة : ٣٩ (ح)  
 حسن عبدالله القرشي : ١٨٤  
 حمدان قَرْمَط : ٣٠ ، ١٣٩  
 وليد قَصَاب : ٦٥  
 القِفْطِي : ٨١ (ح) ، ٩٢  
 عَبَّاس القَمِي : ٨٩ (ح) ، ٩٥  
 الأحنف بن قيس : ١١٣  
 ثابت بن قيس : ١٧٦

## ( ك )

بول كازانوفا : ١٣٧ (ح)  
 كلود كاهان : ١٤٠ (ح) ، ١٥٠  
 ابن شاعر الكتبي : ٥١ (ح) ، ٥٢ (ح) ، ٦٧ ، ٧٦ (ح) ، ٨٥ (ح) ، ٩٤  
 ابن كثير : ٨٨ (ح) ، ٩٤ ، ١١٦ (ح) ، ١٢٧ ، ١٥٠ (ح) ، ١٥٢ (ح) ، ١٥٥  
 (ح) ، ١٥٧ (ح) ، ١٥٨ (ح) ، ١٦٣  
 كراسوس : ٣٢  
 باقيه دي كرتاي : ٦٥ ، ٩٠ ، ١٢٥ ، ١٦١

كسرى أبرويز : ٣٤  
كسرى أنوشروان : ٣٣ ، ٣٤  
أرثر كوسلر : ٤٦  
إبراهيم الكيلاني : ٢١

## ( ل )

لؤلؤ : ١٦  
مسلم بن محمد اللحجي : ٧٧ ، ٧٧ (ح)  
لوسترنج : ٣٤  
برنارد لويس : ١٣٨ (ح) ، ١٤٠ (ح)

## ( م )

مؤلف مجهول : ١٥ (ح) ، ١٨ ، ١٩ (ح) ، ٢١ ، ٤٧ (ح) ، ٥٤ (ح) ، ٦٠ (ح) ،  
٦٦ ، ٨٤ (ح) ، ٨٥ (ح) ، ٨٦ (ح) ، ٨٨ (ح) ، ٩٢ ، ١٢٠ (ح) ، ١٢١ ،  
١٢٦ (ح) ، ١٥١ (ح) ، ١٥٢ (ح) ، ١٥٥ (ح) ، ١٥٧ ، ١٦٢  
المأمون : ٢٧ ، ٢٨ ، ١٠٧  
حسين مؤنس : ١٠٤ (ح)  
ماركس : ٣٧  
ماو : ٦٠  
الماوردي : ٣٤ ، ٣٩ (ح) ، ٧٨ (ح) ، ١١٣ ، ١٢٦  
علي مبارك : ١٠٣  
المتوكل : ٢٨ ، ٣٠ ، ٤٨ (ح) ، ١٠٧  
المختار بن أبي عُبيد الثقفي : ٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٨ ،  
٦٠ ، ٦١  
صاعد بن مخلد : ١٥٤ ، ١٥٥  
رياض عبد الحميد مراد : ٩٢  
أبو عُبيد الله المرزباني : ٧٣ (ح) ، ٧٤ (ح) ، ٧٨ ، ٧٨ (ح) ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ (ح) ،  
٩١

المستعين : ٢٨ ، ٤٨ (ح) ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٦  
المسمودي : ٣٧ ، ٣٩ (ح) ، ٥٥ ، ٥٦ (ح) ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٧٤ ، ٧٤ (ح) ، ٧٦  
(ح) ، ٩٠ ، ١١٥ ، ١١٧ (ح) ، ١١٨ (ح) ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٣٦ (ح) ،  
١٥١ (ح) ، ١٥٤ (ح) ، ١٥٧ ، ١٥٨ (ح) ، ١٥٩ ، ١٦١

مُسَيْلَمَة : ٥٠

محمد المصري : ٦٥

كمال مصطفى : ٩٢ ، ٦٦

معاوية بن أبي سفيان : ٥٦ ، ١١٢ ، ١٣٧ (ح)

المعتر : ٢٨ ، ١٠٦ ، ١٠٨

المعتصم : ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٧ (ح) ، ٥٩ ، ٧٦ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١١٩

المعتضد : ٤٧ (ح) ، ٧٦ ، ٧٦ (ح) ، ٨٦ (ح) ، ١١٩ ، ١٥١

المعتيد : ١٥ ، ٧٤ ، ٨٦ (ح) ، ١٢٣ ، ١٤١ ، ١٥٠

عمرو بن معدئيل : ١٧٣

عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (اليمني) : ٩٢

إبن مُعَيَّة : ٨٩ ، ٨٩ (ح)

المقرئزي : ١٠٧ (ح) ، ١٠٨ (ح) ، ١٢٧

المكتفي : ٧٨ (ح)

المنتصر : ٢٨ ، ٤٧ (ح) ، ٤٨ (ح) ، ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨

المنصور : ٢٧ ، ٣٧

نصر بن منصور : ٧٥

إبن منظور : ٧٩ (ح) ، ٩٣ ، ١٥٦ (ح) ، ١٦٢

المهتدي : ٢٨ ، ٢٩ ، ١٠٦

علي بن أبان المهلبي : ١٧ ، ٥٥ ، ١٢١ ، ١٢١ (ح)

الموفق : ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٧٤ ، ٨٦ (ح) ، ١٢١ (ح) ، ١٢٣ ، ١٣٦ ، ١٥٠ ،

١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧

مولر : ١٤٠ (ح)

عبد العزيز الميمني : ٩٢

بريه دي مينار : ٦٥ ، ٩٠ ، ١٢٥ ، ١٦١

## ( ن )

عبدالجبار ناجي : ١٣٤ (ح)، ١٤٩، ١٤٩ (ح)، ١٦٤

نفظويه : ٨٦

النبي : ٣٠، ٦٠، ١٣٣، ١٦٩، ١٧٦، ١٧٧

أحمد جاسم النجدي : ٨٩ (ح)، ٩٠

أبو جعفر النخاس : ١٨٣، ١٨٤

أبو الفرج الثهري : ٨٠ (ح)، ٨١ (ح)، ٩١

عبد الوهاب أبو النور : ٩٥

النوري : ١٧٥

نوح : ١٧٦

تبودور نولدكه : ١٣٥ (ح)، ١٣٧ (ح)، ١٤٠ (ح)، ١٤٧، ١٤٧ (ح)، ١٦٤

## ( هـ )

عبد السلام محمد هارون : ٦٦، ١٢٦

هاينز هالم : ١٣٢ (ح)، ١٣٦ (ح)، ١٣٧ (ح)، ١٣٨ (ح)، ١٤١ (ح)

محمد خليل هراس : ١٢٥

إبراهيم بن جعفر الهمذاني : ١٧

العريان بن الهيثم : ١١٨

## ( و )

وليم مونتغمري وات : ١٣٧ (ح)

الواثق : ١٠٩

إبن الوردي : ١٥٧ (ح)، ١٦٣

وصيف : ٢٩، ١٠٩

ج. ولكر : ٥٥ (ح)، ٦٧



## ( ي )

ياقوت : ١٩ (ح) ، ٢٢ ، ٤٨ (ح) ، ٦٦ ، ٧٣ (ح) ، ٧٥ (ح) ، ٧٦ ، ٧٦ (ح) ، ٩٢ ،

١٠٩ (ح) ، ١١٧ (ح) ، ١٢٦ ، ١٥١ (ح) ، ١٦٢

اليَعْقُوبِي : ١١٢ ، ١١٢ (ح) ، ١٢٥ ، ١٥٣ ، ١٥٣ (ح) ، ١٦١

أبو يوسف : ١١٤ (ح) ، ١٢٥

يونس : ٤١ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤

# فہرست المحتویات

الإهداء ..... ٥

## القسم الأول عبيدٌ وثوراتٌ وصُلبان

- الفصل الأول : خواطر حول « ثورة الزنج » وصاحبهم «عليّ بن محمد» ..... ٩
- الفصل الثاني : الزنج صُلبان التاريخ الإسلامي ..... ٢٥
- الفصل الثالث: سبارتاكوس، صاحب الزنج، المختار الثقفي ويونوس  
(دراسة في السلوك السياسي - الميثولوجي) ..... ٤١

## القسم الثاني قائدٌ وشاعر

- الفصل الرابع : صاحب الزنج «الشاعر» ..... ٧١

## القسم الثالث ثورة الزنج في كُتُب الدَّارسين

- الفصل الخامس : ثورة الزنج في مِرآة مكسورة ..... ٩٩  
الفصل السادس : (١) ثورة العبيد في العراق خلال القرن الثالث الهجري .....  
«خلاصة» بقلم : ألكسندر بوبوفيتش ..... ١٢٩  
(٢) دراسة نقدية بصدد «خلاصة» بوبوفيتش  
حول ثورة الزنج ..... ١٤٣

## القسم الرابع أسودٌ مضىء في الجاهلية

- الفصل السابع : عنترة وعُقدة اللون ..... ١٦٧  
فهرس الأعلام ..... ١٨٧  
فهرس المحتويات ..... ٢٠٥

**Ahmad 'OLABĪ**

**La Révolte des Esclaves  
dans  
l'Histoire de l'Islam**

**Dār al - Ādāb**

**Beyrouth 1985**



صدر

للكنور أحمد غلبي :

- ثورة الزنج ، وقائدها علي بن محمد
- ابن المقفع ، مُصلح صرعه الظلم
- الإسلام والمنهج التاريخي
- طه حُسين ، رجل وفكر وعصر
- ثورة العبيد في الإسلام
- تحت وِساديّ، مقالات وحكايات وذكريات (فيدالطبع)